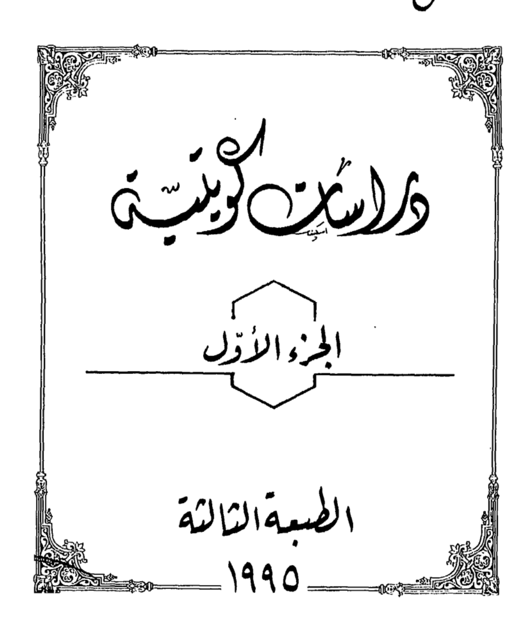
فاضل خلف



اهداءات ٢٠٠٢
المجلس الوطني للثقافة و الفنون
و الأدب - الكويت

فاضل خلف



دراسات كويتية

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

١٩٩٥

الإهداء

عندما يتحدث التاريخ بلسانه الفصيح عن العاملين في الكويت .. وعندما يخط بين سطوره سير الرجال المخلصين . يكون إسم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي علماً خفاقاً في تاريخ الكويت . فهو من رجالنا العاملين المخلصين الذين حلّوا من قلوب المواطنين أعز مكان وأطيب منزلة . وقد وضع هذا الأستاذ الرائد جميع طاقاته البناءة في خدمة الوطن والمواطنين أكثر من نصف قرن . وهو حتى يومنا هذا يعمل بكل اخلاص وفي مجالات عديدة - برغم تقدم السن - للبلوغ بالوطن الى ربوع المجد . فإلى الشيخ يوسف بن عيسى القناعي أهدي كتاب « دراسات كويتية » .

ملاحظة : انتقل الشيخ يوسف بن عيسى إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٩٧٣ .

المقدمة

كان من الممكن ألا تصدر هذه المجموعة فى شكلها الحالى لولا اذاعة الكويت،فقد اتصلت بى بعد رجوعى من انكلترة فى شهر سبتمبر ١٩٦١ — حيث قضيت هناك ثلاث سنوات كاملة — اتصلت بى للتعاون معها فى تقديم أحاديث أسبوعية ، فوعدتها خيرا رغم تهيبى للأمر إذ أن الارتباط باذاعة حديث فى الاسبوع كان يبدو لي أمراً غير يسير . ومر شهر كامل دون أن ألبى الطلب . وإذا بالاذاعة تعاود الاتصال فلم أجد ازاء دعوتها الكريمة غير الاستجابة . وبدأت أحاديثى الأسبوعية فى أكتوبر ، وأكثرها عن الحياة الأدبية فى الكويت ، ولم أنقطع عن تقديم هذه الأحاديث الا بعد أن دعانى حضرة السيد رجب الرفاعى سفير الكويت فى تونس للعمل معه فى السفارة ملحقاً صحفياً . وكنت أحن لزيارة المغرب العربى منذ زمن بعيد . فلبيت دعوته شاكرا وغادرت الكويت الى تونس فى أواخر شهر يوليو من عام ١٩٦٢ بعد أن قدمت تسعة وثلاثين حديثا ، هى هذه الدراسات التى بين يدى القارىء الكريم . بالاضافة الى عشرة أحاديث أخرى عن الأندلس ، سوف تصدر قريبا فى مجموعة أخرى .

وكان من المنتظر أن تصدر هذه الدراسات قبل ست سنوات لأنها تمثل فترة معيَّنة من حياتى الأدبية ، وهى الفترة التى كتبت فيها بين عامى (٦١و٦٢) ولكنها تأخرت بسبب انشغالى عنها فى العمل . لذلك وجب التنويه .

وعندما فكرت فى اصدارها اليوم حاولت تعديل أجزاء منها مسايرة للزمن ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أردت تغيير الأسلوب بحيث تكون صياغة هذه الدراسات قابلة للنشر بعد أن كانت فى صياغتها الأولى ملائمة للاذاعة . ولكن محاولتى لم تفلح ، وبقيت المجموعة كما أذيعت منذ ست سنوات . ولكن إن يكن فاتها أن تصدر فى كتاب فى الحين فقد نشرت فى الصحف الكويتية والصحف التونسية لاسيما فى جريدة الصباح التونسية التى فتحت صدرها لكثير من فصولها. وكان رئيس تحريرها الشاعر الأديب الأستاذ الهادى العبيدى ينشرها ويطلب المزيد.

وبعد فانني أضع اليوم كتاب (دراسات كويتية) بين أيدى القراء الكرام راجيا أن يحظى لديهم بالقبول ، ويسرنى جدا أن أتلقى ملاحظاتهم القيمة على هذا الكتاب ولهم الشكر . والله الموفق .

الكويت : فى ٣١/ ١٢/ ١٩٦٨

فاضل خلف

تاريخ الكويت القديم

تاريخ الكويت الحديث لا يتجاوز مجاله ثلاثة قرون كما قال المؤرخون على اختلاف درجاتهم اما تاريخ الكويت القديم فله جذور قديمة في اعماق التاريخ. ففوق هذه الارض الطيبة قامت دول ونشأت حضارات، ودارت فوق ثراها معارك غير بعضها وجه التاريخ. فنشرت صفحات من التاريخ، وطويت صفحات أخرى. ولم يكن تاريخ الكويت القديم مجهولا لدى القارىء المثقف الذي قرأ كتب الادب والتاريخ وبحث في المعاجم والقواميس فرأى في المجاميع والاشعار كثيرا من اسماء مرابع الكويت موزعة بين متونها وهوامشها ، وجاء علماء الآثار في العصر الحديث فحفروا في أماكن معينة ونقبوا عن آثار من عمر هذه الديار منذ آلاف السنين فعثروا على مساكنهم وآثارهم، بعد ان كاد تقادم العهد يجعلها دمنا وترابا كما فعل بأصحابها من الذين شادوا الآثار وسكنوا الديار.

سقت هذه المقدمة بعد ان تصفحت كتاب «مختصر تاريخ الكويت» للاستاذ راشد عبدالله الفرحان ، فوجدت فيه من المجهود العلمي ، ما يجعله جديرا بالذكر والتعريف وخاصة الفصل القيم الذى عقده عن تاريخ الكويت القديم. وهذا الكتاب ألفه صاحبه، عندما كان يطلب العلم في القاهرة وقد قسمه الى ستة فصول. تكلم في الفصل الاول منه بإسهاب عن الكتب والاسفار التي رجع اليها في اثناء بحثه وهي تاريخ الكويت للمرحوم عبدالعزيز الرشيد، وصفحات من تاريخ الكويت، للشيخ يوسف بن عيسى، وكاظمة في الادب والتاريخ للاستاذ يعقوب يوسف غنيم، ومن تاريخ الكويت للاستاذ سيف مرزوق الشملان . ومن الكتب التي اعتمد عليها المؤلف في بحثه ايضا، التحفة النبهانية للمرحوم محمد النبهاني المكى. وجزيرة العرب في القرن العشرين للاستاذ حافظ وهبه.

وأما الفصل الثاني من الكتاب فقد خصصه لتاريخ الكويت القديم الذي سنقف عنده طويلا لنجعله محور هذا البحث. واما الفصل الثالث فيبحث في جغرافية الكويت وقراها وجزرها . وتحدث المؤلف في الفصل الرابع عن تاريخ الكويت الحديث . وتكلم في الفصل الخامس عن البترول وعلاقة الكويت بالمملكة المتحدة. واما الفصل السادس، فقد خصصه للعلاقات الاخوية،

واهميتها بين الكويت والدول العربية الشقيقة.

ونستعرض الآن تاريخ الكـويت القديم الذي افرد له المؤلـف الفصل الثاني من الكتاب. فقد كـانت كاظمة مـدينة مأهولـة بالسكان قبل الاسـلام وبقيت محافظة على شهرتها وامجادهـا حتى أواخـر الدولة الامـوية، حيث قضيـت عليها عـاديات الايام واحداث الزمـان. وكانت (كاظمة) مقرا لـلادب والشعر، وملتقى الطرق بين الشـام والعراق ، ومسرحـا رحيبـا للعشاق وأربـاب الفـن. وقـد جرت على أرضهـا معارك حربية كثيرة، اشهرها واقعة (ذات السـلاسل) التي انتصر فيها العرب بقيادة خالد بن الوليد على الفرس بقيادة هرمز .

وكانت جزيرة فيلكـا في أيام اليونان والرومان عامرة بـالسكان، ومن يزر متحف الكويت يرى الاعـاجيب من آثار القوم معروضة فيه، بعـد ان عثرت البعثة العلمية الدنماركية عليها، في أثناء الحفر والتنقيب.

واما(الصبية) التي تبعد اربعين ميلا شمال مدينـة الكويت، فقد سكنها قوم من الصابئة ـ كما يقـول الرواة ـ بعد خروجهم مـن مصر وفارس. وقد دارت بينهم وبين سكان المنطقة حروب عديدة اضطرتهم للرحيل بعد ذلك الى العراق.

و(الصليبية) كـانت مـأهولـة بالسـكان من بقـايا الصليبيين الـذين قدمـواْ من أوروبا

لغزو الديار المقدسـة وبعد هزيمتهم على يد صلاح الدين الايـوبي، تفرقوا في البلاد وحل بعضهـم في الصليبية. وربما كان الصلب الموجـودون اليوم، هم البقية البـاقية مـن اولئك الصليبيين الـذين استـوطنوا هـذه الارض. ويقول يـاقوت الحمـوى في معجم البلدان «الصليـب جبل عند كاظمـة كانت به وقعـة بين بكر بن وائل وبين عمرو بـن هند وبنـى تميم». ويقول في مكـان آخر «الصليبيـة: ماء مـن مياه قشير» ويقول الأعشى:

وانـا بـالصليـب وبطـن فلـج جميعـا واضعين بـه لظـانـا

ويقول المخبل السعدي :

غـرد تـربـع في ربيـع ذى نـدى بين الصُّليـب فـروضـة الأحفـار

واما أواره، مركز حقـول النفط، التي تسمى اليوم وارة، فهي مشهـورة في التاريخ وقـد وقعت على ثراها معارك حربية كثيرة قبل الاسلام، منها يوم اوارة الاول ويوم

أوارة الثاني، وهـي حروب دارت بين المنـذر بن ماء السماء، وعمـرو بن هنـد وتميم. قـال ياقـوت : «أوارة بالضـم، اسـم ماء او جبـل لبنـى تميم». وقـال زهير بن أبـى سلمى:

عــداويــة هيهــات منــك محلهـــا اذا هـي مـــا احتلـت بقـــدس اوارة

واما جبل غضـى فهو ايضـا لـه شهرة في تـاريخ الكـويـت القديـم، قال ابـن السكيت : قفا الغضي جبل صغير في قول كثير عزة حيث قال :

كـــأن لم يــدمنهـا انيــس ولم يكـــن لها بعــد ايــام الهدملــة عـــامـــر
ولم يعتلـــج في حـــاضر متجـــاوز قفا الغضى مـن وادى الشعيرة سامر

(والرحية) اليـوم تبعد عن عاصمة الكـويت نحو عشرين ميلا، وكـانت تسمى قديما الرحا. قال ياقوت الحموى في معجمه «الرحا جبل بين كاظمة والسيدان، عن يمين الطريق من اليمامة الى البصرة» وقال حميـد بن ثور الهلالي، وهو ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وأدرك خلفاءه الراشدين.

وكنت رفعت الصوت بـالأمس رفعة بجنـب (الرحـا) لما اتـلأب كؤودهـا

والمقر جبل صغير في كاظمة فيه قبر غالـب بن صعصعة والد الفرزدق. وقد توفى ايام معـاوية بن ابي سفيـان وكان يضرب المثل بكـرم غالـب وجوده حتى قـال ابنه الفرزدق في قبره الذي كان يجير المستغيث :

فقالـوا استغث بـالقبر او أسمع ابنـه دعـاءك يـرجع ريـق فيـك الى الفـم
فـــاقسـم لا يختـــار حيــا بغـالـــب ولـو كـان في لحد مـن الارض مظلـم

ويقول جرير، وهو يذكر المقر :

تبـــدل يـــا فــرزدق مثــل قـــومـــي لقـــومـــك ان قـــدرت على البـــدال
فـان اصبحـت تطلـب ذاك فـانقـل شميمـــا والمقـــر الـــى وعــــال

واما السيدان فموضع بالقرب من كاظمة ويدعى اليوم «السادة» وقد ذكره جرير في شعره حيث قال :

على حفـر السيـدان لاقيـت خـزيـة ويوم الـرحا لم ينـق عرضـك غاسلـه

و (الحجيجـة) ارض في كاظمـة ويقال انها سميـت كذلـك نسبة الى الحجيجـة وهي صفيـة بنت ثعلبـة الشيباني التغلبيـة، وكانـت تسكن هـذه الارض، فسميت بـاسمهـا. ولها قصيدة تفتخـر فيهـا بـأخيها عمـرو بـن ثعلبـة، مذكـورة في حـرب البسوس، وتقول فيها :

انـا الحجيجـة مــن قـوم ذوى شرف   اولى الحفـاظ واهــل العـز والكــرم

واما (العـدان) فيقول مؤلف الكتـاب «انه موضع قـرب كاظمة» وهذا تعـريف قديم، لأن كـاظمة كانت في القـديم مركزا للمنطقـة كلها. اما التعريـف الصحيح اليوم للعدان فهو سـاحل الخليج العربي الشرقي الممتد من الكـويت الى البحرين. وفي العـدان قبر الصحابي الفـاتـح العلاء بـن الحضرمي. وقـال صـاحب التحفـة النبهانية، ان قبره مشهور في هذه المنطقة، ويسمى عند القوم قبر ابي علي.

ويقول المؤلف في ختـام هذا الفصل النفيس : «اننـي بكتابتي هذه عـن الاماكن القديمـة في الكويـت لم انو استقصاء البحـث عنها ولم اقصـد الاستطراد فيهـا ولو قصدنا ذلك مـا وسعتنا المجلدات في الكتابة بهذا الموضوع الـواسع الاطراف الكثير الاخبار وانما كـل ما هنالـك هو ضرب الامثلة الحيـة واقامـة الشواهد النـاطقة على صدق ما ندعى من ان ارض الكويت لم تكن حديثة العهد بالسكنى بل هي عريقة في التاريخ والامجاد والآثار».

بقـى ان نـذكر ان الاستـاذ راشـد عبـدالله الفـرحـان في كتـابه(مختصر تـاريـخ الكويت) صريح يعـالج الامور بوضوح واخلاص. وكتابـه هذا هو الجزء الاول من سلسلة كتبه عن ماضي الكويت وحاضرها.



الكويت منذ مائة عام

يطالع القارىء أخبار الكويت في هذه الايام في كل جريدة ومجلة سواء أكانت في بلاد العرب أم في الخارج. ويتتبع المستمع أنباء الكويت في كل اذاعة باهتمام بالغ. والكويت اليوم تغيرت عما كانت عليه منذ سنوات قليلة فهذه مدارسها وهذه مستشفياتها وهذه مشاريعها العمرانية تتحدث بأفصح لسان عما وصلت اليه الكويت من تقدم وازدهار. ولكن هل فكرت أيها القارىء العزيز لحظة في المجتمع الكويتي منذ مائة عام وهل تحب أن تعرف شيئا عنه؟

لقد زار الكويت منذ مائة عام تقريبا الرحالة الاميركي (لوثر) وقضى فيها يوما واحدا فقط في ضيافة الحاكم الكويتي الخامس الشيخ عبدالله بن صباح بن جابر بن عبدالله الصباح وذلك في عام ١٨٦٨ ورأى عن كثب مجتمعا عربيا أصيلا يعيش عيشة بسيطة ولكنها هانئة نفتقدها اليوم. ثم نشر كتابا عن رحلته بعد عشرين عاما تقريبا اى في ١٨٩٠ وبقى هذا الكتاب مجهولا لدى القراء العرب الى أن ترجم الفصل الخاص بالكويت الاستاذ عبدالله ناصر الصانع من البصرة في الجمهورية العراقية وطبعته ونشرته مكتبة الطلبة في الكويت.

غادر الرحالة الاميركي لوثر بومباي على ظهر الباخرة بينانك متجهاً نحو العراق وقد مرت الباخرة في طريقها بالكويت فدعا حاكمها في جملة المدعوين هذا الرحالة الاميركي لقضاء بعض الوقت في ضيافته بعد أن قضى هو بعض الوقت على ظهر الباخرة وقد وصف المؤلف الشيخ فقال:

«كان الشيخ الحاكم طويلا مفتول العضلات لطيف الملامح قد أطال لحيته البيضاء، يناهز الثمانين تبدو على وجهه ملامح الذكاء وكان غاية الأدب في كلامه وعاداته الشرقية. وكان يلبس ملابس عربية من الحرير الفاخر وقد ارتدى العباءة ذات اللون الأرجواني موشاة بغزارة بالذهب ويداه تشعان بالالماس وفي وشاحه الحريري الابيض الذي لفه حول وسطه كان قد غمس خنجرا صغيرا ذا مقبض من الذهب الصلد وقد طُعِّم باللؤلؤ والفيروز والياقوت والزمرد مما يظهر ان هذه الأسلحة قد صممت للزينة أكثر مما هي للاستعمال».

ثم يذكر الكاتب كيفية وصولهم الى الشاطىء وكيف ان الاهلين من الجنسين قد

اصطفوا على الساحل لرؤية الشيخ وضيوفه وهم يهمون بالنزول من الزورق الذي حملهم الى البر نظراً لرسو الباخرة على بُعد ميل ونصف عن الساحل.

ثم يصف الرحالة مجلس الشيخ فيقول :

«فدعانا الشيخ للجلوس على الأرائك فجلسنا كما يجلس الشرقيون تماماً، فقدمت الينا النارجيلات والشطوب المملوءة بتبغ عطري وقد حملها الينا اربعة من العبيد فأخذنا ندخن باشتياق عظيم، ثم ذهب العبيد حالاً وأحضروا مبخرة فضية ثقيلة تشبه الشمعدان. وكان يفوح منها عطر نفيس جداً فوضعوها في وسط الغرفة، ثم جلس عبيد آخرون، الى جانب كل أوروبي واحد يقوم بخدمته ثم جلس واحد الى جانب الشيخ وجلس آخر الى جانب المترجم وأخذوا يحركون مراوح كبيرة من ريش النعام. فأخذ الهواء يتشبع تدريجياً بالعطر .

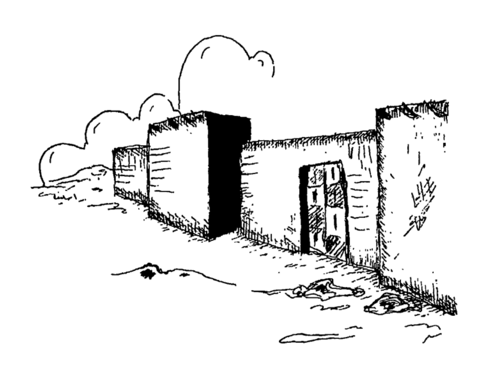
وقد أتيح للمؤلف أن يجول في الكويت ويسجل ملاحظاته ومشاهداته وقد تحدث عن نظافة الكويت فقال «وقد وجدنا المدينة تشبه الى حد كبير مسقط ولكن الفرق يظهر كثيرا من ناحية النظافة الملحوظة في هذه المدينة. تظهر الكويت كمدينة عربية فائقة النظافة».

ثم يتطرق المؤلف الى مهارة أهل الكويت في الملاحة فيقول : «ورغماً من الشكل الغريب لهذه السفن فإن العرب يتجرون بها ومتفوقون جدا فيخاطرون بها خارجا حتى في الاجواء الهائجة وفي بعض السفن الكبيرة يقومون لسفرات بعيدة الى الهند ومدغشقر وموريس والساحل الشرقي لأفريقيا»

ومما تجدر الاشارة اليه ان المرأة الكويتية منذ مائة عام لم تكن محجبة بالشكل الذي نراها عليه اليوم. ان بنات الكويت يطالبن في هذه الايام بإلغاء الحجاب فهل علمن أنهن يطالبن بحق مشروع كان ممنوحاً لجداتهن الكويتيات منذ عشرات السنين.. جداتهن اللائي كن من أجمل نساء العرب كما وصفهن الرحالة الاميركي بقوله : «نساء الكويت مشهورات بصناعتهن ومهارتهن في جميع الاعمال اليدوية كالحياكة والغزل والنسيج الخ. مثل ذلك حسن مظهرهن فهن بجانب التركيات والايرانيات ولهذه الغاية يعتبرن من أشد نساء الخليج ملاحة».

أقف عند هذا الحد من تقديم الكتاب ولكن قبل أن أضع القلم أحب أن أذكر حقيقة طالما رددتها الأقلام في هذه الأيام وهي ان الكويت كانت في ذلك الوقت بلداً مستقلا كل الاستقلال كما ذكر المترجم الفاضل في مقدمته بقوله: «وقد أتيح

للرحالة أن يكـون ضيفاً ليوم واحد لدى شيخ الكويت المستقـل عبدالله الثاني» أي أن الرحالة الأميركي زار الكويت قبل توقيع معاهدة ١٨٩٩ بنحوثلاثين سنة.



من تاريخ الكويت

الكويت في نهضتها الحديثة، أحوج ما تكون الى أبنائها المخلصين، الذين يسعون بكل ما لديهم من طاقات ومجهودات، لرفع اسم الكويت والسمو بالوطن الى أوج الكمال، لكي تأخذ الكويت محلها اللائق بين الدول والشعوب، والكويت أحوج ما تحتاج إليه في هذه النهضة هو : أبناء مخلصون حباهم الله فيضا من علمه الواسع، ورزقهم القدرة على حمل القلم، الذي يسطرون به مجد بلادهم وخلودها على مر الأيام. والأستاذ سيف مرزوق الشملان، هو أحد أبناء الكويت البارزين في حقل الصحافة والأدب، وكتابه «من تاريخ الكويت» كتاب جليل القدر، يجدر بكل متتبع للأدب والتاريخ أن يقرأه قراءة دقيقة، ليعرف حقائق كثيرة عن هذا الجزء من العالم العربي، فالمؤلف من أبناء الكويت المخلصين، الذين نذروا أنفسهم لخدمة الكويت عن طريق القلم، وهو منذ أن رزق القدرة على الكتابة والتأليف، وهو جاد مجد لا تفتر له همة، ولا يعتريه ملل أو كلال، فهو يكتب في كل مجلة وينشر في كل جريدة، أمجاد الكويت وتاريخها المعطر، ورزقه الله الى جانب عمله وفهمه، قدرة عجيبة على التحقيق والدرس في بطون الكتب قديمها وحديثها ولا يكاد يسمع بكتاب في حدود اختصاصه، حتى يشد اليه الرحال ولو كان يبعد عن محل اقامته مسافة أيام وليال. ولا يهدأ له بال حتى يعثر عليه ويشفي منه غليله الأدبي. ولا يكاد يسمع عن رجل مسن شهد الحوادث التاريخية، حتى يسارع الى لقائه والاجتماع به، قبل أن يودع ذلك المسن هذه الحياة الى الأبد. ومن المعمرين الذين حرص على لقائهم والاستفادة منهم المرحوم سالم بن علي أبو قماز ودهام بن مثقال الظفيري ومحمد بن حماد العجمي والمرحوم ملا صالح.

وكتاب من تاريخ الكويت، الذي نتحدث عنه اليوم، موسوعة يجد فيها القارىء تاريخا وأدبا، وكثيرا من الطرائف التي يطلبها القارىء الأديب والطالب اللبيب، وأجمل ما في هذا الكتاب مقدمته التي شرق فيها المؤلف المثابر وغرب، والتي تجاوزت سبعين صفحة من صفحات الكتاب. والحق أنني قرأت هذه المقدمة مرارا عديدة، واستفدت منها فائدة كبيرة ولكي يؤلف الأستاذ سيف مرزوق الشملان هذا الكتاب القيم، رجع الى أمهات الكتب العربية قديمها وحديثها، في

التاريخ و الأدب. وقد تجاوز عددها الأربعين، بالإضافة الى عشرات من المكاتيب والأوراق، التي حصل عليها المؤلف من مصادر عدة. ولا يخفى على كل متتبع للأدب والتاريخ، أن الكاتب الأديب اذا ظفر بوثيقة عفّى عليها الزمن بغباره، وطواها النسيان بوشاحة، يعتبرها أغلى من كنوز الأرض ، وأنفس من كثير من متع الحياة ، فاسمعه وهو يقول :

« كلما عثرت على مكتوب مهم أو ورقة أو عريضة ، أردد هذا المثل ، (كم في الزوايا من نفائس الخبايا) وكلما أخذ مني التعب مأخذه ليلا أترنم بقول — الإمام الشافعي —

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي | من وصل غانية وطيب عناق

قلنا ان هذا الكتاب موسوعة يجد القارىء في جنباتها ، ما يلذ له وما يطيب ، لذلك لم يطلق عليه مؤلفه «تاريخ الكويت » بل سماه (من تاريخ الكويت — لأنه — على حد قوله — ليس تاريخا شاملا كاملا حتى يصح لي أن أسميه تاريخ الكويت).

ومع أن هذا الكتاب قد أوفى على الغاية ، وسد فراغاً في المكتبة العربية عن جزء غالٍ من الوطن العربي ، إلا ان المؤلف المثابر بشّرنا ووعدنا بأنه سيواصل الجهود ، لكتابة تاريخ مفصل عن الكويت ، يقع في سبعة أجزاء ، يتكلم في الجزء الأول منه عن جغرافية الكويت و تاريخها قديماً وحديثاً ، حتى آخر عهد الحاكمين محمد وجرّاح ، وفي الجزء الثاني يتناول البحث فيه عن الشيخ مبارك الكبير ، وثالث الأجزاء يحدثنا عن عهود الحكام ، جابر وسالم وأحمد ثم عن المرحوم الشيخ عبدالله السالم. وفي الجزء الرابع سيتكلم بالتفصيل عن تراجم العلماء والادباء والشعراء والأعيان وعن الحركة الأدبية في الكويت و الحياة الاجتماعية وعادات الكويتيين وعوائدهم ، وعن الحياة الاقتصادية . وفي الجزء الخامس سيتناول البحث عن الغوص والسفن الكويتية ، وأما الجزء السادس فيتكلم فيه عن طيور الكويت ، وعن الأسماك المعروفة في الكويت ، وعن أسماء الحيوانات الموجودة في الكويت وأما الجزء السابع فسيخصصه لأسماء الاشجار والأعشاب البرية المعروفة في الكويت ويتناول فيه كذلك ذكر أسماء الألعاب المعروفة لدى العرب ، ويتكلم فيه كذلك عن الأمثال الكويتية العامية ، وما يقابلها من أمثال عربية ، وأشعار وأقوال وحكم. اننا حين نذكر هذا نرجو أن يحقق المؤلف ما وعدنا به ، فنحن في انتظار

هذه الموسوعة العظيمة بكل جوارحنا ، لأن مثـل هذا الكتاب سيزود المكتبة العربية بزاد شهـي تنتظره منذ أمد بعيـد . وسيسجل هذا الكتـاب اسم مؤلفه بحـروف من نور في صفحات التاريخ .

انني إذ أذكر هذا أستحث الأستاذ سيف مـرزوق الشملان هذا الكاتب الدؤوب على مواصلـة السير في هذا الطريق . واننـي أعلـم علـم اليقين ان هذا الـدرب ليس مفروشا بالورود والرياحين بل هـو محفوف با لمخاطر ، ومحاط بشيء كثير من التعب والإرهاق ، ولكن الـذي يسلينا ويملؤنا أمـلاً وتفاؤلاً هو أن المؤلف وعـدنا ، ووعد الحر دين عليـه حتى يفـي . لقد مضى على إصـدار كتاب (من تـاريخ الكـويت) عامان تقـريبا، فأرجو ألاّ يطول بنا الانتظـار أكثر مما انتظرنا، لاستقبـال طليعة هذا الكتاب المطول الذي وعدنا به.

قلنا ان المؤلـف وعدنا بكتابـه المطول عن الكـويت، ونقول أيضا انـه أورد أمثلة كثيرة في هذا الكتاب الـذي بين أيدينا، عما سيبحثه في كتـابه القادم. فمن ذلـك ما أورده عن أسماء أدوات السفينـة، ومن ذلـك ما أورده عـن أسماء الطيور والأسماك، والحيوانات والحشرات والأشجـار، والأعشاب البرية ، ثم أورد خمسينـاً من الأمثال الكويتية العامية، وما يقابلها من أمثال عربية.

وأورد كذلك طـائفة كبيرة من المفردات التـي يتكلمها أهل الكويـت، وهي من العربي الفصيح وان حسبها البعض انها غير عربيـة. وقد تجاوز ما أورده المؤلف من هذه المفـردات مائة وخمسين كلمـة . وقدم لها بهذه الكلمات — «ينطـق الكويتيـون بألفاظ عربيـة فصيحة وقد لا يعيرها البعض التفاتا أو أهميـة لظنهم انها ليست من اللغـة الفصحى في شيء. وهـذا راجع الى جهلهـم وعـدم تبحرهـم في كتب اللغـة والأدب».

ثـم أتى الأستـاذ المؤلـف بقائمـة من الكلمات المستعملـة في الكـويت، والتـي حرفت عن اللغـة العربية الفصحى، ولم يفتهُ التحدث عن الألفـاظ الدخيلة، التي أخذها الكويتيـون عن الفارسية والتركية والانجليزية، والمصرية القـديمة والفرنسية واليونانية والايطالية والهندية. وقد أورد أكثـر من مائة وخمسين كلمة من أصل تركي وفارسي.

قد يبـدو للقارىء الـذي لا يعرف الأستـاذ سيف مـرزوق الشملان، أن المؤلـف يبالـغ في ما وعدنا بـه من كتابـه المطول، ولكن القـارىء الذي يعرف هذا الكـاتب

الـدؤوب لا يجد أي أثر للمبـالغـة في كلماتـه، فهو الـذي أتحفنـا مـن قبل بفيـض زاخر من دراساته ومقـالاته القيمة، فقد كتب سلسلة من المقالات عـن تاريخ قطر في مجلة صـوت البحريـن ومجلة البعثة ، وكتـب دراسة قيمـة عن الغـوص نشرها في سجل الكويـت اليوم، الذي أصدرتـه دائرة المطبوعات والنشر، وكتب مجمـوعة من المقالات عن تاريخ علم الكويت في جريدة أخبار الأسبوع وفي جريدة الشعب .

ولديه كذلك عدة كتب مخطوطة أشـار الى بعضها في كتابه (من تاريخ الكويت) كأخبـار الباديـة وعنترة بن شـداد العبسي، وبين شهادتين ــ شهادة الحيـاة وشهادة الجامعات.



عبد العزيز الرشيد

الناس صنفان موتى في حياتهم   وآخرون ببطن الارض احياء

تمثلت بهذا البيت الخالد من الشعر لأحمد شوقي، وانا اتصفح الطبعة الثانية من كتاب (تاريخ الكويت) للمرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد فقد غادر هذا الاديب الجليل عالمنا الى الابد منذ ربع قرن تقريبا ، ولكنه في الواقع مايزال حيا بيننا ، وسيبقى حيا بما ترك من آثار ادبية قيمة وفي مقدمتها تاريخه الجليل. واهل العلم احياء وان غيبهم الثرى واخفاهم عن الانظار. وفي الحقيقة ان الشيخ عبدالعزيز الرشيد ، خلد وطنه العزيز عندما سطر تاريخه وادبه وعلمه وسيبقى كتابه هذا، المرجع الاول لتاريخ الكويت. وما اذكر انني قرأت شيئا عن الكويت، إلا وجدت كاتبه يشير بكل فخر الى تاريخ الكويت ومؤلفه الجليل. وليس كتاب تاريخ الكويت جديدا علي فقد قرأته مرارا في اول عهدي بالقراءة وحفظت منه اشياء كثيرة في التاريخ والادب والاخلاق. وكان من الكتب التي شجعتني على المضي في القراءة، بل كان تاريخ الكويت، من الكتب التي شجعتني على حمل القلم.

ان المتصفح لتاريخ الكويت يجد المؤلف على درجة كبيرة من الاطلاع والفهم العميق. وقد كونت ثقافته الواسعة عدة مصادر، فهو لم يعتمد في تثقيف نفسه على الدراسة فحسب بل قاده طموحه العلمي الى السفر والترحال في وقت لم تكن فيه وسائل السفر متهيئة بل لم تكن فيه مريحة وان تهيأت. وكان السفر يتم على ظهور الحيوانات وما ابعد الفرق بين من يسافر في هذه الايام على متن الطائرات الفخمة - في طلب العلم - وبين من كان يسافر في طلب العلم ايضا، ولكن على ظهور الخيل والجمال. فأسفار الشيخ عبدالعزيز الرشيد - في نظري - كانت المصدر الاول الذي كون ثقافته. فبينما نراه يدرس في الكويت، نراه يشد الرحال الى المدينة المنورة ليدرس على ايدي علمائها المشهورين. ثم نراه بعد مدة وجيزة، يغادر الى الاحساء ثم الى الأستانة . وما ابعد الاحساء في جزيرة العرب عن الاستانة في بلاد الترك! ولكنه الطموح والتشوق الى الاطلاع والدرس جعلاه يتحمل مشاق السفر وآلامه في سبيل إرواء غليله العلمي. ومن الاستانة رحل إلى ارض الكنانة .. الى مصر ..

لـلاغتراف من علـومها وآدابها في أزهـرها الـزاهر . فـا لمصدر الاول لثقـافة الشيـخ عبـدالعزيـز الرشيـد هو كثـرة الاسفـار التي جعلتـه يتصل بجماعـات مختلفة مـن الناس، ويستفيد من تجاربهم في كثير من شئون الحيـاة. ولا يخفى على كل اديب. ما للاسفـار من افضـال على المسافـر، اهمها اتسـاع أفقه واستيعـاب فكره لكثير مـن الآراء والمعتقدات بدون تعصب او تطرف.

وقد كـان من المحتمل ان تقتصر ثقافـة الاستاذ الاول على علوم الديـن كما كان الامر مـع كثير من زمـلائه، ولكن كانـت آفاقـه فسيحة الجنبـات، فلم يقتصر على علوم الـدين بـل أخذ يغترف من الآداب القـديمة والحديثة بكـل ما يستطيـع من جهـد وعزم فتكـونت عنـده ثقافـة دينيـة يعززهـا اطلاع واسـع في الادب القديـم والحديـــــث، ومن يتصفح تاريخ الكويت يجد القلم يتحول من يد مؤرخ عالم بدقـائق التاريخ الى يـد اديب متبحر في شئون الادب. فـا لمصدر الثاني الـذي كون ثقافـة مؤرخ الكويـت وأديبها الاول هو دراستـه الدينية واغترافـه من معين الآداب العربية قديمها وحديثها.

أما مصدر ثقافته الثالث فهو بـلا شك استعداده الفطري للبحث والدرس ولولا هذا الاستعداد وهذا الطموح لما استطاع ان يصبح مـن اهل العلم ومن حملة القلم. فـالطمـوح الى العـلا والمعالي، والاستعـداد الفطـرى للعلـوم والآداب هما السببـان الرئيسيان في نبوغ الشيـخ عبدالعزيز الرشيد، وكثير مـن الادباء والشعراء والمؤرخين وسائر اهـل الفن. قلنا قبل قليـل ان الشيخ عبدالعـزيز الرشيد، طـوف في كثير من البلدان في سبيـل الحصول على العلـم والاغتراف من ينـابيعه العـذبة، ولما عـاد الى الوطـن العزيز، كـان التدريس رائده الاول. فقد عين مـدرسا في المدرسة المبـاركية، وكانت المعهد العلمـي الاول في الكويت ولكنه وجد ان التدريـس لا يكفي وحده لخدمة البلاد . ورأى ان يسـاهم في خدمة الادب في الكويـت و شجعه على ذلك ، ما وجده من استعداد كـامل من شباب الوطن لدراسة الادب والتـزود من الثقافة . فأصدر مجلة الكـويت في سنة ١٣٤٦ هجرية . وكانت هذه المجلـة مسرحاً للاقلام الحرة في الكويت وسائر الاقطـار العربية . وقد عالج فيها صاحبهـا ورئيس تحريرها العالم الاديب ، كثيرا من مذاهب الادب وشئون الحياة.

ولم يكن الطـريق ممهـدا، لصدور تلك المجلـة الادبية في ذلـك الوقـت، أي منذ خمسة وثلاثين عـاما، وذلك لعدة وجـوه أهمها معارضة بعـض الناس، الذين كـانوا

يرون في المجلات خطرا على الدين وعلى المجتمع، وكـان الشيخ عبدالعزيز الرشيد، يتـألم منهم كثيرا. وقـد أشار اليهـم في عدة مـواضع مـن كتابـه الكبير، وفيها هـذه الكلمات « واني وقـد أناخ علي الـدهر، وازعجنـي بنـوبه وامضنـي حين رماني بقـوم يأخـذون على الحق اذا به نطقـت ويطيرون فرحا بـالخطأ اذا بـه وقعت» ولكـن مجلة الكويـت الحرة الفتية، أخذت تصارع صراع الابطـال في طريق شاق متعـب، ملؤه الشوك والعوسج في خدمة الكويت وآدابها وتاريخها.

ولم يكتف الشيخ عبـدالعزيز الرشيد، بما قـدمه الى وطنه العزيز مـن خدمات في مجال التدريـس، وخدمـات في مجال الادب والصحافـة، بل اخـذ يفكر في اصـدار كتاب كـامل شامـل عن (تاريخ الكـويت)، وأخذ يقـف لحظات الفراغ مـن وقته الثمين، لتـدوين هـذا التـاريخ، الى ان اتمه، وطبعـه في بغداد في جـزأيـن. وقد قـام بتكاليـف الطبع، المرحوم الشيـخ احمد الجابر الصباح، امير الكـويت السابـق. ومما قاله المؤلف في مقدمته:

«وبعد، فلم ازل راغبـا في تدوين ما علـق بأذهان اخواني الكـويتيين، من اخبار الوطـن العزيز وحـوادثه وما طـرأ عليه من التقلبـات والتطورات، منذ تـأسيسه الى يومنـا هذا، علماً منـي أن جمع شتات ذلـك اعظم خدمـة يقوم بها الـوطني لـوطنه ، وانفس هـدية يقدمهـا لابناء جلدتـه ، غير أني كنت أقـدم قدماً وأؤخـر أخرى لأن المشروع خطر والمسلك وعر لا يقطع إلا بمشقـة كبيرة، وتضحية ليست بالقليلة ... مشروع مهم يحتاج الى خلو بال، وراحة قلب، وتجرد عن العوائق».

لقد كـان الشيخ عبدالعزيـز الرشيد، مصلحا اجتماعيـا، وكانت له أيـاد بيضاء على النهضة في الكـويت، وقـد ساهـم مع بعـض من رفـاقه المخلصين، في إرسـاء قواعد النهضة التعليمية في الكويت فاسمعـه وهو يتكلم عن ركن ركين من عوامل النهضـة، وهما المدرسـة المبـاركيـة، والمدرسـة الاحمديـة : «فمـن هـاتين المدرستين سطعت بذور الافكار الحرة والآراء الناضجـة، وانتشرت أشعة ومبادىء العلوم التي كانوا يحرمـونها، كالجغرافيا والهندسـة والتاريخ . اما مبـادىء الفقه والنحو والصرف فهي وان كانـت شائعة قبل هاتين المؤسستين، فقـد كانت محصورة بافـراد من اهل اللحى أمـا الآن فقد صـارت ميسورة حتـى بين الكثير من الصغـار، الذيـن يوجـد فيهم من يفوق ذا اللحية العريضة والعمامة الكبيرة» .

لقـد كان الشيـخ عبـدالعزيـز الرشيـد، ذا لحيـة وعمامة ، ولكنـه كـان يختلف عـن

اصحاب اللحى والعمائم في عصره اختلافا عظيما كما هو واضح من قوله هذا .
وقد ساهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد كذلك في انشاء النادي الادبي في الكويت ، وقد كان يدرّس فيه اللغة العربية والاخلاق والفقه . وألقى فيه اول محاضرة . ان تاريخ الكويت ، الذى ألفه الشيخ عبدالعزيز الرشيد ، كتاب قيم . تحدث المؤلف في الجزء الاول منه، عن تاريخ الكويت بصورة كاملة شاملة منذ تأسيسها وحتى عهد الحاكم العاشر، المرحوم الشيخ احمد الجابر الصباح . وقد ذكر المؤلف الجليل في كتابه، سيرة الامير الحالي، الشيخ عبدالله السالم الصباح ، معطرة بالمآثر والمكرمات .

واما الجزء الثاني، فقد خصصه للحركة الفكرية في الكويت . وقد يظن البعض ان الكويت في تلك الايام، اي منذ خمسة وثلاثين عاما، كانت بدون علم وآداب ولكن العكس هو الصحيح، فقد كانت في الكويت نهضة أدبية مباركة، تحدث الشيخ عبدالعزيز الرشيد عنها حديث مطلع على الامور وعارف بالآداب والعلوم ولندع المؤلف يحدثنا بأسلوبه الشائق، عن الحركة الفكرية في تلك الايام :
« في الكويت اليوم كتاب مجددون وشعراء مفلقون، للكويت الحق ان تفخر بمواهبهم فانهم على كثرتهم وعلى اجادة الجل منهم، في المنظوم والمنثور اجادة تستفز الشعور وتحرك الاوتار، لم يلجوا مدارس راقية، ولم يدرسوا على ايدى أساتذة ماهرين » .

ثم أتى المؤلف بأسماء بعض الشعراء الكويتيين ، ونماذج من شعرهم، كالشيخ يوسف بن عيسى، وعبداللطيف ابراهيم النصف ، وخالد محمد الفرج، وحجي بن قاسم، وصقر سالم الشبيب، والسيد مساعد عبدالله الرفاعي، واحمد خالد المشارى واحمد البشر الرومي، وسليمان العدساني، وملا علي وغيرهم .
وقد كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد نفسه، شاعرا وهذه أبيات له يحيى فيها شباب الكويت ويدعوهم الى الاستزادة من العلوم والآداب وقد قالها بمناسبة افتتاح النادي الادبى:

يا شباب القوم هيا	نبن للأوطان مجدا
فابذلوا كل نفيس	دونه الأرواح تفدى
ايها الشبان جدوا	حفظ اللّه المجدا

ايـــه جـــدوا ثـــم هبـــوا　　للعـــــلا جمعـــاً وفـــــردا
ثـــــم سيروا لعلـــــوم　　ودعـــــوا أخـــــذاً وردا
والى الأخـــلاق فـــاسعـــوا　　واكسروا غـــــلاً وقيــــدا
مـــا عهـــدنـــا الشعـب ينجـــو　　بســـــواهـــا إن تـــردى
يـــا رعـــى اللّـــه شبـــابـــاً　　منهـــم الفخـــر تبـــدى
عـــن قـــريـــب سنـــراهـــم　　للهـــدى جيشـــاً وجنـــدا

ان تاريخ الكويت، للشيخ عبدالعزيز الرشيد، سيبقى المصدر الأول عن الكويت، في التـاريخ وفي الآداب وفي الاجتماع. وقـد عـالـج فيه المؤلـف كثيرا مـن الحوادث التاريخية بصراحة جعلت الشاعر الكبير، صقر سالم الشبيب، يحيي المؤلف بقصيدة عصماء جاء فيها:

ابـرزت تاريـخ الكـويت يميس في　　حلـل الصراحـة حـاليـا بمـلائها
لم تخش لـومـة لائميـك مصرحـا　　فظفـرت مـن احـرارهـا بثنـائهـا
ابـديـت كـل حقيقـة فيـه كما　　كـانـت ومـا دلسـت في ابـدائهـا
فـاثبـت على نشر الحقـائق عـالما　　ان الحقـائق انـت مـن امنـائهـا

واحب ان اشيـد بكل فخـر واعتزاز، الى تنبـؤ هذا العـالم الجليل بمستقبـل كويتـي زاهر، ونهضة حـديثة مباركة ، وبـأن خيرات الكويت المادية والادبيـة، لن تكون لها وحدهـا ، بل سيكـون للعرب نصيـب وافر منهـا، وستستفيد منهـا ايضا كثير مـن الدول الصـديقة المحبـة للخير والسلام . وقد كـان هذا التنبؤ منـذ اكثر مـن خمسة وثلاثين عاما . فقد قال رحمه الله عـن آل الصباح وعن الكويت، الكلمات التالية : «فشيدوا تلـك البلدة التـي حسدهم عليهـا القريب والبعيـد. اسسوا تلـك المدينة الصغيرة، التي هـي الدرة في تاج الخليج العـربي، بل الجوهرة الثمينة التـي ستنير ما حواليها بنورهـا، وستأخذ بأيدى غيرها الى المجد ، بعد ان يـأخذ اهلها والمسيطرون عليها بيدها الى ربوع الفخر » .

فرحم اللـه مؤرخ الكويت واديبها الاول، الشيـخ عبدالعزيز الرشيـد، بقدر ما اسـدى الى بلاده، مـن خـدمات جليلـة في ميـادين الادب والتـاريـخ والصحافـة والتعليم .

فهد العسكر .. حياته وشعره

قال هذين البيتين شاعر الكويت الصداح ، فهد العسكر، قبل ان تختطف يد المنون شبابه الغض :

انــا ان مــت افيكــم يــا شبــاب	شــاعــر يــرثــي شباب العسكــر
شـــاعــر مثلي عضتـــه الـــذئاب	فغــــدا مـــــن همه في سقـــــر

قال فهد العسكر هذين البيتين من الشعر، وكـأنه يرى بثاقب بصيرته اشباح الموت تتراقـص بين يـديـه، لـذلـك فقد وجـه الى الشبـاب تسـاؤلاً طـالما ردده الشعـراء والكتاب، وكثير من اهل الفـن وهم يتأهبون للرحيل من هـذه الحياة، بعد ان وهبوا الوطن واهله اعز ما يملكون ، وهو عصارة القلب.
وقد بـذل فهد عصـارة قلبه لمواطنيـه قبل ان يغمـض الحمام جفونـه . ومضى فهـد فذكـره مواطنوه بـروائعه الغنائية التـي تركها. واخـذ الشباب يتداولـون في اسمارهم وأحاديثهم سيرة فهد المعطـرة بشذى اغاريده وألحانه ولكن اين الشـاعر الذي كان ينتظره فهد ليرثيه بقصيدة تروى بقاياه في التراب؟.. ايـن الشاعر المقيم الذي يذيع اطيب انباء الشاعر الراحل ؟بل اين الشاب الذى يرثي شباب العسكر ؟
لقد انتظر فهد في مـرقده الخالد مدة طويلة حتى خشي مـن العقوق. وانتظر عشاق فهد هـذا الشاب المنتظر ، حتـى طال بهم الانتظار وتطـرق الى نفوسهـم اليـأس من وجود الشاعر المنصف . ولكن لم تمض سنـوات خمس على رحيل فهد العسكر حتى وضع شاعر شاب من اصدقائه وعشـاق شعره اول دراسة عنه ، كانت ابلغ قصيدة رثاء لشبـاب العسكر امـا الشاعـر فهو الاستاذ عبـد الله زكـريا الانصـاري . واما الدراسة فهي « فهد العسكر :حياته وشعره ».
ان هذه الـدراسة الادبية جعلـت الاوساط المهتمة بـالادب في الكويت وفي الـوطن لعربي ،تهلل للاستاذ المؤلف ، وتشكره على مجهـوده العظيم الذى بذله حتى اخرج نذه الدراسة . وكان اخشى ما تخشـاه هذه الاوساط الادبية ان تتبعثر أشعار فهد و فقد على الايـام . اما وقد صدر كتـاب الاستاذ عبداللـه زكريا عن فهـد العسكر ، فيه بقيـة من شعـره سلمت من الضيـاع ، فقد اطمأنـت الاوساط الادبيـة وزايلها

خوفها على أثار الشاعر من الضياع والنسيان .

وليس ما أثبتـه المؤلف في كتابه مـن آثار فهد، هو كـل ما تغنى به في حيـاته من شعره الخالد بل هو جزء يسير منه. اما آثـاره بمجموعها فهي تكوّن ديوانا كبيرا من الشعر. امـا اين ذهبت هـذه الثروة الادبية فـذلك ماتسـاءل عنه مؤلـف الكتاب . ومن قائل ان مجموعـة كبيرة من شعره احرقها واحد من اهـل بيته، ولكنني شخصيا لا اميـل الى هذا القـول مهما كانـت البواعـث والظـروف، ويروي مـؤلف الكتـاب الاستاذ عبدالله زكريا مثل هذا الرأي ايضا.

ومهما يكن الامـر، فان البقيـة الباقيـة من شعـر فهد التـي سلمت مـن الضياع، والتي اثبتهـا المؤلف في كتـابه، تعطينـا صورة صـادقة عـن فهد ومـذاهبه في الادب وشؤون الحياة. وان هذا الكتـاب الذى الفه الاستاذ عبدالله زكريـا عن فهد فُصلت فيه سيرة شـاعرنا الخالـد تفصيلا كـاملا. وقد تكلـم فيه عن نفسيـة الشاعـر كلام المطلع الـواثق. وما نفسيـة فهد الا نفسية كـل شاعـر رقيق الاحساس يضيـق ذرعا بتوافه الامور ويقدس الفن واهله اقصى غاية التقديس.

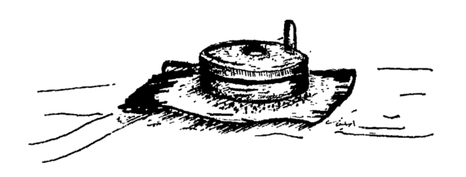
واورد المؤلف رأيـا طريفا عن الشعـر الصادق المنبعث من اعماق النفـس. وكان الشعر الصادق هو مثل فهد الكامل في هذه الحياة.

لقد كـان فهد العسكر ــ اذن ـ شاعـرا صادق الشعر والشعـور، وفنانا صـاحب مدرسة في الشعـر ويذكر لنا مؤلف الكتـاب الاستاذ عبدالله زكريا ان مـدرسة فهد خرّجت كثيرا من الشباب وصقلت روح الشعـر فيهم وشجعتهم على انشاده، وكان مجلس فهد منتدى ادبيا لكثير من الشعراء والادبـاء في الكويت، يؤمه الشباب ـ كما يقـول المؤلـف ــ للتغني بـالشعـر والتلذذ بـالادب، والاطلاع على الاراء والمواهـب الادبية الحديثة، ويـذكر لنا المؤلف ايضا ان مجلـس فهد كان يذكـرنا بتلك المدارس والمنتديـات الادبية في العصرين الامـوى والعباسي، ويعيـد الى الذاكرة ايـام العرب الزاهيةالمليئة بالعلم والادب والشعر. وقد كـان مؤلف هذا الكتاب الاستاذ عبدالله زكريا الانصـارى احد رواد مجلس فهد الادبي في ايـام عزه ، وقد اهداه فهـد قصيدة رائعة جاء فيها:

أرب الـرقيـق الجزل الــف تحيـة	ومثلــك مـن اعماق قلبـي احييـه
ومثلـك اهـديـه القـريـض مهـذبـا	ولم لا وانـت الـراقصـات قـوافيـه

تغنيت في الـوادي فأسكـرت نشـأه وأطـربـت دانيـه ورقصـت قـاصيـه
فتـى الهاتفـات الـواثبـات شـواديـا ويـا من بـأفق الفـن لاحت دراريـه
بـــربـــك اطلقهـــا لحونـــا مثيرة تحرك في القلـب الشعـــور وتـذكيـــه
فكـم صغتهـا والدر صعـب منـالـه عقـودا بها الــوادي فخـور بــراميـه
عقـودا بها بـاهـــى النجـوم وصـانها ومـــا كـــل غـواص تصـــان لآليـــه
أخي كـم دعاني الشعـروالفكرشـارد فلـــم استطـع والآن لبيـــت داعيـــه
فمـن غـور قلبـي هاكهـا عسكـريـة مجنحـــة والشـــاعـــر الحر أهـــديـــه

وفي الكتاب فصل ممتع عـن التجديد في شعر فهد العسكر ، وخـلاصته ان المؤلف لايستطيع الجزم بأن فهـد العسكر جدد في الشعر العربي الحديـث . ولكنه استطاع ان يجاري التجديد في الشعر وان يزيد من قوة هذا التجديد حسب طاقته الشعرية .
وفي الكتاب كذلك فصـول شائقة عن الفنون الشعرية التـي تناولها فهد العسكر في شعره وعقد لكل منها فصلا خاصـا واعطاه نصيبه الاوفر من البحث و التحليل ، فقد تكلـم عن الشكـوى في شعر فهـد ، والغزل ، والـوصف ، والقـومية العـربية ، ويضيق بنا المجال ان اتينـا بشواهد من فهد العسكر في مختلـف الفنون التي اوردها المؤلف في كتابه.



خالد محمد الفرج

(خالد محمد الفرج شاعر عربي ولد في الكويت فاستلهم من سمائها صفاء الروح واخذ عن بحرها قوة العزيمة ليمزج كل ذلك في ابيات من شعر جعلته يتحسس آمالنا فيقول ويشعر بآلامنا فيصيح ويلمس حاجتنا فينادي . لقد كان خالد محمد الفرج مرآة صافية عكست اوضاع بلادنا في حقبة من الزمن فصورتها ممزوجة بالشذى الطيب الذي تفتحت عليه شاعرية مواطننا الراحل.

والاستاذ فاضل خلف يقدم لنا اليوم شاعرنا (الكبير باسلوب لا يقل في ادبه عن المستوى الذى وصله خالد محمد الفرج ونحن في الكويت بحاجة ماسة لازالة غبار النسيان عن رجال لنا سبقونا بعد ان سطر كلٌّ في حدود امكانياته صفحات مشرقة تدل على فعالية شعبنا وقدراته. لقد قام الاستاذ فاضل خلف بواجب عليه كبير وعلى شبابنا المهتمين بالتراث القديم أن يساهموا بمثل مافعل صديقنا الاستاذ فاضل خلف).

جريدة «اخبار الكويت»

ليت شعري أهكذا أنا أبقى	مثل رسمي ممتعا بشبابي
في ربيع العشرين أرقب آمالي	بقلب الى لقاهن صاب
أم سأفنى من الوجود وأبقى	ثاويا بين جندل وتراب
انما هذه الحياة أمان	كاذبات والسؤل حسن المآب

كتب هذه الابيات الاربعة على رسمه ، وهو في سن العشرين ، الشاعر الكويتي الاديب ، خالد محمد الفرج . وتبدو في هذه الابيات ، الروح الفلسفية جلية واضحة . فقد كان هذا الشاب كغيره من الشعراء الشباب ، الذين تولهه عقولهم أسرار هذا الكون ، من حياة وموت ، وأمل ويأس ، وفشل ونجاح . فكان هذا الشاعر الحائر — اذن — يقف على ابواب الحياة ، تتقاذفه دروبها الحائرة ، وكان يرقب أماله بقلب شيق، ويتطلع بشوق لمعرفة بعض أسرار هذه الحياة . ومن حسن حظ الكويت أنه أختار ارحب درب من دروب الحياة ، وهو درب الأدب.. هذا الدرب الذى خلده على الايام ، وجعل اسمه في كل قلب وعلى كل لسان ، ليس في

الكويت فحسب ، حيث ولد وترعرع في ربوعها ، بل سار ذكره في كثير من البلاد العربية ، لا سيما بلدان الخليج العربي ، والمملكة العربيةالسعودية ، حيث هاجر اليها سعيا وراء الرزق ، وحيث بزغ مجده الادبي. فالحياة بالنسبة الى شاعرنا الراحل ، خالد محمد الفرج ، لم تكن اماني كاذبات كما صورها له ربيع العشرين من ايامه بل بقي مثل رسمه ممتعا بشبابه ، برغم فنائه من الحياة وبرغم ثوائه بين جندل وتراب.

والفضل في ذلك كله الى الأدب الخالد الذى اختار شاعرنا دربه الرحيب، واغترف من معينه الرطيب .

ولد خالد محمد الفرج في الكويت ، في سنة ١٣١٦ هجرية ، وعندما بلغ الخامسة من عمره رحل مع اسرته الى الهند ، ودرس في مدرسة أنجمن اسلام الخيرية في بومباي ثم عاد الى الكويت في سن العاشرة ، وإلتحق بمدرسة الشيخ يوسف بن عيسى ، وكانت احسن مدرسة في تلك الايام ،واخذ من جهة اخرى يدرس علوم الفقه واللغة على أيدى بعض المدرسين المشهورين ، كالشيخ عبدالله بن خلف الدحيان ، والشيخ محمد الشنقيطي و الشيخ عبدالله بن خالد العدساني . وعندما أسست المدرسة المباركية ، كان خالد محمد الفرج من تلاميذها الاول .

وفي هذه المدرسة تفتحت له آفاق الادب ، فأخذ يقرأ كل ما يقع تحت يديه من شعر ونثر ، واخذ كذلك ينظم ما تجود به قريحته الخصبة . وكان يعرض ما ينظمه على الشيخ يوسف بن عيسى ، فيضحك على ما فيها من لحن ، ولكنه كان يشجعه

وأول قصيدة متزنة نظمها كانت في سن الرابعة عشر، بعث بها الى الحاج عبدالله محمد الفوزان ، في بومباي ، جعلها وسيلة ليتوسط له بالسفر الى بيروت ، للدراسة التي حالت ظروف الحرب دونها. ثم هاجر الى البحرين والقطيف، وتقلد هناك بعض الوظائف المهمة، وكان يتردد على الكويت أحيانا.

لقد نظم الشاعر الكويتي، خالد محمد الفرج، في نواح متعددة من الشعر، وأهمها الناحية الوطنية وعندما زار الكويت الزعيم التونسي الشيخ عبدالعزيز الثعالبي، في سنة ١٣٤٣ هجرية، استقبلته الاوساط المهتمة بالأدب استقبالا رائعا، واقامت له الطبقة المثقفة حفلا تكريميا تعاقب فيه الكتاب والشعراء على الترحيب بهذا الزائر الكبير، وكان من بينهم شاعرنا خالد محمد الفرج، الذى ألقى قصيدة رائعة بين يديه، تناول فيها كثيرا من الامور ولا سيما الوضع في الوطن العربي. نقتطف منها

هذه الابيات:

يــا أيها الاستــاذ جئــت منقبــا	عما ليعــرب مـن طلــول منـاقــب
لترى بقــايــا الفــاتحين فسلهــم	هــلا استطــاعــوا رد مجد ذاهــب
جبــت الجزيــرة غــربها وجنــوبها	فــرأيتهــا بتقــاطــع وتنــاصــب
وبكـــل شبر في الجزيـــرة أمـــة	تــرنــو الى جيرانها كــأجــانــب
ان قــام فيهــا مصلـــح ليلمهــا	قـامـوا لـه مــن عــاتـب او عـائب
شغلوا عن الـدين الذين هـو حصنهم	بطــوائف مـن بينهــم ومـذاهــب
جعلـوا الخلاف على الفــروع فـوارقــا	ليسـود فيهم حـد سيـف الغاصب

وكان شاعرنـا من زعماء الاصلاح في الكويت، فقد وجد في زمن ينكـر كل بارقة من بـوارق حريـة الفكر، وكـان يحمل لـواء الاصلاح نفـر من المواطنين المخلصين، ذكرهم مـؤرخ الكويت وأديبها الاول الشيـخ عبدالعزيز الـرشيد. في كتابه « تـاريخ الكويـت» وقد كـان هؤلاء المصلحـون يدعون لحرية الفكر، وسـط مقاومـة عنيفة كانت ترى في هذه الحركـة تطرفا وخروجا على الدين والتقاليد فيقول شـاعرنا خالد محمد الفرج في ذلك:

فـالمصلحـون خــوارج عـن دينهـم	والجاهلــون مصــابــح الارشــاد
وإذا ابـن هــذا العصر جاء مفـاخـرا	بعــلاه فــاخــرنــاه بــالاجــداد
صعـدت الى قمـم الجبال جـدودنـا	فعـلام صرنـا في حضيــض الـوادي
نمنــا فقــام الاخــرون واسســوا	بــالعلــم مجدا شــامــخ الاطــواد

هذا وكان شاعرنـا يهتف لكل مصلح يضع مصلحة وطنه فوق كـل اعتبار، وعندما توفى أحـد مصلحي البحريـن وهو الشيخ عبدالـوهاب الزيـاني، رثاه خالـد محمد الفرج بقصيدة جاء فيها:

لكـــن بــلاء الشرق ان رجــالـــه	تجــزى علـــى اعـمـالهـا بهـوان
ان أخلــدوا مستسلمين أقــامهــم	وخـز الشعــور بقـاضــب وسنـان
وإن استفــاقــوا مــارجين فمالهم	في رفـــع أرزاء البــلاد يـــدان
يتقلبــون على الشقــاء حيــاتهم	فسكـــوتهم وكــلامهـــم سيــان

وكان يعيش بكل جوارحه في المجتمع العربي، يتألم لآلامه ويفرح لافراحه، وعندما تعرضت بغداد لغضبة الطبيعة، في سنة ١٩٥٤، واخذ النهر الثائر دجلة، يهدد بغداد بالغرق ، بعد ان أتى على شيء كثير من الحرث والنسل، وأتلف ما أتلفه من الاخضر واليابس مدت الكويت يدها لنجدة شقيقتها العراق، بما يمليه عليها الواجب القومي المقدس. فنظم خالد محمد الفرج وكان اذ ذاك في سوريا، قصيدة يثني فيها على أمير الكويت، الشيخ عبدالله السالم الصباح، على موقفه الكريم تجاه ثورة الطبيعة في العراق ،قال فيها:

نرى بغداد تطفح بالرزايا	قد امتلأت بمحنتها الدروب
فلم يظهر لمحنتها مغيث	ولندائها منهم مجيب
وها هي فيهم اضحت تنادي	الاكابن الصباح فتى نجيب
يمد يداكما امتدت يداه	بفيض تنجلي منه الكروب
فمرحى لابن سالم ثم مرحى	عظيم في مكارمه وهوب

اننا اذ نذكر هذا، نرجو أن يذكر الأحرار في العراق ان الكويت اليوم تتعرض لغضبة متزعم طماع، يداهمنا بمزاعمه المؤلمة، فيروع الآمنين المطمئنين ويهددهم بالغزو والاحتلال.

وللشاعر خالد محمد الفرج، قصيدة رائعة، اهداها الى الشاعر الكويتي الكبير، صقر بن سالم الشبيب، منذ أربعين عاما تقريبا قال فيها:

معرى الكويت وبشارها	هززت من النفس أوتارها
بآيات سحر هتكن القلوب	أزحن عن النفس أستارها
هي الشمس تسطع فوق الجبال	وترمي الى القوس أنوارها
فينظرها كل ذي خبرة	ومن كان يجهل أسرارها
ولو مثلت للمعاني الرياض	لكانت معانيك ازهارها
أتاني شعرك مثل الحياة	فجدد للنفس تذكارها
وقد كنت أهتز للحادثات	اذا بدّلت فيّ أدوارها
فاطرب للحسن ان رمته	وأوسع للنفس مضمارها

لم يكن خالد محمد الفرج شاعرا مجيدا فحسب، بل كان كاتبا قديرا كذلك. وله مناقشات مع بعض الكتاب، تدل على سعة اطلاعه في الادب والتاريخ، منها

مناقشاته، مع الأستاذ عبدالوهاب محمد عبدالوهاب عن الكويت وعلاقتها بالمملكة المتحدة، على صفحات مجلة البعثة، وقد أثبتها الاستاذ سيف مرزوق الشملان، في كتابه (من تاريخ الكويت) لانه هو نفسه اشترك في تلك المناقشات، وكان له نصيب الاسد فيها.

وعندما كتب خالد محمد الفرج، مقدمة لديوان الشاعر عبدالله الفرج ، تطرق الى الحديث عن الشعر في نجد، وناقش الدكتور طه حسين، في بعض آرائه التي اثبتها في كتابه (في الادب الجاهلي)، فالدكتور طه حسين، يرى أن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا لا يمثل الشعر الجاهلي، لانه نظم في لغة واحدة، بينما كان للعرب قبل الاسلام عدة لغات، والمقصود باللغات هنا ما يسمى اليوم باللهجات وعلى هذا بنى الدكتور طه حسين رأيه المشهور القائل بان الشعر الجاهلي ، شعر مزور وضع بعد أيام الجاهلية بوقت طويل. فيرد عليه الاديب الكويتي، خالد محمد الفرج قائلا:

«ولو جاء الدكتور طه حسين، الى الجزيرة العربية الان ودرس الشعر العامي في نجد وما جاورها من بلاد الخليج العربي والحجاز وتهامة ،لما أصدر حكمه المشهور في كتابه (في الأدب الجاهلي)، لان الوضع في نجد، لايزال كما كان عليه في عصر الجاهلية، فالشعراء على الغالب أميون. والبدو منهم لم يتغيروا عما كان عليه أجدادهم الاولون. فأساليب المعيشة والقتال، ودواعي الفخر والنسيب وغير ذلك، باقية لم تتغير عما كانت عليه في الزمن الاول، ولولا جهلهم بالآدب العربية الاولى لزعمنا أنهم سرقوا معاني الاولين ونظموها فقد كادوا ينطقون بألسنتهم وينسجون على منوالهم».

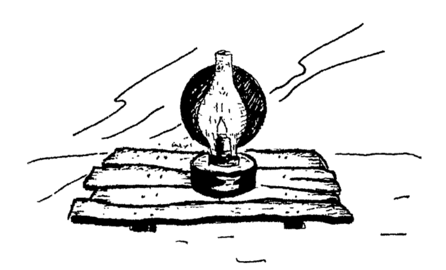
ومن مؤلفات خالد محمد الفرج « احسن القصص » وهي سيرة الملك عبدالعزيز سعود نظما وكتاب علاج الامية في تبسيط الحروف العربية، اما مخطوطاته فمنها كتاب (الخبر العيان، في تاريخ نجد وجيرانها) وهو تاريخ مفصل اعتمد في تأليفه على سماع الخبر، وعلى العيان والمشاهدة عن كثب، وهو يحتوى على تاريخ نجد مطولا، وعلى خلاصة تاريخ البلاد المجاورة كعمان وقطر، والبحرين والكويت والزبير ، وعسير، ومن مخطوطاته كذلك كتاب (رجال الخليج) وفيه سيرة وتاريخ رجال الخليج المصلحين الذين لهم خدمات مشكورة كأحمد بن رزق وبعض آل

خليفة، ورحمة بن جابر وابن ثاني ومبارك الصباح ومن الشعراء بن لعبون، وعبدالله الفرج.

لقد كان الاديب الكويتي الشاعر خالد محمد الفرج، يحب وطنه برغم التنائي، وكان يحن الى الكويت كثيرا، وينظم فيها قصائده الجميلة ، ومنها قصيدة مطلعها:

وطنـي ومهـد أبي ومسقـط رأسي   أهـواه حتـى آخـر الأنفـاس

وعاد الى الكويت بعد طول غياب، في شهر محرم من عام ١٣٧١ فجدد ولاءه للوطن الحبيب، الذي شب في مدارجه، واستقبل تحت سمائه أولى نسمة من نسمات الحياة .



أيام الكويت

أجلس الآن امام المذياع في دار الاذاعة الكويتية، وفي الموضع الذي كان يجلس فيه منذ ثماني سنوات، شاب عربي اديب، ليذيع في الأسبوع اكثر من حديث واحد، وليسامر المستمعين بحديثه الطلي، في الأدب والتاريخ وشئون الحياة، وكان لأحاديثه الشائقة والقائه الجميل، احسن الأثر في نفوس المستمعين، ذلكم هو الاستاذ الأديب، الشيخ احمد الشرباصي، من علماء الأزهر الشريف. وكان الاستاذ الشرباصي، مبعوث الأزهر للتدريس في المدرسة المباركية، التي احتفلنا بعيدها الخمسين الذهبي منذ اسبوعين. وكان ذلك في العام الدراسي ٥٣-٥٤ وخلال تسعة اشهر، انتج الاستاذ الشرباصي، مئات الصفحات الأدبية المعطرة بالحب والإخلاص. ومن يتصفح كتابه الجليل «ايام الكويت» يجد صدق هذا القول، ويؤمن بحق وحقيق، بأن المؤلف أتى بأشياء جديدة عن الكويت، لم يتطرق اليها احد من الكتّاب قبله، وخاصة ما خطه عن شعراء الكويت المحدثين. وكان الباحثون يستقون معلوماتهم عن الأدب في الكويت من مصدر واحد، هو كتاب «تاريخ الكويت» للمرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد، فلما ظهر كتاب أيام الكويت، وجد الباحثون مصدرا آخر عن الأدب في الكويت، وسيبقى هذان الكتابان المصدرين الوحيدين عن الحياة الفكرية في الكويت، حتى يظهر كتاب ثالث، أتمّ وأوفى منهما ليكون المصدر الصحيح عن الحياة الأدبية والفكرية بالكويت، قديما وحديثا.

ولم يكن الاستاذ الشرباصي، مجهولا عند الطبقة المثقفة في الكويت قبل مجيئه بل كان ملء القلوب والأسماع، وكانت مقالاته الصادقة في مجلة البعثة الكويتية، التي كانت تصدر في القاهرة، تحمل الى القراء اطيب أنبائه، وأعطر آرائه في الأدب والحياة. وقد أطلق عليه المثقفون في الكويت، ولا سيما الطلاب المبعوثون لتلقي العلم في مصر، عدة اسماء وألقاب، وهي «صديق الطلبة الكويتيين في مصر» و «صديق بيت الكويت» و «صديق البعثة» و «صديق الكويت» و «المصري الكويتي». وعندما هبط الكويت، كانت سمعته الأدبية تسبقه اليها. وما كاد يستقر به المقام في يوم الأول، حتى طلبت منه هيئة ادبية، كلمة تلقى في

احتفال اقامته ، فلبى الدعوة . وانهالت عليه الطلبات بعد ذلك من جميع الهيئات الأدبية ، ومنها دار الاذاعة الكويتية .

ولسنا بحاجة الى تمجيد أعماله الأدبية ، واطراء ما أنتجه خلال تلك السنة ، فهو اديب طموح ، وشعلة من جد ونشاط ، في الكتابة والتأليف ، وان آثاره الحية تنبئنا عن طموحه ونشاطه . ولكن ما هو صدى مجهوداته في ميدان التربية والتعليم، وهو الميدان الذي جاء لخدمته ؟ والجواب على هذا السؤال ، نجده في تقرير دائرة المعارف ، الذي بعثته الى الأزهر الشريف ، وهذا جزء يسير منه :

«قام بأداء واجبه على خير وجه وأكمله ، محبوب ومحترم من تلامذته وزملائه ، مرضي عنه من رؤسائه ، قام بنشاط ملحوظ في المدرسة كما قام بنشاط اجتماعي خارجها ، سواء بالقاء المحاضرات ، او حضور الندوات ، او التحدث في المذياع ، مثل ممتاز في الحيوية ، اجتماعي من الطراز الأول ، وصاحب رسالة لا تقتصر على حدود الوظيفة . من خير من مثّل الأزهر في الخارج ، ومن خير من يرفع رأس الأزهريين في مهنة التدريس ، وفي النشاط الاجتماعي».

فما الذي عمله الاستاذ احمد الشرباصي في الكويت ، ليكون له هذا القِدح المعلّى من الاطراء والتمجيد ؟ ان الجواب يقع في كلمة واحدة هي «الاخلاص» ، وبدون الاخلاص ، لا يجوّد عمل ، ولا ينجح مشروع . فهو لم يقتصر على تلقين طلابه المواد المدرسية المقررة ، بل تجاوزها الى ميادين فسيحة أخرى ، وفي مقدمتها «فن الحياة» ولا تعجبوا من هذه الكلمة ، فالشيخ أحمد الشرباصي ، وهو رجل الدين ، كان يتقن فن الحياة اتقانا دقيقا ، وما أصعبه من فن ! إنه فن يرشد الانسان ليحيى مع نفسه واسرته ومواطنيه ، حياة كلها حب وسلام ، ولا يستطيع أي انسان ان يهب الحب ، وفاقد الشيء لا يعطيه كما يقولون . اما الاستاذ الشرباصي ، فلم يكن فاقد الحب ، لذلك فقد وهب لطلابه وزملائه وأصدقائه في الكويت ، مقادير عظيمة منه ، وصدق من قال : «الحياة الحب والحب الحياة».

واشترك الاستاذ الشرباصي ،في مجالات عديدة من النشاط المدرسي ، فكان يشجع الطلاب على الخطابة ، وكوّن جماعة من الطلاب المبرّزين في اللغة العربية لهذا الغرض . واشترك مع الطلاب كذلك ، في الاشراف على مجلة «اليقظة» التي كانت تصدرها المدرسة المباركية ، وكانت من أقوى المجلات المدرسية التي عرفتها

الكويت . وكان يشجع الـرياضة ، وينزل الى الملعب بملابسه الدينيـة ، وقد قال له مديـر المعارف ، الاستاذ عبدالعـزيز حسين ، عندما شـاهده في المهرجان الـرياضي السنـوي ، وهو يمارس احـدى الالعـاب الريـاضيـة مع الـريـاضيين من الطـلاب والمدرسين ، وأمام الألـوف من المتفرجين « إن اشتراكك هـذه الدقائق ، بمـلابسك الأزهرية في المهرجان، خير من مائة خطبة تلقى في تشجيع الرياضة» .

اما الرحلات المدرسية ، فقد كان عضوا بـارزا من اعضائها ، وقد زار بقاعا في الكويت ، لم يرها كثير مـن شباب الكويت حتى اليوم . وهذا جانـب هام آخر من جوانب حـبّ الاطلاع والبحث ، عند الاستاذ الشرباصي ،ولا اعتقـد انني استطيع تحليل هذا الجانب ، كما حلله بنفسه في كتابه «أيام الكويت» ، فهو يقول :

«جعلت من بين ما أحرص عليه وانا في الكـويت ، لؤلؤة الخليج ان ارحل الى كلّ جـانب مـن جوانبهـا ، فأزور قـراها ومشـاهدهـا ، واقف على مغـانيها الهادئة النائمة في احضان الخليج ، واغمر نفسي بمشاعـرها وعواطفها في الأجواء المختلفة ، التـي تتعدد في هـذه الأجـزاء الغـالية مـن الامـارة الحبيبـة . والعجيب ان ارجـاء الكويـت ، على الرغم من صغـر مساحتها يمتـاز كلّ رَجَاء منها بجـو ومذاق ، ولا يستطيـع المرء ان يقول إنـه زار الكـويت أو عـرفهاً - ولـو قضـى فيها الشهـور أو السنوات - الا اذا رحـل الى انحائهـا واجزائها ، يـرى ويشاهـد ، ويحس ويشعر ، ويستوحي ويستلهم ، ، ويفكر ويتأمل» .

وقد كان الاستـاذ الشرباصي ، يقوم بكلّ هذه الأعمال المتلاحقـة ، وهو متزوج وله اطفال ، وعنده ما عند ربّ العائلة من إلتزامات وشئون .

وكتـاب «أيام الكـويت» ، مـوسوعـة ادبية ، يجد فيهـا القارىء ، كـلّ ما لـذ وطاب عن الكويت : تاريخا وعلما وأدبا وصحافـة واجتماعا . وإن كانت لنا ملاحظة على الكتـاب ، فهي ان المؤلـف نقـل كثيرا من فصـولـه ، كما نشرها في الصحـف ، وبـدون تهذيـب او تعـديـل ، وهـذا في نظـري هـو المأخـذ الـوحيـد على الكتـاب والكـاتب. وقـد قال المؤلـف نفسه في خـاتمة الكتاب : «ولـو انني استـأنفتُ أيـام الكـويـت نظـرا وطبعـا ، لأخـرت وقدمـت ، وزدت وحـذفـت ، ولا أدّعـي اننـي استكملت» .

وبعد ، فقـد ذكرنا في مستهـل هذا الحديـث ، دار الاذاعة الكويتيـة، ومجهود الاستـاذ الشربـاصي فيها . ونختتـم الحديـث بما افتتحنـاه بـه . فقد اشـاد المؤلـف

بالاذاعـة كثيرا ، وأورد في كتابه أبيـاتا للشاعـر عبدالقـادر يوسف ، وكـان زميله في التدريس ، وفي الأبيات نبوءة تحققت بشأن الاذاعة الكويتية ، فهو يقول :

دار الاذاعـة في الكـويـت تحيـة — تهدى اليـك روائع الأشعـار
انـت الفتيـة، غير انـك نعمـة — حلّـت، ولمح تقـدم وفخـار
يـا منبراً يـدعـو لكـل فضيلـة — ويشيـع فينـا سيرة الأطهـار
قـد صرت محتشـد البيـان، وروضـة — للصـادحين، ومعقـل الأحـرار
تـرنـو اليـك قلـوبنـا مـأخـوذة — يـا بسمـة الآمـال والأزهـار
ان كـان هـذا الشأن شـأنـك طفلـة — فغـداً نفـاخـر فيـك أعـرق دار

فمن دار الاذاعة الكـويتية نحيي الأستاذ الأديـب ، الشيخ أحمد الشرباصي ، مؤلف كتاب «أيام الكويت» ونرجو له التقدم والازدهار في ميادين الأدب .



عبدالله خلف الدحيان

أين كنت قبل اليوم عن سيرة عالم الكويت التقي ، ورجلها الورع الفاضل الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان ؟ ولم تأخرت عن الكتابة عنه حتى الآن ؟ .

الحقيقة انني كنت قريبا جدا من هذا العالم المخلص اذ كان يعيش في فكري وقلبي سنوات طويلة ، وكانت المصادر عنه بقربي رغم قلتها ، ولم اتأخر في الكتابة عنه ولكنني احجمت . اقول احجمت لانني كنت أتهيب من تناول سيرة هذا المصلح الفذ الذي اثنى عليه الجميع وشهدوا له بالفضل والسبق في ميادين الفقه والعلم والادب ، وفي ميادين الاصلاح والاخلاص . وكان احجامي عن الكتابة عنه كاحجام ابي نواس عن مدح الامام علي بن موسى الرضا عندما قال :

قيل لي انت احسن الناس طرا	في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح	يثمر الدر في يدى مجتنيه
فلماذا تركت مدح ابن موسى	والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام	كان جبريل خادما لأبيه

لذلك كان احجامي عن عرض سيرة الشيخ عبدالله بن خلف ، هو تهيبي من عظيم مكانته وجلائل اعماله ، فهو كما قال عنه الشاعر الكويتي المرحوم خالد محمد الفرج :

فهو شيخ العلم والاعمال في طهر الرضيع

وهو ايثار وزهد	في خشوع وخضوع
وهو في التقوى كحبر	ذي كبور وركوع
طلق الدنيا ثلاثا	بائنا دون رجوع
حسبه بلغة عيش	بعدها لذعة جوع

وهو لو شاء لاضحى اليوم في عيش وسيع

ظاهر في كل حزب	منتهى جمع الجموع

ولد الشيخ عبدالله بن خلف في الكويت في حدود عام ١٢٩٢ هجرية وتلقى دراسته الاولى في الكويت ثم هاجر الى الزبير للاستزادة من العلم، والاطلاع على آفاق المعرفة . وكانت الزبير في تلك الايام تضم نخبة من اهل العلم والفضل كالشيخ صالح المبيض ، والشيخ محمد بن عبدالله العوجان ، والشيخ عبدالله بن حمود ،من الذين اخذ شيخنا العلم على ايديهم وتخلق بأخلاقهم الحميدة وتحلى بفضائلهم السامية ، وعندما رجع الى الكويت اخذ يهب علمه لمن يطلبه من طلاب العلم والمعرفة . وكان محبوبا من جميع طلابه والمقربين إليه ، وكان رائده اشاعة العلم بين مواطنيه ونشر الاخلاق السامية في ربوع الوطن . ثم تولى القضاء في سنة ١٣٤٨هـ . ويقول عنه الشيخ يوسف بن عيسى في كتابه صفحات من تاريخ الكويت :

«وكان مثالا للعزة والنزاهة والعدل ، ولم نعرف احدا تولى القضاءوأدى واجبه مثله . وكانت توليته القضاء بالزام من الشيخ احمد الجابر ، لانه متعين عليه القيام بهذه الوظيفة ، حيث لم يوجد من يماثله في العلم والاصلاح . واستقام في القضاء محتسبا لم يأخذ أجره عليه» .

وقد تخطت شهرته آفاق الكويت واصبح معروفا في البلاد العربية المجاورة ، بفضله وأدبه وعلمه ، مما جعل الشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك الاحسائي يقول فيه:

ألا أبلغا عني فتى المجد اطلاقا	ومن سبق الاقران في العلم اطلاقا
وأربى على نهر المجرة فقهه	لذا زهرها لاحت لعلياه اخلاقا
أديب على حبيه أطوى جوانحي	وأجعله في موقف الحشر ميثاقا

وقد كان الشيخ عبدالله بن خلف مصلحا يمشي في مقدمة زعماء الاصلاح ودعاته، وهو اول خطيب في حفل افتتاح المدرسة الاحمدية ، ومن خطباء الجمعية الخيرية عند افتتاحها . ويقول المرحوم عبدالعزيز الرشيد في تاريخه :«هو أجل علماء الكويت اليوم وأصلحهم . وقد أمتاز عليهم بالهدوء والسكون وحسن المعاشرة وبالاخلاق الفاضلة والاداب الجمة التي يغبط عليها . قلما يسيء الى جليسه مهما بدر منه ، صبور على الشدائد ، جلد على المصائب ، وهو على علمه وفضله لا يستنكف من الاخذ عمن هو دونه علما . وقد جمع مع علمه الواسع كرمه الحاتمي

وقلبه الحصيف ، وله مكانته بين القوم ، لعفته النادرة ، وتقاه الصحيح ، حتى ان كثيرا من الناس يقطعون المسافة البعيدة من اطراف الكويت الى حي القبلة لصلاة الجمعة خلفه».

وكان المرحوم الشيخ عبدالله بن خلف محبا للادب ، ويقول الشعر في بعض المناسبات ، ومنها ان الاستاذ عبدالعزيز الرشيد عندما مدح الجزيرة الصغيرة التي تقع في الجهة الشمالية من الشويخ - وكان البقعة الحبيبة لكثير من المواطنين الذين ينشدون الراحة والاستجمام - انبرى له الشيخ عبدالله بقصيدة مضادة قال فيها :

على هاجري الاوطان يبغون دونها	وجل هواهم في سباخ الجزيرة
مناظرها تعزى الى ضد وصفها	فلا حسن فيها لرب البصيرة
أعشاق سبخاها وحلال ربعها	بسوء مناخ في اراض صغيرة
لئن طاب منها الليل فالويل في الضحى	اذا اتقدت رمضاؤها في الظهيرة
أيدفع للاخصاص حر شموسها	ومن قصب بال بناء الحظيرة
ومأواكم خص العوازم ذو الاذى	كبير به كرب العيون القريرة
ومن عجب ان راقكم منه منظر	يشق على كل النفوس الكبيرة
اذا صال جمع البق والبرغش الضحى	به الكرب والمكروب من ذي المغيرة

وتوفى الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان في أواخر رمضان من عام ١٣٤٩ ، فكان موته خسارة فادحة للعلم والوطن . واقيم له حفل تأبيني عظيم في المدرسة المباركية تكلم فيه اكثر من خمسة عشر مؤبنا ، بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته، حضره حشد عظيم من اهل الكويت وفي مقدمتهم امير الكويت السابق المرحوم الشيخ احمد الجابر الصباح ، وامير الكويت الحالي الشيخ عبدالله السالم الصباح ، وهذه هي قصيدة الشيخ يوسف بن عيسى في هذا الخطب الجلل :

يا راحلا عنا بذاتك	رفقا فأنا من هواتك

فالناس حولك في الممات كمثلما هم في حياتك
لا فرق بين الحالتين سوى سكوتك عن عظاتك

هم حول قبرك ينحبون	كما بكوا من بيناتك
يبكون حولك حسرة	وعلى صفاء في صفاتك

وعلى النـــزاهـــة والتقـــى وعلى الفضـــائل مـــن سماتـــك
وعلى الفضيلـــة والقنـــاعـــة والجزالـــة في صـــلاتـــك
أرثيـــك يـــا بحـــر العلـــوم ولســـت أنســـى فضـــل ذاتـــك
مـــن للـــدراســـة في الكـــويـــت ولـــلافـــادة مـــن هـــداتـــك
فـــالعلـــم اصبـــح مـــدبـــرا وعـــن المدارس في مماتـــك
والـــديـــن اوهنـــه السقـــام فصـــار حقـــا مـــن نعـــا تـــك
يـــاراحـــلا نـــم في الامـــان الى القيـــامـــة في سبـــاتـــك
واهنـــأ بجنـــات النعيـــم جـــزاء نفعـــك في حيـــاتـــك

ومن المؤبنين كـذلك المرحـوم الشاعـر خالـد محمد الفـرج والاستاذ عبـدالله النوري الـذي رأس حفل التـأبين ، وكان اذ ذاك مدرسـا في المدرسة الأحمديـة ، وقد أدى الشيخ عبدالعـزيز الرشيد واجبـه خير اداء في تأبين الفقيد ، في مجلة الكـويت والعـــراقـــي ، وكـــان يصـــدرهـــا في ديـــار غـــربتـــه في انـــدونيسيـــا .



شعراء الكويت والجزيرة الصغيرة

الترويح عن النفس امر مرغوب فيه ، لانه يذكي في الانسان العزمات ، ويحيى في النفس بوارق الامل ، ويجدد في الفكر طاقاته البناءة ، وينسب الى الامام علي بن ابي طالب قوله «روحوا عن قلوبكم ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب اذا كلت عميت ، واذا عميت لم تفقة شيئا» . ويحس الانسان عادة بميل الى الراحة والاستجمام بعد عناء العمل ومتاعب الحياة ، فينشد الراحة والطمأنينة في الاماكن الخالية التي وهبت لها الطبيعة من جلالها وروعتها ما يذهب عن النفس الضيق والتعب ، ويشيع فيها الفرح والسرور . واذا كان الترويح عن النفس مرغوبا فيه للانسان العادي فهو للمفكرين من ضرورات الحياة ، بل هو واجب مقدس . لأن المفكر يحتاج الى لحظات من الهدوء والسكينة يخلو فيها مع الطبيعة المعطاء ، يستهديها من جمالها وبهائها ما هو بحاجة ماسة إليه ، فينشط جسمه ويتنبه فكره ، ويذهب عن قلبه الملل والكلال . ويستطيع أي مواطن اليوم في الكويت ان يروح عن نفسه في البلدان التي تتمتع بطبيعة ساحرة تضفي على ربوعها كل ما لديها من فتنة ورواء ، ولكنْ كان الامر يختلف تمام الاختلاف منذ عشرات السنين . فقد كانت مرابع الكويت هي المنتجع الوحيد لطلاب الراحة والاستجمام وكلما كان المربع بعيدا عن المدينة ، كان نفعه اعم واوفى .

وكانت الجزيرة الصغيرة - وهي التي تقع في الجهة الشمالية من الشويخ - البقعة الحبيبة لكثير من المواطنين الذين ينشدون الراحة والاستجمام . وللمفكرين بخاصة . وقد حظيت الجزيرة باهتمام كثير من شعراء الكويت الذين زاروها طلبا للهدوء وترويحا عن النفس . وكان لكل منهم انطباعاته الخاصة عنها . فمنهم من وجد فيها بغيته فراح يتغنى بمحاسنها الفاتنة ومزاياها النادرة ، ومنهم من ناله منها الاذى والبلاء فغدا يوجه إليها الاتهام والهجاء المر . فمن الشعراء الذين ذكروا الجزيرة بالخير وطيب الثناء (وان تعرضوا اليها بشيء من التنديد) المرحوم عبدالعزيز الرشيد صاحب « تاريخ الكويت » ومن قوله فيها :

رحلنا الى ارض الجزيرة علنا ... نزيل هموما بالفؤاد استقلت
فنلنا بحمدالله ما فيه انسنا ... ولو نالنا في ذاك بعض المشقة

فاعظم ما يدني الى القلب انسه	مناظر يعزى حسنها للطبيعة
كنظرتنا للبحر والبحر هادىء	ومنظره والموج يبدو كهضبة
وما فيه من سفن تمر كأنها	طيور ببحر الجو تجرى بسرعة
وما ضرنا حَرّ الجزيرة اذ غدا	كنار لها في القفر اعظم شعلة
ولا البق اذ يمسي علينا محلقا	كما حلق (البالون) يوم الكريهة

والشيخ عبدالعزيز الرشيد في هذه القصيدة يثني على الجزيرة برغم بعض المشاق التي واجهها فوق ثراها المحرق في ايام الصيف ، وبرغم البق الذي كان يزحف بجيوشه الجرارة . ولكن المرحوم الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان ، يرى في الجزيرة غير ما يراه الاستاذ عبدالعزيز الرشيد فهو لم ينل منها سوى المتاعب والمضايقات . لذلك فهو يقذف الجزيرة بقصيدة تتلهب كما تتلهب ارض الجزيرة في عز الصيف عند الظهيرة. وهو في قصيدته هذه ينذر كل من تحدثه نفسه بزيارة الجزيرة ، ويخوفه من حرها وحشراتها المختلفة حيث يقول :

على هاجري الاوطان يبغون دونها	وجل هواهم في سباخ الجزيرة
مناظرها تعزى الى ضد وصفها	فلا حسن فيها لرب البصيرة
اعشاق سبخاها وحلال ربعها	بسوء مناخ في اراض صغيرة
لئن طاب منها الليل فالويل في الضحى	اذا اتقدت رمضاؤها في الظهيرة
أيدفع للاخصاص حر شموسها	ومن قصب بال بناء الحظيرة
ومأواكم خص العوازم ذو الاذى	كبير به كرب العيون القريرة
ومن عجب ان راقكم منه منظر	يشق على كل النفوس الكبيرة
اذا صال جمع البق والبرغش الضحى	وجاء اليكم بالجيوش الكثيرة
فما عاصم منه كبير مكبر	به الكرب والمكروب من ذي المغيرة

وعندما يقرأ طلاب الراحة والاستجمام قصيدة الشيخ عبدالله بن خلف يدركهم الخوف من الجزيرة المحرقة ذات البق والبرغش ، فيبحثون عن مربع اخر يجدون فيه الانس والافراح وراحة الارواح . ولكنهم عندما يقرأون قصيدة المرحوم الشيخ عبدالمحسن بابطين وهو يتشوق فيها الى الجزيرة يغيرون رأيهم ويتطلعون لزيارتها بكل شوق وحنين ، وكيف لا وهم يرون هذا الشاعر يخصها بأطيب

النعوت والاوصـاف ، ويفضلها على لبنـان ويتمنى ان يقضي فيهـا ولو سـاعة مـن زمان ، ليجد في رحابها الانس والافراح ويقول في قصيدته :

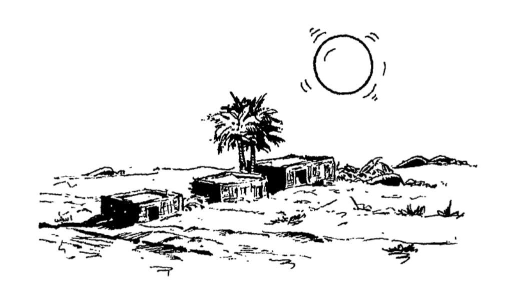
يـا ليتنـي احظـى بها لـو سـاعـة ... فـأنـال فيهـا الانـس والافـراحـا
فلهـا عـدا حسـن الهواء فضيلـة ... مـرأى عجيـب يـذهـب الاتـراحـا
ولها على لبنـان فضـل واضـح ... فسلـوا ملـوك الارض والسيـاحـا
وعلمـت ان بها عجـائب جمة ... لما سنـاهـا مـن بعيـد لاحـا
فترابها كـالمسـك فـاح اريجه ... او مـا تـرى ارجـاً بها فيـاحـا
بـالله ان سرتـم اليهـا ثـوبـوا ... لمحبكـم مـن مـائهـا اقـداحـا
مـا شـاقنـي جـزر سـواهـا تنبت ... الـزيتـون والـرمـان والتفـاحـا
وبـلابـل تشـدو واقمار بها ... وكـواعـب يسلبننـا الارواحـا

ويستبشر الشيخ عبـدالعزيز الـرشيد بأبيات الشيـخ عبدالمحسن بـابطين ويرى في صديقـه الشاعر خير نصير ومؤازر . فهـو بعد ان كان يتحفظ في ثنـائه على الجزيرة ويمزج المدح بالقدح في قصيدته الاولى رأيناه ينظم قصيدة اخرى يكيل فيها المدح لصديقـه الشاعـر الذي شـد ازره في الثناء على الجزيـرة ، ويصفه بـأنه الاديـب بل العَلَـم الذي امسـى في الشعر كـوكبه الـوضاح ، والـذي حسنت بـوصفه صخـور الجزيرة الجاثمة فأصبحـت رياضا فواحة . ثم يخص الجزيرة بمـدحه وثنائه.. وهذه هـي قصيـدة الشيـخ عبـدالعـزيـز الـرشيـد :

انظـر الى وصـف الاديـب بنظمـه ... لجزيـرة تحوي بها الأفـراحـا
فبـذاك تعلـم انـه العلـم الـذي ... في الشعر امسـى الكوكب الوضـاحا
فبـوصفـه حسنـت صخـور جثـم ... فيهـا واضحـى روضهـا فيـاحـا
يـا فـاضـلا في وصفهـا لم يعـد مـا ... في القلـب مني لا عدمـت فـلاحـا
إن الجزيـرة انسنـا يـا انسنـا ... ويحبهـا جمع غفير بـاحـا
وأنـا - فـديتـك - عـذلي في حبهـا ... جمع وكـل قـد غـدا ملحـاحـا
لكننـي مـن عـذلهم لا انثنـي ... حتـى ولـو أولـوا حشـاي جـراحـا

ونخرج بعـد دراسة هذه القصـائد الاربع بنتائج مفيدة فـالشيخ عبدالعـزيز الرشيـد عندما اثنى على الجزيـرة في قصيدته الاولى اعترف صراحـة بأنه برغـم انسه

فيها نـاله منها بعـض المشقة ، كحرهـا المحرق ذى اللهيب وبقهـا الهائج المخيف الذي احدق بالصحب كالاعداء في يوم الكريهة . والشيخ عبدالله بن خلف عندما هجا الجزيرة اعترف لها ببعـض الفضل عندما قـال «ان ليلها طيب» وقصيدتـه هي القصيدة الواقعية الـوحيدة من بين هذه القصائد الاربع . وامـا الشيخ عبدالمحسن بـابطين فقد اغـرق في الثنـاء على الجزيرة حتـى ابتعد عـن الحقيقـة ، حيث فضـل الجزيرة على لبنان وعلى كل جزيرة تنبت الزيتون والرمان والتفاح بما فيها من البلابل الشادية والكـواعب الاتراب وهي لا شـك دعابة من الشـاعر يدركها كـل أريب . وروح الدعابة والمرح تبدو جلية واضحة في كـل قصيدة من القصائد المذكورة التي اثبتها صاحب تاريخ الكويت كاملة في كتابه .





كـان لاهل الكـويت ، قبـل ان تتـدفق عليهـم البركات مـن الارض والسماء رحلتـان ، رحلة الشتـاء الى السفر ، ورحلـة الصيـف الى الغوص ، فـرحلة الغـوص كانـت للبحث عـن اللؤلؤ في اعماق الخليـج العربي . واما رحلـة السفر ، فكـانت اطول مـن رحلة الصيـف ، وكان مجالها يمتـد الى سواحـل الهند وافـريقيا . وكـانت هاتان الـرحلتان ، هما مورد الرزق الرئيسي لاهـل الكويت . لذلك كـان الكويتيون يعرفون من اسرار البحار ، ما لا يعـرفه الكثيرون من جيرانهم . فنبغ منهم عدد كبير من البحارة الماهرين ، الذين يجوبون البحـار اكثر ايام السنة ، وفي مقدمتهم البحار الكويتـي عيسى بن عبدالـوهاب بن عبدالعـزيز القطامي . ولم يقتصر هـذا البحار الكويتي على علوم البحار ، بل تجاوزها الى الادب الـذى عشقه فأصبح من رجاله، وهذا الادب هو الذى خلده على الايام ، برغم أثـاره الادبية القليلة ، التي تركها بعد وفاته ، وهذا البحار الكـويتي الاديب ، يذكرنا بذلك البحـار العربي القديم ، احمد بن ماجد كما يـذكرنا في هذا العصر ، بالبحار البولندى الاديـب ، الذى اصبح بعد ذلك مـن كبار كتـاب الانجليز ، واعني بـة جوزيـف كنراد . ولـولا الادب لما ذكر الناس عيس القطامي ، الاكما يذكـرون غيره من رجال البحر في مجالسهـم الخاصة ، وأحاديثهم العابرة .

ولد عيسى القطامـي في الكويت في سنة ١٢٨٧ هجرية ، وعنـدما بلغ السنة الاولى من حيا ته توفي والده ، فأخذت والـدته تتعهده وترعاه الى ان ادخلته الكتاب فتعلم القراءة والكتابة والحسـاب وختم القرآن وهو في التاسعة . ثم سافـر مع خاله ثنيان الغانم ،في احدى رحلات السفر ، التـي اشرنا اليها في مستهل هذا الحديـث ، وبقي معة سنتين في اسفاره ، ثم سافر مع خالـه ابراهيم الغانـم ، مدة ثلاث سنوات ، فأبدى على صغر سنه، طموحا ونبـوغا حسده علية الكثيرون من زملائه . وكان في هذه الاسفـار يلتهم كـل ما يقع في يـديه من كتـب في علم البحـار ، ويحاول بقدر المستطاع ان يستفيد مما يقـرأ ، وكان بالاضافة الى المطالعـة ، يتمرن على اجادة الخط حتى اتقنه ، وعلى الحساب حتى اجاده اجادة طيبـة - وكان يرمي من وراء كل هذا الاجتهاد ، ان ينال ارقى المناصب من وظائف البحـر وكان له ما اراد . اذ انه ما بلغ

الرابعة عشرة ، حتى تقلد وظيفة «معلم» وهي تعادل وظيفة ضابط بحري في هذه الايام . فسافر مع الربان الكويتي ، أحمد بن ناصر ، متنقلا بين السواحل العربية والهندية والافريقية . وكان في رحلاته الطويلة ، يقرأ كتب الاقدمين عن البحار وعلومها ، وما يتعلق بها من علوم الفلك والرياضيات ، ويسجل في مذكراته كل طريف ومفيد منها ، حتى اشتهر بين زملائه ومواطنيه ، بأنه استاذ في هذه العلوم وباحث مدقق فيها وأخذت عبارات التشجيع والاطراء ، تنهال عليه من كل جانب ، لتأليف كتاب شامل ، عن البحار والبروج والمجاري والموانيء ، وهي الامور التي يحتاجها جوّاب البحار ، في سفراته الطويلة . فلم يستطيع ازاء هذا الاطراء وهذا التشجيع سوى تلبية رغبة مواطنيه الاعزاء . ثم أخذ في جمع مذكراته التي كان يدونها في سفراته الكثيرة ، حتى تجمع لديه منها ما يكفي لتأليف كتاب كامل شامل ، في هذا الباب . وعندما انتهى من جمع مادة الكتاب ، سافر الى بغداد فطبعه في سنة ١٣٤٢ هجرية .

وعندما طبع الكتاب ، استقبله المواطنون استقبالا حسنا ، واخذوا يتهافتون على قراءته وقد قلنا منذ قليل ، ان اهل الكويت كانوا من رواد البحر ، وقد تعمد المؤلف ، ان يكتب هذا الكتاب بلغة عربية مبسطة ، فيها كثير من الالفاظ العامية ، لكي يتمكن كل مواطن من قراءته والاستفادة منه . ولو ان المؤلف كتبه بلغة عربية فصحى لعجز كثير من اهل البحر عن معرفة ما يحتويه من معلومات قيمة في علوم البحار . وما كاد الشاعر الكويتي الكبير صقر بن سالم الشبيب ، يطلع عن الكتاب ، حتى حييّ مؤلفه بقصيدة قال فيها :

دليلك للمختار خير دليل ... واحسن ما يهدى بكل سبيلِ
فشكرك يا عيسى القطامي واجب ... على كل ذى عقل - رآه - جليل
ولم لا وقد سهلت فيه مطالبا ... تبل من المختار كل غليل
واوضحت للربان منا سبيله ... بألطف ابواب به وفصول
سيجزيك ارباب العقول اذا رنوا ... اليه بشكر - لا يبيد - جزيل
وعند لقاء الله يرضيك جازيا ... وربي بها يرضيك خير كفيل
ومن نال شكران الالباء محسنا ... ونال لدى مولاه كل جميل
فذاك جدير ان يجر ذيوله ... على كل سام في الفخار طويل

لقد ذكر المرحوم عيسى القطامي في كتابه هذا ، كل ما يحتاج اليه اهل البحر من معلومات وتعليمات . وللمرحوم عيسى القطامي كتاب مطبوع آخر اسمه «المختصر الخاص للمسافر والطواش والغواص» وقد ألفه بالدرجة الاولى لأهل البحر الذين يجوبون مغاصات اللؤلؤ في الخليج العربي وقد ذكر فيه المؤلف مجارى الخليج من الكويت الى بوغاز هرمز مبينا جميع البلاد والجزر وعمق البحار ومعرفة المسافة بين البرين – البر العربي ، والبر الفارسي بحساب الاميال البحرية المتداولة عند سالكي البحار . وقد كتب المؤلف هذا الكتاب أيضا ، بلغة عربية مبسطة ، فيها كثير من الالفاظ العامية ، لكي ينتفع به اهل الخليج العربي كلهم ، حتى من كان منهم على قدر قليل من الثقافة والاطلاع .

وعيسى القطامي ، أديب أصيل يحس بكل ما يحس به الادباء ، فهو شديد الحساسية ، ويرى الحياة بمنظار غير المنظار الذي يراه به الآخرون ، وله بذلك موال بالغة الدراجة يقول في مطلعه :

مهما افوه بامور اصلاح قالو حمق
صاحت نساهم مع الاطفال قالو حمق
بالله يا ناس من فيكم يعرف الحمق
يا حيف حسن المقال يفسرونه حمق

وهذا الموال في مجموعه يذكِّرنا بقصيدة عربية نظمها الشاعر العربي المهاجر ، نسيب عريضة ، وهو يشكو من الوحدة وهي بعض ما يشكو منه شاعرنا عيسى القطامي ، فيقول فيها :-

دربي بعيد
وانا وحيد
افلا رفيق أو دليل في الطريق
افلا سلام او دعاء من صديق
وارحمتاه لمن يعيش بلا وطاب
بين القفار وقد تعلل بالسراب
ما من مجيب؟
ما من حبيب؟
سر يا شقي كفاك تشكو ما دهاك

وكان المرحوم عيسى القطامي ، مصلحا من رجال الاصلاح في الكويت ، وهو في القصيدة التالية يقول لو انه درس في مصر او بيروت ، لاتى بالعجائب ولاألف كتبا تنفع الوطن وابناءه وتخلده بعد مماته ، قال :-

لـــو علمـــوني هلي في مصر أو بيروت
لابدع عجايب لكم تذكر بعد ما موت
لكن ويا للاسف جم واحد منعوت
يعرف من العلم ابوابه ولا ينفع
ولا فتح باب لابناء الوطن ينفع
ولا تصدى والف له كتب تنفع

وقد تعدت شهرة المرحوم عيسى القطامي حدود الكويت ، وحدود الخليج العربي الى كثير من البلاد العربية ، وقد خصص له الكاتب العراقي الكبير عباس العزاوي ، اربع صفحات من كتابه الكبير «تاريخ علم الفلك» وهذا بعض ما قاله عنه :

وفي أوائل القرن الحاضر الهجرى ، ظهر نابغة ذو رغبة ، في علم البحار وهو الاستاذ عيسى بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز القطامي ، من افاضل الكويتيين وادبائهم ، وقد كتب «دليل المحتار في علم البحار» وحقيقة يعد دليلا نافعا في التوجيه البحرى ، مقبولاً من هواة الصنعة البحرية . وعلى كل الحال ، كان هذا المؤلف من آخر من سار سيرة علمية في الملاحة واكسبها مكانه حسب الحاجة في ادارة السفن الشراعية والوقوف عندها وهي الوجهة العملية .

هذا وكان المرحوم عيسى القطامي يتحلى بالشجاعة والصراحة والقوة ، وهذه الخصال هي التي جعلته في آخر عمره يرحل الى مسقط ، حيث وافاه الاجل المحتوم في سنة ١٣٤٧ هجرية بعيدا عن الاهل ... وبعيدا عن الوطن ... بعد ان سجل اسمه في سجل الخالدين .



عبدالله الصانع

في ليلة من ليالي العمـر ، منذ خمسة عشر عاما ، زرت مجلس شـاعر الكويت المرحوم فهد العسكر ، وكانت جلساتـه الادبية الشائقة ، تغرى كل محب للادب بزيـارتها ، والاستمتاع بما يجرى فيها مـن حديـث الشعر والنثر . وفي تلـك الليلة بالـذات ، وجدت عنده شخصا لم أعهـده من قبل ولكنني تبينت من حديثـه انه شخص أديب، يحفظ من الشعر أعذبه ، ومن النثر أطيبه . وكان يقرأ قصيدة من نظمه ، ما زلت حتى الآن أحفظ منها هذا البيت :

كـأنـي اذ نـزلـت على شُخَبـوطٍ ... نـزلـت على المهلـب في عُمَان

وكان يدير الحديـث تارة، وكان يديره فهد تـارة أخرى ، فصرت استمع اليهما وأنـا في غايـة السرور والانشراح ، وكنـت اذا ذاك في ريـق الشباب وربيـع الحيـاة ، أطرب للادب وأتحسـس طريقه بتهيب وخشوع وأحاول بقـدر المستطاع أن أستفيد من رجـال الادب وفرسان القريـض . وعندما انصرف الـرجل عرفت مـن فهد ، ان هذا الزائر هو الشاعـر الكويتي الاديب عبدالله علي الصانع ، وفهمـت منه كذلك انه كان غائبا عن الكويت مدة طويلة ، في سبيل الحصول على لقمة العيش .

ومـرت الايـام وانا لا أراه الا في فترات متباعـدة ، وأوقـات متباينـة ، حتـى صدرت مجلة كاظمـة للاستاذين أحمد زين السقاف وعبدالحميد الصـانع ، فكانت ادارتها منتدى لكثير من أدباء الكويت ، ومن بينهـم المرحوم عبدالله علي الصانع ، وشـاءت الصدف الجميلـة ، ان نكون نحـن الاثنان مـن بين محرري هذه المجلـة ، فأخذت علاقتنـا تقوى مع كل عدد يظهر من كـاظمة . وكان رحمه الله يحرص على الاجتماع بي يوميا في ادارة المجلـة ، فنتبادل الرأى ونستعرض حـديث الادب وشئون الحياة وكـان حجة في حفـظ الشعر العربي والقـديم بخاصـة ، وكان راويـة للادب والتـاريـخ ، لا تفـوتـه شـاردة ولا واردة مـن أخبـار الادب والادبـاء ، والتـاريـخ والمؤرخين. وكنت أعتبره أستـاذا ومرشدا ، ولكنـه رحمه الله كان يتلطـف معي كثيرا حتى انه عهد الي بقراءة مقالاته قبـل نشرها في كاظمة . ولم يمض على عملنا في مجلة كاظمـة فترة قصيرة ، حتى ربط الادب بيننا بـرباط قوي لا تستطيع الايـام أن تنال منه منالا ، وهل هناك رابطة اقوى من رابطة الادب ؟ .

ثم مرت الايام ، فاضطرت مجلة كاظمة للتوقف ، واحتجبت عن الصدور ، فتفرق شمل الاصدقاء مدة من الزمن ، حتى صدرت مجلة الكويت لمؤرخ الكويت الاول ، الشيخ عبدالعزيز الرشيد ، والتي بعثها من مرقدها نجله الاديب ، الاستاذ يعقوب الرشيد ، فالتأم الشمل مرة أخرى ، وجمعتني الظروف مع صديقي عبدالله علي الصانع كمحررين في مجلة الكويت . وأخذت صداقتنا تقوى على الايام بفضل الادب والصحافة ، ثم توارت هذه المجلة أيضا عن الانظار ، فتفرق الشمل مرة أخرى ، ولم أره الا في فترات متباعدة حتى سمعت بنعيه في سنة ١٩٥٤ . وقد كان هذا الخبر صدمة قاسية لي ، فقد اصفاني هذا الصديق الاديب الود الخالص والحب الصادق ، مدة من الزمن كانت من أجمل أيام الحياة .

وحاولت أن أكتب عنه بحثا مطولا ، بعد أن جمعت ما استطعت جمعه من أخباره ودراساته في الادب والتاريخ ، ثم أجلت البحث بسبب عدم توافر المعلومات التي يجب أن تكون كاملة شاملة قبل الشروع في الموضوع .

وهذه الكلمة القصيرة ، ليست بحثا عن صديقي الراحل ، عبدالله علي الصانع . بل هي ذكريات أحببت أن أحييها بعد أن حسبت انني أنسيتها ، وهي ذكريات جميلة ، يخفق لها القلب وتحن لها النفس .

لقد كان الاديب الكويتي عبدالله علي الصانع أديبا أصيلا وباحثا قديرا يهوى الآداب العربية قديمها وحديثها ، ولكنه كان الى قديمها أميل . وكان قد نشر مقالا في العدد الثاني من مجلة كاظمة ، يحقق فيه بعض الرسائل التي نسبت الى بعض الخلفاء ، وأظهر بالدليل القاطع والبرهان الساطع ، انها رسائل موضوعة ، وبعد أيام من نشر المقال ضمه مجلس مع نفر من أصدقائه ، فنعى عليه أحدهم رجوعه الى الماضي ، ونصحه أن يكتب عن أشياء جديدة غير التاريخ ومشاكل المؤرخين ، فرد عليه ردا مقتضبا بما يناسب المقام ، وما كاد يخرج من ذلك المجلس حتى أحس بخطئه في عدم الرد عليه بما يعتقده ويؤمن به ، وظل بضعة أيام يستبد به القلق حتى امتشق القلم فكتب مقالا ضمنه آراءه التي يعتقدها حقا وصدقا في الرد على ذلك الصديق ونشره في مجلة كاظمة في عددها الثالث وكان مما قاله في ذلك المقال : «نعم لو قال الذين قبلنا هذا القول وقال الذين قبلهم مثل قولهم ، لما بقي لنا على صفحات الكون تراث «سياسي» ولا أدبي لا جرم ان النشىء لبأمس

الحاجة الى مـن يحضه على التشبع بفكـرة الاعتزاز بأولئـك النجوم ، الذيـن بهداهم يهتدي الى المحجـة والصواب والـذي اذا عزف وصـدف عن تتبـع آثارهـم وتذكـر أخبارهم ، فسيبقـى مجردا من عزته القـومية ، عديم الحظ ، مشـدوخ الجبين ، مأموم الرأس ، أخنس الانف ، أمام أمم تفتخر برفعة رجالها وعظمة أبطال تاريخها» .

كان عبدالله علي الصانع ، أديبا وفيا يذكر أصدقاءه ، ويحن اليهم .

وفي هذه الدمعة التي ذرفها على صديقـه عبدالرحمن بن حسن المدفع الحارثي من الشـارجة ، أطيـب برهـان على وفائه العظيـم ، وقد نشرهـا في مجلة كـاظمة ، في عددها الثامن :

«لقد مات حقـا عبدالرحمن ملجأ الضيوف ، وغياث الملهـوف ، موئل الجميل ومعقـد آمال قـومه ومحط رحـالهم . لهف نفسي وألـف لهف عليك يـا أبا الحسـن ، ولهف الهُلاّك والمعـوزين مـن قـومك بعـد أن فقدوك . لقـد كنـت حمى أيتامهـم ، وعصمـة لاراملهم وانـك أنـت وحدك الـذي ثبتَّ خلال نصـف قـرن في مدينـة «بومباي» لجالية قومـك مثابة لقاصديك ، وملاذا لمجتديـك وموئلاً لضيوفك ممهدا لهم كنفـك ، لا تملهم ولا تجتـويهم» . وكـان عبداللـه علي الصانـع ، شـاعر يقـول الشعر فيجـوّده ومن المؤسف انني لم أستطيـع الحصول على شيء من أشعـاره سوى هذه القصيدة التي يحيى فيها أحد أصـدقائه ، وقد اخترت منها بعض أبياتها ، وهي منشورة في مجلة «البعثة» .

خليلَيّ هـذا المجـد لاحـت قبـابـه	يكـاد ينـال النيرات عمـودهـا
هنا الجود والمعروف والعرف والحجى	هنـا العـزة القعسـاء جم عـديـدهـا
هنـا ملجـأ العـافين حين تـروده	هنـا مشرعـات الـرفـد كـل يـرودهـا
هنـا معقـل الامـال والموئل الـذي	لـه منة عنـدي عـزيـز مـديـدهـا
ينـال الـذي مـا نـالـه قـط غيره	اذا سـابقـات العـز يتلـع جيـدهـا

وكان في شعره كما كان في نثره ، ينزع الى القديم كما هو واضح في أبياته هذه .

قلنا منذ قليـل ، ان أديبنا الراحل ، قـد جاب ربوع الخليج العـربي وكثيرا من بلاد الله الواسعة ، سعيا وراء الرزق .

وعندمـا عاد الى الـوطن العـزيز بعد طـول غياب ، أخـذ يبحث عـن وظيفة مناسبـة ، ووجد الـوظيفة وهي أولى وظيفـة يتولاهـا في حياته ، وكـان يتندر أحيـانا

فيقول :

«انه لم يأت الوظيفة ليعدد أياما ويقبض راتبا» .

واختاره الشعب في الانتخـابات العامة ، عضوا لمجلس المعـارف ، وقد ابدى اخلاصاً نادر المثال في عمله هذا .

وطويـت صفحة الاديـب الكويتـي ، عبداللـه علي الصانـع ، بعد أن خـدم الـوطن في مجالات عـديـدة ، في الادب عندمـا كتب أبحـاثـه الادبية القيمـة ، وفي الصحافة عندما كـان رئيسا لتحرير مجلة الكويت ، وفي الوظيفة عنـدما كان موظفا في الحكومة ، وفي المعارف عندما اختاره الشعب عضوا في مجلس المعارف .



مِنْ وحي العيد الوطني

الانتصارات التي سجلتها الكويت في السنوات القليلة الماضية تستحق الاعجاب وتدعو الى التأمل والاعتبار . والمواطن الذي شهد قفزة الكويت نحو المجد خطوة خطوة ، وهو يعيش في أرض الوطن ، قد لا يفاجأ بهذا التطور السريع وهذه الانتصارات العظيمة المتلاحقة في جميع مرافق الدولة ، كمن عاش بعيداً عن الوطن ثم رجع اليه بعد طول حنين وغياب ، فرأي القفزة الرائعة التي قفزها الوطن الحبيب في جميع المجالات .

وقد قدر لي أن أتغرب عن الوطن ثلاثة أعوام ، في بلاد بعيدة كل البعد في المسافة وفي العادات والتقاليد ، لقد كنت هناك في أوروبا أتتبع أنباء الوطن بكل جوارحي ، وأتنسم أخباره الشائقة من أعماق قلبي ، وأستروح على البعد النسمات المنعشة التي تهب من الوطن الحبيب ، فتنتشر في أقطار الأرض ، وتنعش كل مواطن متغرب ، يعيش بعيداً عن الاهل والوطن . وكنت أتتبع ما تنشره الصحافة العالمية عن نهضة الكويت الشاملة فأحس بالزهو يملأ أقطار قلبي ، والثقة تملأ نفسي فتجد لها تجاوباً جميلا بين الحنايا والضلوع . وكنت أتتبع الاذاعات ولا سيما العربية منها ، فأجد فيها بلسما شافياً لكل نازح صب ، تتقاذفه الدروب والاسفار .

كانت هذه الأنباء ومثلها كثير ، ترد الينا على أمواج الاثير وعلى صفحات الجرائد فتنعش القلوب وتطرب النفوس ، وتخفف عنا ما كنا نعانيه من متاعب الغربة وآلام البعاد .

وفي يوم جميل أغر ، وردتني رسائل من أرض الوطن الحبيب ، ما كدت ألقي نظرة عابرة على مغلفاتها ، حتى استبد بي الفرح ، واستولت علي الدهشة ، ولم أعد أعرف ما أفعل أو أقول لقد كانت المفاجأة قوية ، بل كانت كاسحة اكتسحت كل سمات اليأس من النفس ، وأزالت كل علامات القنوط .

وأخذت أطيل النظر بيد مرتعشة وقلب خفاق ،في الطابع الوطني الكويتي الذي يحمل صورة القائد الحكيم ، عبدالله السالم الصباح ، وقبل أن أقرأ الرسائل وقبل أن يرتدإلي طرفي ، رأيتني أخرج من المنزل مسرعا ، لاهدي هذه الطوابع الوطنية لكل من كان يستهديني طوابع بلادي ، فما كان يجد مني غير الاعراض

والصدود آما في ذلك اليـوم ، فكنت اتلفـت يمنة ويسرة في الطـريق ، علنـي أرى أصدقائي وزملائي ، الـذين طلبوا مني في يوم ما طوابع بـلادي البريدية ، لاهديهم اليوم ما ضننت به بالأمس .

وكان ذلك اليوم عيداً وطنياً من أعيادنا المجيدة ، في تلك البلاد القاصية .

ومـرت الايـام فــزاد الحنين الى الكـويـت ، وتضـاعـف الشـوق الى البحـر والصحراء ، وكثر التطلع الى مسرح الصبا ومرابع الشباب .

وكانت الصحافة العالمية والاذاعات العربية توالينا بانتصارات الكويت يوماً بعد يوم .

وفي يوم مـن الايام ، لا انسـاه .. يوم من ايـام الربيـع الجميلة المبهجـة حيث تنشد الطبيعـة في مدينـة كمبرج اروع اناشيـدها العـذبة ، وحيـث تصدح الاطيـار باغاريدها الجميلة ، وحيث تكتسي المروج بـارديتها الخضراء الزاهية ، وتزدان بألوان مختلفة من الورود والرياحين وحيث تضفي هـذه المناظر الخلابة على النفوس غلالة من الـراحة النفسية وهدوء البـال زارني مواطن كويتـي ، وما كاد يستقر بـه المقام ، حتى اخرج من جيبه بعض الاوراق المالية وقال أرأيت عملتنا الجديدة ؟ فالتقطتها من يده بدون وعي مني ، ومـا كدت ارى صورة زعيم الشعب واميره العادل، الشيخ عبدالله السالم الصبـاح حتى قبلت العملة الجديدة واصبت بحالـة نفسية فريدة لا يدركها سوى مـن عاش مثل تلك اللحظات ، التي تصطرع فيهـا الحقيقة الناصعة مع الخيال الباهت ، حيث تتبارى صورة العملـة الجديدة مع اشباح العملة الغاربة . ولم اتمالـك نفسي من تقبيـل الاوراق الماليـة ، وتحية القـائد العـادل تحيـة صادقـة منبعثة من اعماق القلب .

واحتفلنا بـذلك اليوم احتفـالا يليق به ، اذ كـان بالنسبة الينـا نحن المغتربين عن الوطن عيداً وطنياً من اعيادناً المجيدة ، في تلك البلاد النائية.

وسارت الايـام تحمل بين طيـاتها للكويـت كل جـديد وطـريف مـن الامجاد والانتصـارات وكانـت الصحافـة والاذاعة تهدينـا في كل يـوم أطيب انبـاء الوطـن وأعطر أخبـاره . وفي يوم اغر محجـل ، سيبقى أثـره المعطار في القلب مـدى الحياة ، كنت اصغـي الى المذياع فإذا بـه يحمل الي أجمل نبأ عـن الوطـن منذ أن فارقتـه قبل ثلاث سنوات وكان هـذا النبأ ، مفاجأة برغم الانتصـارات العظيمة السابقة ، وعلى

الرغم من ان الـوطن منذ نشأته كان سيـداً عزيزاً يمارس حقوقه الشرعيه بكـل حرية وانطلاق ، فقد حمل الينا ذلـك النبأ اكتمال السيادة ، وبذلك يكون وطني قد خطا الخطـوة الاسـاسيـة في سبيـل مجده وخلوده ، ونـال بفضـل قـائده الحكيـم ، وأميره العادل، مـا كان يصبو اليـه من رفعة ومنعة ، بين الـدول والشعوب . وانتزع بـذلك اعجاب القريب والبعيد في الأوساط العالمية في الشرق والغرب .

ولازمت المذيـاع ليلا ونهار ا ، متابعاً الأفـراح والتهاني التي تنهـال على وطني المستقـل الحر ، مـن الـدول العـربية الشقيقـة ، والـدول الصـديقـة المحبـة للخير والسلام.

وقد احتفلنـا ونحن في دار غـربتنا بعيـدنا الـوطني ، احتفـالا عظيماً يليق بـه ويستحقه من أعماق القلوب . فقـد كان ذلك اليوم والأيام التي تلتـه ، أعياداً وطنية من اعيادنا المجيدة ، في تلك البلاد البعيدة .

وعدت الى الوطن بعد حدوث الأزمة المعروفة بقليل ، لأداء الواجب المفروض على كل مواطن مخلص ، في مثل هذه الظروف ، ولأشـارك أبناء الوطن في مشاعرهم الصادقة عـن كثب ، بعد أن شاركتهم في المشـاعر وأنا بعيد عنهـم . فشهدت بعد غياب طويل ، القفزة الرائعة التي قفزها الوطن الحبيب في جميع المجالات .

فالى الكويت في عيدها الوطني المجيد ، أهدي هذه الصفحة التي استوحيتها من انتصـاراتها الباهـرة ، في أعيادها المتـلاحقة المجيدة والتـي أصبحت في الـوقت نفسه أعياداً للعرب أجمعين .



العيد بين الأمس واليوم

لكل بلاد من بلدان العالم أعياد تحل في مواعيدها فتجدد في النفوس الآمال والأحلام وتحيي في القلوب المسرة والأفراح ، وبدون هذه الأعياد ، تكون الأيام مملة ورتيبة ليس فيها مفاجآت سارة ولا أوقات بهيجة.

وعيد الاضحى الذي نحتفل به اليوم عيد من أعيادنا الدينية التي جاء بها الاسلام لنشر المحبة بين الناس واشاعة السلام فى المشارق والمغارب ، وللعيد فى الكويت منزلة سامية فى نفوس الجماهير . والاحتفال بالعيد يختلف فى بلد دون بلد ، وقد كان للعيد فى الكويت مظاهر يذكرها كثير منا ، فقد كانت تنتشر فى البلاد فيتم بها السرور ، وتعم بها الفرحة والابتهاج . ومن مميزات العيد منذ سنوات ، العرضات وهى رقصات الحرب . وكان يشترك فيها جميع طبقات الشعب ، وفى مقدمتهم الأمراء الذين كانوا يشجعونها ويعدونها رمزا للبطولة والشجاعة ومظهرا من مظاهر الفتوة والفروسية ، وقد اختفت العرضات اليوم تقريباً . وقد نجد بعضا من مظاهرها عند أبناء الخليج العربي الوافدين على الكويت ، وذلك فى أيام الأعياد ، والمناسبات الوطنية الأخرى ، ولكنها تختلف تمام الاختلاف عن العرضات الكويتية المشهورة التى تجري فى ساحات الكويت ، ولاسيما فى ساحة الصفاة .

وقد وصف لنا مؤرخ الكويت الأول المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت « العرضة » وصفا دقيقا حيث قال :

« اعتاد الكويتيون لاسيما فى أيام مبارك تعطيل أشغالهم أسبوع العيد كله واشتغالهم بالألعاب الحربية كل نهار فيكوّن أهل كل حي حلقة من رجالهم قد انتظموا كخرز المسباح وهم يرقصون ويلعبون وينشدون الأناشيد الحماسية الحربية ويضربون بالدفوف وبالطبول ويملأون الفضاء من رمي البنادق ويخطفون الأبصار بوميض السيوف ، وقد كان مبارك يعطى هذا الأمر اهتمامه الزائد حتى لقد كان يقسر الناس أحيانا على ذلك ليمرنهم على مقدمات الحرب . »

وكان الكويتيون يستبشرون بالعيد كل الاستبشار ويعدون له العدة قبل حلوله بأيام ، فاذا أشرقت شمسه على الكويت هبت الجماهير متجهة لتهنئة بعضها بعضا

ففى اليوم الأول يزور سكان الأحياء القبلية مواطنيهم من الأحياء الشرقية والوسطى للتهنئة بالعيد السعيد . وفى اليوم الثانى يرد أهل هذين الحيين الزيارة لإخوانهم من الحي القبلي . وكل واحد يقول للآخر « عيدك مبارك » مما جعل الشاعر زين العابدين بن حسن ينظم هذين البيتين ويقدمها للشيخ مبارك الصباح :

تهنأ بالسعادة حيث لاحت	لك الأفراح والعيد المبارك
فأنت الفخر لا للعيد فخر	لقول الناس عيدكم مبارك

وللمرحوم خالد محمد الفرج ، وهو أحد شعراء الكويت وأدبائها المجيدين قصيدة فلسفية طويلة نظمها بمناسبة العيد نقتطف منها هذين الأبيات :

ياقلب دع عنك ما تناجي	فليس ذا السر بالمذال
قم باكرا فالصباح عيد	والنجم قد مال للزوال
وأيقظ الديك كل غاف	برفع أصواته العجال
هيا الى العيد ان فيه	أسمى عظات ذوات بال
خرجت والناس فى ارتياح	كعاشق فاز بالوصال

وكان الأطفال أكثر الناس استبشارا بالعيد . وكانت العيادى تنهال عليهم من الوالدين والأقربين بكل سخاء . وكان فى كل ساحة أرجوحة . وكانوا يقضون أيام العيد بينها بكل فرح وانشراح . ولعل هذه الأراجيح هي المظهر الوحيد الذى بقي للأطفال من مظاهر العيد . ويردد بعض الناس اليوم قولهم بأن العيد قد فقد كثيرا من مميزاته العديدة التى كانت مألوفة لدى المواطنين . ولهذا القول نصيب من الصدق . لأن مدينة الكويت القديمة ، نظمت تنظيما حديثا يناسب التقدم والتطور فى الدولة الفتية الناهضة وأزيلت أحياء بأكملها ، فانتشر السكان فى الضواحي الجميلة التى أنشئت حديثا وانتقل كثير منهم الى القرى النائية والقريبة والتى ظهرت بعد التنظيم الجديد ، لذلك يتقاعس البعض منهم عن التزاور للتهنئة بالعيد ، بالرغم من وجود السيارات السريعة المريحة .

نعم لقد فقد العيد حقا ، بعض مظاهره ومميزاته ، ومنها هذا المظهر الذى ذكرناه ، ولكن الكويت والحمد لله أصبحت لها أعياد تتجدد فى كل يوم ، منذ أن وهب الله لها الخير والبركات ومن أهمها ـ بالإضافة الى أعيادها الدينية والوطنية المعروفة ـ هذه الأعياد المشرقة التى تتمثل فى المؤتمرات العربية التى تعقد فى أرضها الطيبة بين فترة وأخرى .



منذ خمس وعشرين سنة كـان من بين رجال التعليم في الكويت شـاب عربي من سوريا، استضافته المعارف ليكون مديرا للمـدرسةالشرقية ولكنه وهو المؤمن برسالته في الحياة كـل الأيمان، أبى أن يكون مجاله منحصرا في الشـؤون الادارية فقط، لـذلك قرر أن يكون مدرسـا في الوقت نفسه، ذلكم هو الاستاذ فيصـل العظمة . وقد كنت أحد طلابه ومن الذين ساروا على منهاجه القويم في هذه الحياة.

ان الآثار الطيبـة التي خلفهـا لنا الأستـاذ فيصل العظمـة كثيرة وقيمة يـذكرهـا طلابـه المخلصون اليوم ومـن بينهم الوزير والطبيـب والمهندس والمحافـظ وغيرهم من كبار الموظفين في الدولة. ولم يكن الاستاذ فيصل العظمة يدرس المناهج المقررة، فحسب، بل كان يغرس في طلابه الرجـولة والعزة والكرامة ويلقي عليهم دروساً في القومية العـربية، ومن يتصفح كتـابه القيّم في بلاد اللـؤلؤ يجد هذه الحقيقة نـاصعة تشع بين سطور الكتاب، فهو يقول في المقدمة:

«قررت السفـر الى الكويت لأنـه واجب قـومي مفروض عليّ وعلى كـل عربي ولم تجد كل المحـاولات التي أثـارها أهلي وأصدقـائي لتثنيني عن عـزمي وقلـت: « أنا جندي في جيش العـروبة وعلي أن أقوم بواجبـي نحو الفكرة العربيـة وبقسطي من الجهـاد الذي لا ينحصر في اطـلاق النار فقـط وإنما في التعليـم والدعـاية أيضـا. الكويـت بحاجة الى مـن ينظم أمور التعليم فيهـا، فعليّ أن ألبي، وأنا اذ أنتقـل من دمشق الى الكويـت فإنما أتنقل من بلدي الى بلدي .. ومـن بين أهلي وأصدقائي الى أهل وأصدقاء جدد لهذا سافرت الى الكويت لخدمة الفكرة العربية».

وقد كـانت البلاد منذ ربـع قرن غيرها في هـذه الأيام. وقد عاش الأستـاذ فيصل العظمة في الكويت عيشة متواضعة تختلـف كل الاختلاف عن العيشة التي نعيشها اليـوم ولكنـه تحملها بكـل اخـلاص في سبيـل العقيدة والمبدأ. ولم يقتصر الاستـاذ فيصل العظمـة على انشاء جيل قـوي في فكره فحسـب بل ركز اهتمامـه على انشاء جيل قوي في جسمه كذلك فقد شجع الرياضة بكل ما يستطيع من قوة وعزم وكان يفرض علينا حصة اضافية تبـدأ قبل شروق الشمس نخرج فيها الى الأراضي الخالية للتريض وأذكـر أن أحد زملائنـا انهار من شـدة الاعياء فحمله الأستـاذ فيصل على

كتفـه حتى وصلنـا الى المدرسـة. وقـد شجع الأستـاذ فيصـل العظمـة طلابـه على المطالعـة الحرة، وأنشأ لهذا الأمـر مكتبة صغيرة في المدرسـة فيها كتـب قيمة. وفتـح أبواب المدرسة ليلا لكل طالب يحب المزيد من القراءة والاطلاع وكان يحضر بنفسه في كل ليلـة أي أنه كان يتردد على المدرسة ثـلاث مرات في اليوم مشيـا على الأقدام وكان منزله يبعد كيلو مترين عـن المدرسة، ومثلما شجع على المطالعة والأدب شجع على الخطابـة أيضا والارتجال بخـاصة، وكان يتمنـى للكويت مستقبـلا باهـرا ومن ذلك قوله في كتابه المذكور.

« فالكويت اليوم ليست بحاجـة الى تجار بقدر ما هي بحاجة الى مثقفين ورجال اختصاص وأنا ضامن أن الكويت اذا وسعـت خطواتها في هذه النهضة الطيبة فلن يأتي زمن طـويل حتى تكون لؤلؤة الجزيـرة العربية وعروس الخليج بـدون منازع وأنا أحب أن أرى الكـويت ترسـل بعثات من عندهـا للصحة والتعليم الى نجـد وقطر والبحريـن وعمان ». وقد تحققـت أماني الأستاذ فيصـل العظمة أو بعضهـا وأخذت الكويت ترسل الى شقيقاتها في الخليج العربي بعثات صحية وتعليمية وفنية.

وأروع آثار الأستـاذ فيصل العظمـة التي تـركها في الكـويت وفي الـوطن العـربي كتابه «في بلاد اللؤلؤ»، هذا الكتاب الذي صور فيـه الكويت تصويرا صادقا بأمانة واخلاص وأعطى العرب في شتى ديارهم ومنذ ربـع قرن أطيب فكرة عن الكويت. ففـي الصفحات المائة والخمسين فصّـل الأستاذ فيصـل العظمة الكـلام فيها عـن الحركة التعليمية والأدبيـة والعمرانية والصحية والاقتصـادية وعن الغوص واللـؤلؤ. ويقـول في تسميـة الكتاب سميتـه «في بـلاد اللـؤلؤ» أولا على سبيـل الحقيقـة لأن الكويـت هي بـلاد اللؤلـؤ وثانيا على سبيـل المجاز لأن الكـويت فيهـا لآلىء وهـم أميرها وشبـابها ورجالها وأخـلاقها فما أجمل القطـر الذي جمع هـاتيك الـلآلىء. وقد ختم الأستـاذ فيصل العظمة كتـابه بهذه الكلمات الصـادقة: «وليكن هـذا الكتاب عنوان ولائي لأمير الكـويت ورمز حبي لشعـب الكويت واشارة لخدمـاتي للجيل الصاعـد في الكويـت وذكرى زيـارتي للبلد الطيـب الكويـت. وعربـون الصداقـة والأخوة بين سـوريا والكـويت». ونحـن طلابه هنـا في الكويـت ما زلنـا باقين على العهد نسير حسـب ما رسمه لنـا من منهاجـه القيّم، في هذه الحيـاة وما زلنا نـذكر أيامنـا الماضية معه تلك الأيـام التي لم يزدهـا تقادم العهد الا حبا على حـب ووفاء

على وفاء.

وبعد فلنا في ختام المقال رجاء نتقدم بـه الى الأستاذ فيصل العظمة مؤلف كتاب «في بـلاد اللؤلـؤ» وهـو إعادة طبـع الكتـاب. وقد جـدت في الكـويت أمـور كثيرة تستحثه على تحقيـق هذا الـرجاء فالكـويت التـي كانت قبـل ربع قـرن تعيش على اللؤلؤ تدفقت فيهـا البركات بتدفق الذهب تحت ثراها المبـارك والكويت التي كان عـدد مدارسهـا لا يتجـاوز الست وطـلابها لا يتجـاوزون الألفين أصبحت تفخـر بمدارسها التـي تجاوزت العشرات وطلابها الذين يعـدون بالألوف والكويـت التي كانـت على عهده بسيطـة في مبانيهـا أضحت اليوم تبـاري الدول الـراقية بمبـانيها الفاخرة وهنـدستها الجميلة. والكويت التـي كانت صحتها تضم طبيبـا واحدا هو الـدكتور يحيـى الحديدي ومستـوصفـا واحدا، هـو المستـوصف الـذي كنا نسميـه «المستوصف السـوري» أصبحت الآن تضـم مئات الأطبـاء وعشرات المستوصفات والمستشفيات الراقية.

والكويـت التي نظـم فيها الأستـاذ فيصل العظمـة الأناشيـد الحماسية القـومية أصبحت تقوى وشائج القربى بينها وبين شقيقـاتها العربيات وتسعى بكل طاقاتها الجبـارة لتـدعيم وحـدة الصـف والتقـارب العـربي حتـى جاء عهـد الاستقـلال. فأصبحت تحث الخطا نحـو غد أفضل لها ولشقيقاتها الدول العربيـة. وصارت أيام الكويت كلها أعياداً بهيجة باركها العرب في كل مكان . فهذا التطور السريع الذي شمل الكويت في شتـى مرافقها نرجو أن يكون له النصيب الأوفـر في الطبعة الثانية من كتاب «في بلاد اللؤلؤ» الأستاذ فيصل العظمة.

رد الاستاذ فيصل العظمة

مادفع صـديقي الأديب الأستاذ فاضـل خلف ليكتب مقاله عـن كتابي (في بلاد اللؤلؤ) وما تضمنـه المقال من اشادة بالمؤلف، الا وفاء منه لأخيـه وبلده وانسجاما مع ما عرف عـن أديبنا فاضل خلف خاصـة وعن اخواننا الكويتيين عامـة من كرم اخلاق وما تنطوي عليه نفوسهم من حفظ الود وتقدير الرجال المخلصين.

لقد أثـار المقال في نفسي ذكـريات حلـوة عن حيـاتي في الكويـت، يوم أن كـان القدوم اليها مغرما لا مغنما وواجبا لاحقا وجهادا لا تكسبا.

وكانـت حياتي في الكـويت حلـوة مع ما كـان فيها مـن خشونـة وبساطـة، فقد قدمـت اليها في سـتـة ايام بالقطـار عبر سوريـة وتركية والعـراق لأخدم قطـرا كنت ومازلت أؤمن انه بؤبؤ عين الوطن العربي الأكبر.

وقد وفقـت خلال التسعة شهـور التي اقمتها في الكـويت الى القيام بـواجبي في غرس الايمان القـومي في النفوس البريئـة وفي تنشئة جيل قـومي في عقيدتـه وخلقه وجسمه مؤمن بوحدة أمته العربية ونبـل رسالتها الاسلامية. وتجلى ذلك في الأناشيد القومية التي نظمتهـا التي كان ينشدها الشباب الكويتي مـن كل مكان وينطق بها كل لسان:

نحـــــن شبـــــان دعـــــاة الـــــوحـــــدة الكبرى فهيـــــا
ننشر النـــــور على الـــــدنيـــــا اتحادا عـــــربيـــــا

وفي مواكب الكشافـة التي كانت تموج فوقها الاعـلام العربية وفي مخيمات الطلبة والمعلمين وفي استعـراضات الشبـاب والمهرجـانـات الريـاضية والمعـرض المدرسي والتمثيل المسرحـي والحفلات الخطابيـة والاعياد الاسلاميـة والوطنية وفي الـرحلات والدروس والمطالعة الليلية.

وكنـت في الوقـت نفسـه على اتصـال دائم بالنـاس مـن كـل الفئات: الشيـوخ والعلماء والأدباء والتجـار والمعلمين والطلبة ولما عـدت الى سوريـة، اخذت اتـابع فيها خدماتي للكـويت وللفكرة العربية فكتبت في الصحـف والمجلات معرفا بهذا البلـد الناهـض الشقيـق والقيت عنـه أحاديـث في الـراديو ومحاضرات في دمشـق وحلب أكبرها المحاضرةالتـي القيتها في بهو المجمع العلمي العربي بدمشـق مما كان له أطيـب الأثر في نفـوس الناس. وتـوجت هـذه الجهود بكتـابي: «في بلاد اللـؤلؤ» الـذي نشرت مقتطفات منـه كثير مـن الصحف والمجـلات في سـوريـةوخارجهـا والذى أصبح مرجعا لبعض المحـاضرين في الجامعات ولبعض المؤلفين والباحثين، ولا تـزال تردني حتـى الآن والى ليبيا كتـب بطلب نسـخ منه أو مقترحـات بإعـادة طبعه، وآخر ذلك وأعـز ذلك مقال الأخ الكريم فاضل خلـف الذي يستحثني فيه علنا لاعادة طبع الكتاب.

وآخر خدمـاتي للكويت وللفكرة العـربية التي تقتضى تعـارف وتقارب الاقطار العـربية الاحتفـال الضخم الـذي نظمتـه في دمشق عـام ١٩٦٤ في عيد استقـلال الكويت وخطبت فيه وخطب فيه السفير الصـديق مهلهل المضف وعرضنا فيه فلما

سينمائيا عن نهضة هذا البلد الطيب. وما زلت وانا في ليبيا اذكر بالخير بلدي الكويت واخواني الكويتيين. وقد قدر الكويتيون وفائي لهم وحبي لبلدهم فكتبوا الي بالمئات شاكرين وعلى رأسهم أمير الكويت الراحل الشيخ احمد الجابر الصباح، واتوني بالعشرات زائرين ،وعمدت وزارة الارشاد لدعوتي لحضور اعياد الاستقلال عام ١٩٦٢ ولبيت الدعوة شاكرا واقمت في الكويت اياما قليلة سعدت فيها برؤية العلم الكويتي يرفرف حرا في وطن حر،طالما رفعت صوتي داعيا لحريته، وانست فيها بلقاء الاصدقاء، من امراء وعلماء وادباء وعلى رأسهم الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح وزير الارشاد اذ ذاك والاخ الاديب صاحب المقال الاستاذ فاضل خلف .

وقد سررت لما شاهدت في الكويت ـ على قصر المدة ـ من مظاهر النهضة في شتى نواحي الحياة ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعمرانية والفنية و الثقافية والصحية ، وبمدارس الكويت ومشافيها وجوامعها وبملاعبها وحدائقها وشوارعها ، وسرني ان رأيت الكويت لا تخطو الى الامام خطوا وانما تقفز قفزا ، وحققت الكويت اكثر مما كنت أتوسم فيها من اخذها بيد الاقطار الشقيقة في الجنوب والخليج وفي دعم القضايا العربية في كل مكان وفي السباق إلى كل عمل قومي وفي التصدي لكل مكرمة.

وقدجددت اخيرا وزارة الارشاد ممثلة في الصديق الاستاذ صالح شهاب وكيل الوزارة المساعد الدعوة لي لزيارة الكويت والاطلاع على معالم النهضة فيها . وأملي أن أوفق الى تلبية هذه الدعوة الكريمة مع خالص الشكر.

لقد استطاع الاخ فاضل خلف ان يحملني على الكتابة بعد ما هجع قلمي هجعة طويلة اقتضتها طبيعة عملي القضائي ، فله الشكر ان اطلق لقلمي العنان ، وله الشكر ان ذكر بي وبكتابي الناس بعد طول نسيان وارجو ان اكون عند حسن ظنه بي . معترفا ان ما قدمته من جهد هو اقل من قدرتي ودون مستوى الواجب .

ان عوامل اعادة طبع كتاب «في بلاد اللؤلؤ» متوافرة ، واشاطر الاخ فاضل ان الواجب يقضي باعادة طبعه بعد تعديله وتنقيحه ليعطي الجيل الجديد الذى ولد وفي فمه ملعقة من ذهب ـ حسب تعبير وزير العمل الكويتي ـ صورة صادقة عن كويت الأمس ، كويت الجهد والعرق ، كويت الغوص والابحار واللؤلؤ والشراع كويت السور والتمر والبساطة والوفاء .

ويسر الأخ الأستاذ فاضل خلف ان يعرف ان اقتراحه قيد البحث وانني اقوم الآن باعادة النظر في الكتاب وتنقيحه منتظرا المناسبة المؤاتية لاعادة طبعه . وهذا يقتضيني زيارة الكويت لضبط المعلومات والحصول على بعض الصور والخرائط والوثائق ، ولعل الأخ الاديب يشاطرني الرأي ألا اضمن كتاب «في بلاد اللؤلؤ» شيئا كثيرا عن كويت اليوم لأن مجال ذلك كتاب خاص ارجو ان اوفق الى تأليفه بعد اعادة طبع الكتاب الاول .

شكرا للأخ الاستاذ فاضل خلف على مقاله الطيب الذى يدل على كرم اخلاقه، وعتبا عليه ان كشف اوراقي فزعم انني استاذه مع انه استاذي في الوفاء وطيب النفس ، وشكرا لمجلة «البيان» الغراء التي اتاحت لي لقاء الاخوان الكويتيين على صفحاتها ، وعهدا ان اكون كما كنت دوما الوفي لوطني الثاني الكويت وان اقوم بالواجب ، وحيا الله الكويت التي ما زالت على عهدي بها السباقة دوما للمكرمات .

فيصل العظمة
المستشار في محكمة استئناف دمشق
المعار مستشارا في محكمة استئناف
طرابلس الغرب ـ ليبيا





من أيـن يبدأ المصلح ؟ سـؤال تردده الجماهير في كـل مجتمع ناهـض ، يتلمس طريقـه الوعـر ، للوصـول بالوطـن الى ربوع الفخـر . انها تردد هـذا السؤال ، لأن وسـائل الاصـلاح متشعبـة ، تحار الجماهير في ايها تختار قبـل الأخـرى ، لتحقيـق رغباتها وتثبيـت دعائم مجدها ، وخلودهـا على الأيام . ولكن المصلح الـذى اختاره الله للوطن ، وأنار بصيرته من بين الألوف من المواطنين ، لا يتردد في اختيار وسيلة مثلى ، تكون وحدها مفتـاح الاصلاح ، وغاية الغايات ، في السمـو بالوطن الى أوج الكمال . هذه الوسيلة المثلى هـي العلم . فبالعلم وحده ، نالت الأمـم كل ما تبتغيه مـن رفعة ، وتطلبـه من مجد ، وبـالعلم وحـده تسابقـت الشعوب لانـارة كوكـب الأرض ، بعد ان كـان مظلما ، وعمرت به الـديار بعد ان كـانت موحشـة الجنبات محفوفة بالمخاوف والأخطار .

فالمصلح اذن يجيـب على سؤال الجماهير ، بجواب شاف لا ثاني لـه ، وهو «من العلـم يبـدأ المصلـح» . وقـد لمسنـا هـذه الظـاهـرة ، في جميـع البيئـات ومختلـف المجتمعات ، ولم يشذ المجتمع الكويتي ، عن هذه الظاهرة ، فقد بدأ المصلحون في الكويـت ، ـ أول ما بـدأوا ـ بالعلـم ، وتشجيع طـلابه ، وحثهم على انـارة العقول والقلوب . وكانت نـداءاتهم الصادقة ، تنبعث من اعماق نفوسهـم ، لتجد صدى جميلا في نفوس المواطنين ، المتعطشين الى العلم والمعرفة .

وكـان مـن بين هذه النـداءات المصلحـة ، صـوت الشـاعر الحر ، احمد خـالـد المشـارى ، الذى كـان يتهادى في آفـاق الكويـت منذ اربعين سنـة ، داعيا شبـاب الوطن ، للاغتراف من ينابيع العلـم من جهة ، ونشر ما اغترفوه ، على بقية المواطنين من جهة أخرى ، حيث يقول :

فتى العلم هذا موطن الكسب والأجر	فشمر ولا تكسل عن النصح والزجر
فتى العلـم هـل للعلـم ثـم مزيـة	اذا ما ثـوى بـين الضـمائر والصدر

ولكن لكل دعوة اصلاح ، معارضين ومنـاوئين ، لذلك فليس عجيبا ، ان يكون للعلم منتقد ومعـارض ، من بين جحافل المتخلفين الجاهلين ، من الـذين يرون في

العلم سلاحا قاطعا ، يقضي على كل ما ألفوه من جهل ، وأنسوا اليه من ركود . لذلك يتوجه الشاعر الى فتى العلم ، بنصائح قيمة في هذا الموضوع فيقول :

ودع عنك أقواما بها ضل سعيهم ... فما دأبهم غير الغواية والختر
وترديد اقوال السفاهة جهرة ... كأن لم يعوا ما في الكتاب من الأمر
فأنساهم ما قد وعوه من الهدى ... وزجهم في منهج البغي والخسر
فتى العلم دعهم فالغباوةشأنهم ... وليس غبي في العلا مثل من يدرى
وعرج بنا نحو الشبيبة انها ... لخير وعاء أودعت غالي الدر
هناك تجد لوح السريرة طاهرا ... فنضدد به ما شئت من غرر زهر

ومن سمات المصلح، ان يكون صاحب احساس مرهف، يتألم لآلام الوطن ويفرح لأفراحه، فهو عندما ينتقد مواضع تستوجب النقد، لا يفعل ذلك بدافع من التشهير والتحدى، بل انه يفعل ذلك لأنه لا يستطيع ان يرى ـ بنفسه الشاعرة ـ مواضع الداء بين اهله ومواطنيه، دون ان يتقدم بالدواء. فهو يعرض هذه الصور، بما فيها من نقائص فيقول:

لهفي عليها نفوسا في البلاد ثوت ... في حندس من ظلام الجهل غاشيها
فيها قد انتشرت اوباؤه وغدت ... تفت في عضد منها وترديها
لا تحسبوا القول للتشهير أنظمه ... بل نفثة من لهيب الحزن أرميها
منكم يئست ولما ضاع لي أمل ... الى الأمير أبي النفس أثنيها

وعندما يرسل الشاعر صيحته هذه، ولا يجد لها صدى بين مواطنيه ، يولي وجهه وجهة أخرى، عله يجد عندها تجاوبا يصلح ما أفسده الجهل، وأشاعه الخمول . انه يتوجه الى امير البلاد، وكان اذ ذاك، المرحوم الشيخ احمد الجابر الصباح . يتوجه اليه، لأنه كفيل وحده بتلبية نداء المصلحين، واجابة طلب المخلصين، فيخاطبه بقوله:

فياأميرا له في الفضل سابقة ... اليك أرسل آمالا وأزجيها
ياأحمد من سما في كل مكرمة ... وكل محمدة في الفضل حاويها
حاشا لمثلك أن يأوى الى دعة ... وغفلة عن نفوس أنت واليها

هذى رعـاياك مـن جهل بها مـرض — أنـت الطبيـب لها والعلـم يشفيهـا

فـاجمع لها شعثـا وانهض بها أممـا — فلفتـة بـانعطـاف منـك تحييهـا

هـذه الشبيبة شبـح الجهـل يفزعهـا — وأنـت مـأمنهـا اذ أنـت حـاميهـا

هـذّب مـداركها عضّـد مـدارسهـا — وارحـم طفـولتهـا اذ انـت راعيهـا

أكثـر معـارفهـا أبعـد مشـاغبهـا — نقـح معـاهدهـا واسمـع شكـاويها

عضـد دعاة غـدت للـرشـد طالبـة — واخـذل بها فئـة بـانـت مسـاويها

هـذا رجـاهـا بكـف مـن تضرعهـا — فاعطـف بفضلك، أبلغهـا أمانيهـا

وكان شاعرنا المرحـوم، احمد خالد المشارى تاجرا يتنقل من بلـد الى بلد .ولكنه كان دائما وأبدا يتتبع أنبـاء الوطن، سواء أكان بين العشيرة والأهـل، أم كان بعيدا يمشي في مناكب الأرض. وقد بلغه عندما كـان يمارس بعض اعماله التجارية في بومبي، ان الاستاذ عبدالعزيز الرشيد، صاحب «تاريـخ الكويت »، ومجلة الكويت، قد هاجر الى البحرين، فلقي من اهلها كل حفاوة وترحيـب وابتهاج . فأرسل اليه رسالة ادبية نشرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلته ، يقول فيها:

« ثم أيها العـزيز ، لقـد أبهجني وأسرني جدا، استقـامة اهـل البحريـن الكرام، على اكرامك وتقديرك، وليس ذاك بكثير على مزاياك وسجاياك العالية، وانهم لمشكورون على هـذا التقديـر، الذى وافـق موضعـ وتستحقه. ولكـن غمّني جـدا وأحزننـي ، ازماعك النقلـة الى البحرين، لما في ذلك من حـرمان وطنك، مما هـو في أشد الحاجة اليـك. اليوم أنـت بيننـا نور ومقتبـس ، لهذه النهضة الفكـريـة على ضعفها. فـاذا فارقتنـا، فسوف تسـود الظلمة، وتخمـد مشاعل النـور الضعيف، الـذى كنا نـؤمل انتشاره وسطـوعه، بما تمده بـه من نير أفكارك ، وريـاح همتك. فـأناشـدك الله، الا تفجع وطنـك وأحبابـك. وان كان لا بد مـن الرضـوخ لأحكام الفـراق ومقتضيات الوقت، فـاجعلها مناصفة بين الكويـت والبحرين. والله يأخـذ بيدك، لما فيه الخير والاصلاح».

ونلمح بين سطـور هذه الرسالـة الصادقة، روح الاصـلاح التي اتصف بها شاعـرنا الأديب، احمد خالد المشاري، فهو اذ يشكر اهل البحرين على الحفاوة البالغة، التي لقيهـا عندهـم اخوهـم عبدالعـزيز الـرشيد، يحزنـه ان ينتقل هـذا الأديب العـالم، والعامـل المخلص مـن الكويت، بعـد ان أفاض عليها مـن معين علمه، واهـداها

الوفير من أدبـه وفضله. وهذه صيحة أخـرى، من صيحات هذا الشـاعر المصلح، الذى حمل راية الاصلاح في الوطن، ولم يتخل عن حملها، وهو بعيد في ديار غربته.



مساعد الرفاعي

قلنا في الحديث السابق، ونحن نقدم سيرة الشاعر، احمد خالد المشاري «ان العلم هو الهدف الأول ، الذى يسعى اليه المصلح للنهوض بالوطن الى ربوع الفخر، وهو باب رحيب لكل تقدم واصلاح» ومن المبهج حقا، ان يكون شعراء الطليعة وأدباؤها في الكويت ، قد نحوا هذا النحو. ولم يشذ منهم احد . فما من شاعر ولا اديب ، إلا وله في الدعوة الى العلم صفحات مشرقة، اضافت الى سجلات المعرفة والفكر، ما تفتخر به الكويت اليوم، وهي ترفل في حلل العلم والعرفان. ولا يسع الباحث المخلص إلاأن يحيى الرعيل الأول من مثقفي الكويت، من الأدباء والشعراء الذين أناروا الأفكار ونبهوا الأذهان، وفتحوا الآفاق الرحيبة للمواطنين، فجعلوهم يتطلعون الى المعالي وجلائل الأعمال. ويسرني ان اجعل هذا الحديث، عن شاعر مخلص من شعرائنا وادبائنا الراحلين، وهو السيد مساعد بن عبدالله الرفاعي، الذي جعل تعليم أهل الوطن وتثقيفهم، هدفه الأول في الاصلاح. ولكي نعرف قيمة السيد مساعد، ما علينا الا ان نقرأ عنه أبياتا من الشعر، نظمها الشاعر الحر، المرحوم احمد خالد المشاري، ولهذه الأبيات قصة طريفة، وهي أن الشاعر المشاري، هاجم بعض الشعراء، لأسباب وردت في قصيدته التي لم أعثر عليها حتى كتابة هذه السطور. فظن المرحوم السيد مساعد انه من جملة الشعراء المعنيين. فغضب وثار. وكانت بين الشاعرين جفوة مدة من الوقت. فأرسل المرحوم أحمد خالد المشارى، هذه الأبيات الى صديقه السيد مساعد، يشرح فيها الموضوع شرحا وافيا، بما لا يدع مجالا للشك والارتياب، في حسن نيته. ومن قوله فيها:

يا من توهم أن لي قصدا بما	أعلنته من ذمّة الشعراء
رحماك لا تركن الى وهم بدا	فالوهم فيه مذلة النبلاء
أنا ان ذممتك شاعرا فالذم لي	ان المرآة تبين شكل الرائي
كيف المذمة تعتريك وأنت من	حاز المنصة في سماء علاء
جمعت مزاياك الفضائل كلها	يا سيد الشعراء والأدباء

وندرك من هذه الأبيات، منزلة السيد مساعد عند صديقه الشاعر، بل ندرك

كذلك، بعض منزلته في عالم الأدب والشعر، فقد كان يشهد له الشعراء أنفسهم، بالتفوق والسبق في هذا المضمار.

ونعرض الآن لآرائه القيمة في العلم، ودعوته الى الاصلاح عن طريق التعليم والتثقيف. وبرغم قلة المصادر التي بين ايدينا، وبرغم ضياع كثير من اشعار السيد، فلا يعدم الباحث شواهد صادقة تدل دلالة واضحة على شغف هذا الشاعر المصلح بالعلم، واشاعته بين مواطنيه. ومن أجلّ هذه الشواهد، قصيدة موفقة من الأدب الروائي، صوّر فيها حالة مواطنة توفي زوجها في البحر وهو يطلب الرزق، وخلّف لها ولدا صغيرا، أحوج ما يحتاج اليه هو تربية وعلم، وتبدأ القصيدة بهذه الأبيات:

وواقفة بقرب البحر تبكي	لعظم بكائها عيل اصطباري
وكان بقربها ولد صغير	بماء البحر يلعب وهو جار
فقالت انما أبكي لهذا	وزوج زجّ في قعر البحار
وما حولي كريم أرتجيه	فيرحمني ويحسن لي جواري

فيتطوع الشاعر لنصرة الأم، بعد سماع قصتها الشجية ويقول:

فقلت لها فطيبي اليوم نفسا	فاني سوف أوليك انتصاري

فتشكره الأم على سعيه الجميل، وترجوه أن يأخذ ابنها الى دار العلم، ليتثقف ويتشرب حبّ الوطن ومصلحته:

فقالت لا عدمتك يا ابن ديني	ودامت شمس سعدك بازدهار
فخذ هذا اليتيم لدار علم	ليشرب حبّ مصلحة الديار

ولكنه يحار بأمره، ويكفكف غاليات الدموع، لأن العلم شحيح في البلد. ولا تدوم حيرته طويلا، حيث يوجه نداءاته الصادقة، الى أهل الوطن، للأخذ بالعلم والعرفان فيقول:

ظللت لقولها حيران ساهي	اكفكف للمدامع في ازارى
وقلت العلم مفقود لدينا	وما في الدار من بالعلم دار
كأن القوم ما خلقوا لعلم	ولكن للجهالة والبوار

لقــــد خسروا حيــاتهم وضلـــوا وما للجـاهلين ســوى الخســار
امـا في القــوم مــن شهــم لبيـب يحث القــوم في طلــب الفخــار
إلامَ القـــوم في غـــي وجهـــل ومـــا في الجهـــل غير الاحتقــار
اليسوا نسـل مـن سـادوا البرايـا أبـاة الضيـم أربـاب الـوقـار

انه يتوجه ـ اذن ـ ، الى مواطنيه بندائه المخلص، ويذكّرهم بـذكريات الأجداد ، الذين فتحـوا الأمصار ونشروا العلم والفخار ، في ربـوع الدنيا، ثم يـذكرّ المواطنين ببعـض أحاديـث النبـيّ الأمين، ودعـواته المخلصـة الى العلـم ، والحب والايمان ، فيقول:

فعـن خير الأنـام خـذوا حـديثـا مــن الايمان حبُّــك للــديــار
فـإن أنتــم تكـافلتــم نُصرتــم والا للمـــذلـــة والصغـــار

ولا يشغل فكر الشاعـر تعليم البنين فحسب، بل انه يطلب تقـدم البنات ورفعتهنّ عن طريق العلم والمعرفة. وهذه يد بيضاء يحفظها التاريخ الأدبي للسيـد الرفاعي، حيث انه طالب بانصاف المرأة منـذ خمسين سنة، عندما كان نصيب البنين أنفسهم من العلم ضئيلا. فلنستمع الى الشاعر وهو يقول على لسان بطلة القصة:

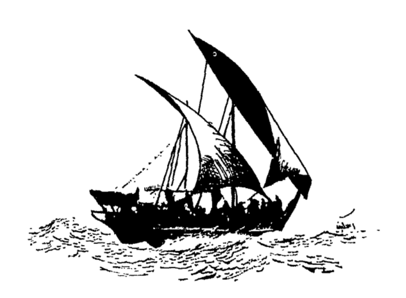
فقـالـت قـد صـدقـت وأيّ صـدق وقـــد قلـــت الصحيـــح و لم تمار
ولكـــن مـــا حيـــاة بنـــات جنسي ومـــا أخــــلاق ربـــات الخمار

فيجيبها الشاعر المفجوع بقوله:

فقلــت لها معـــارفهـــن اضحـــت بنقـش الكـفّ مـع لبـس السوار
وتـــزجيــج الحواجـــب واكتحـــال وصــف الشعــر او سحــب الازار
ولا يستطعـــن تــــدبيرا لبيـــت ولا يحســـنّ تـــربيـــة الصغـــار
فــراحـت تلطـم الخديـن حـزنـا ودمعتهـــا الغـــزيـــرة في انهمار

وملاحظتنا على هـذه القصيدة التوجيهية، تـدور حول جو القصيدة القـاتم، الذى ليس فيه أيّ بصيص من نور التفاؤل. ولعل الشـاعر لا يلام على هذه الظاهرة، فقد كانت البـلاد منذ نصف قرن، تختلف كـل الاختلاف، عما هي عليه اليـوم من تقدم وازدهار.

ولئن فارق شاعرنا الحياة قبل ان يشهد نهضة الوطن الشاملة، فروحه ترفرف اليوم على سماء الكويت المستقلة الجميلة، التي تفخر بأبنائها وبناتها، الذين اخذوا ينهلون من ينابيع العلم والعرفان، وصاروا يسهمون في ارساء قواعد النهضة في الكويت الحبيبة.



الأمثال العامية في الكويت

لكل شعب من الشعوب أمثال خاصة يتميز بها، وتكون مرآة صادقة لبيئته وأهلـــه. وفي الوطن العربي لغة عربية واحدة، من جبل عرفات الى بحر الظلمات، والفضل الأول للقرآن الكريم في انتشار اللغة العربية، وبقائها عبر القرون. ولكن لكل قطر عربي لهجة خاصة، ينفرد بها دون القطر الآخر. وكلما انتشرت وسائل الثقافة والأدب في احد الأقطار العربية، ازداد اهله قربا من اللغة العربية الفصحى، وسيأتي يوم تتقارب فيه اللهجات العربية تقاربا شديدا، بحيث تتلاشى العامية. ولكن الأدب الشعبي بما فيه من شعر وامثال، لن يزول، وخاصة ما دون منه في السجلات والكتب. وخير دليل على هذا القول، هو الأدب الأندلسي الذى حمل إلينا كثيرا من أدب الشعب، ممثلا في تواشيحه وأغانيه. وقد نقل إلينا ابن خلدون عند كلامه عن الشعر، شواهد كثيرة من هذا الأدب الذى كان منتشرا في الأندلس والمغرب العربي. وقد فقدت الأندلس من العرب، ولكن علومها وفنونها وآدابها الفصحى والعامية، بقيت على العصور، يغترف منها طلاب المعرفة في الشرق والغرب.

والأمثال العامية كالأمثال العربية تماما، تصور البيئة والناس تصويرا صادقا، بما تحويه من حكمة وفلسفة في شئون الحياة والكون. لذلك فهناك مئات بل آلاف من الأمثال العامية، لها نظائر ومرادفات من الأمثال العربية الفصيحة، وتشترك معها احيانا في اللفظ والمعنى.

وللكويت كأى قطر عربي، آدابه الشعبية وأمثاله العامية، وقد انتشرت وسائل الثقافة والأدب في الكويت، حتى غطت الفصحى على العامية، ولم يعد شباب هذا الجيل، يعرف شيئا عن تلك الآداب التي كان يتغنى بها الآباء والأجداد، ويجعلونها فاكهة لأسمارهم وزينة لأحاديثهم، في مجالسهم الخاصة والعامة.
وقد حظيت الأشعار الشعبية الكويتية، بمن اعتنى بها وأبرزها للقراء في حلل قشيبة. أما الأمثال العامية الكويتية، فقد بقيت بدون تدوين.

وإن سجلت لنا مجلات الكويت الأدبية، جوانب صغيرة منها، وكذلك ما أثبته لنـــا الاستاذ سيف مرزوق الشملان، في كتابه (من تاريخ الكويت)، والشيخ أحمد

الشرباصي، في كتابه (أيام الكويت). اقول لقد بقيت الأمثال العامية الكويتية، بدون تدوين، حتى جاء شاب كويتي أديب، فاختارها اختيارا موفقا وشرحها شرحا حسنا، ونشرها على الناس في كتاب سماه «من الأمثال العامية» ذلكم هو الاستاذ خالد سعود الزيد. وقد أجاد المؤلف في تسمية الكتاب، لأنه بدون شك، لم يُحِطْ بكل الأمثال الكويتية، التي مضى عليها أكثر من قرنين ونصف من الزمان. وقد اعترف هو نفسه بأن الكتاب لم يبلغ أشده من الكمال، برغم ما بذله فيه من مجهود، وبرغم البحث والتحقيق.

وقد أتى المؤلف ببحث مفصل ـ بعد مقدمة الكتاب ـ عن الأمثال واصولها في الأدب والحياة، فذكر أولا ان العرب اسبق في ميدان الأمثال ارسالا وتقبلا لها، حتى فضلوها على الشعر والخطابة، كما قال ابن عبدربه في «العقد الفريد». ثم تكلم عن الأمثال فى العصر الجاهلى وفى صدر الإسلام والعصر العباسى ثم تكلم عن اللهجة العامية واسباب انتشارها بين العرب، وهي اتساع رقعة الدولة العربية، في فتوحاتها التي عمت المشرق والمغرب، ودخول الأمم الأخرى في الإسلام واستيلاؤهم على أكثر مرافق الدولة، وسيطرتهم عليها السيطرة التامة، وخاصة بعد انقضاء العصر الأموي، ثم الأحداث السياسية التي مرت في الدولة الاسلامية، ففككت اجزاءها، مما كان له النصيب الأوفر في تعدد اللهجات والانحراف عن اللغة العربية الفصحى، واخيرا ـ لا آخرا ـ الجهل الذي جعل العرب في القرون المتأخرة ، ينقطعون عن الدرس والتحصيل.

ويذكر المؤلف ان هذه الأحداث وغيرها، مما لم يأت بها في بحثه، كانت المعاول التي اجتمعت على اللغة العربية، لتحطم كيانها وتزعزع بنيانها، لولا رسوخ جذورها.

ثم جاء المؤلف الأديب، برأي طريف عن الأمثال الكويتية، نثبته هنا لأصالته، فهو يقول:

«المثل الكويتي، جاء وليد بيئتين متناقضتين، وصورة لحياتين مختلفتين أشدّ الاختلاف. الأولى تمثل حياة البدو، وعرب الجاهلية، والثانية تمثل حياة الحضر والأمة البحرية، التي لا تعرف عن الصحراء الا بقدر ما يعرفه البدوي عن البحار وأغوار المحيطات. ثم ما لبثت هاتان البيئتان، ان امتزجتا في بيئة كويتية ذات طابع خاص، فجاء المثل الكويتي تعبيرا عن هذا التزاوج، ومظهرا من مظاهر الحياة

الكـويتيـة الصميمـة الخالصـة، التـي تجمـع بين أخـلاق عـرب الجاهليـة، وبـدو الصحراء، الذين لا تختلـف أخلاقهم عما كانت عليه ايـام سلفهم في الجاهلية، كما تجمع بين حيـاة الحضر، التي يشيع فيها شيء مـن الترف، وآثار من نعومـة الحضارة ومظاهرها. فالمثل الكويتي عصارة بيئتين التقتـا فامتزجتا بمرور الزمن، فكان مزيجا من حرارة الصحراء ورطوبة البحر».

وقـد بلغت الأمثـال العاميـة التي اثبتهـا المؤلف حـوالي ثمانمائة مثل واستغـرق جمعها وشرحها اكثر من ثلاث سنوات. وقد يتكرر المثل بصورة مختلفة، والتكرار هنا لا يعيب، لأن الأمثال الفصيحـة نفسها، تتكرر بسبب اختـلاف البيئة واللهجات. وقد أتى لنا المؤلف بمثل كويتي وهو « أبعد من السَّما او من لبعيد» . ثم أتى بثلاثة أمثلة عربيـة فصيحة، تقابل هذا المثـل. وهي « أبعد من النجم او الثـريا»، و« أبعد من مناط العيون» او « ابعد من بيض الأنوق ».

ويبدو مجهود المؤلف جلياً واضحا، لمن يقرأ هذا الكتـاب، فهو عندما يأتي با لمثل الكويتي، يحاول بقـدر المستطاع، ان يعززه بمرادف له من الأمثـال الفصيحة، ومن مصادر عـديدة، كـالقرآن الكريـم والحديث الشريف، وأقـوال المشاهير مـن بلغاء العـرب. وقد ازدان الكتـاب بـأمثال كثيرة مـن الشعـر العـربي ، كشعر الفـرزدق ، والمتنبي ، وعمرو بن معدى كرب ، والنابغـة الذبياني ، وامرىء القيس ، وكثير عزة ، والأخطل، والشريف الرضـي ، وحسان بن ثابت ، وجريـر ، وابن الوردى ، وعمرو أبن كلثوم ، وعباس بن الأحنف ، وأمية بن أبي الصلت ، والأعشى ، وغيرهم.

ولم يحصل المؤلف على هـذه الأمثال الفصيحة ، الآ بعد جهد جهيـد من البحث المستمر والقـراءة المركزة، ولا يدرك مجهـوده الكبير، سوى مـن عاش هذه التجـربة: تجربة الدرس والتحقيق، والتنقيب في بطون الكتب ومتون الأسفار.

وقد ختم المؤلف كتابه بباقة مـن الأمثال في الشعر العامي، لفهد بورسلي، وراشد الخلاوي وراكان بـن حثلين، وتركـي بن عبـدالله آل سعـود، وعبداللـه بن ربيعـة، وعبيـد العلي الـرشيد، وسليـم بـن عبـدالحي، ومحمـد الفـوزان، وعبداللـه الفـرج، وعبدالله القاضي.

بقيت لنا ملاحظـات على الكاتب والكتاب. فهو لم يذكـر المصادر التي استعان بها في انجاز بحثـه، لاسيما ما يختـص منها بالأمثـال العاميـة الكويتيـة. فقد نشرت صحف الكويت الأدبية، وفي مقدمتها «البعثـة» ، امثالا كثيرة مع تفسيرها، وكذلك

ضم كتاب «من تاريخ الكويت» وكتاب «أيام الكويت» امثالا كويتية عديدة. وهو كذلك لم يثبت فهرسا للكتاب، ولا يخفى على كل مطلع على كتب البحث والتحقيق ما للفهارس المفصلة من فوائد على مثل هذا الكتاب. واما ملاحظتنا الأخيرة، فهي ان الكاتب تجاوز احيانا عن نقاط تستوجب المزيد من البحث، فقد ذكر عند كلامه عن الطرثوث، ان المعرى ذكره في شعره، ولكنه لم يأت بهذا الشعر.



عبدالعزيز الغربللي

طويت صفحة عبدالعزيز الغربللي من الحياة، وهو في عز الشباب، وأصبح ذلك الجسم الصغير النحيف هامدًا تحت طيات التراب. ولكن روحه الوثابة لم تنته من سجلات الحياة وأنّى لها ذلك، فعبدالعزيز الغربللي كان من حملة القلم، وحامل العلم حي وإن اسمه لامع، وكيف يزول الاسم اللامع الذي لازم الصحافة الكويتية أكثر من خمس عشرة سنة فلا تذكر صحيفة من صحف الكويت إلاّ ولعبدالعزيز فيها نقدات وآراء، وقد تعدّى نشاط عبدالعزيز الأدبي الى الصحافة العربية وقد نشرت له مجلة الأديب اللبنانية عدة أبحاث في الأدب والحياة. وطُبع اسم عبدالعزيز في سواد القلوب قبل أن يطبع على بياض القرطاس. وهل يزول اسم تمكن بين الحنايا والضلوع؟ انه يعيش اذن في قلوب أصدقائه وأحبابه، وانه يعيش في قلوب قرائه وعارفي أدبه وفضله.

لقد أحب عبدالعزيز الغربللّي الأدب صغيرًا وهو بَعدُ على مقاعد الدرس، واغترف من ينابيعه العذبة ما شاء له الاغتراف، وهو لو تفرغ للأدب لأصبح من المجلّين في رحابه والسابقين في حمل لوائه، ولكنه مزج السياسة بالأدب فتشعبت دراساته وتنوعت مطالعاته، وكان مجلسه يقضيه بالأحاديث الشائقة في الأدب والسياسة وشؤون الحياة، وكانت مصر في شباب عبدالعزيز المبكر مصدراً للأدب والعلم، وصعيداً للاحزاب والمعتقدات السياسية.

وبعد أن تلقى عبدالعزيز ما تلقّاه من دراساته النظامية في المدرسة المباركية تعاطى أعمالا حرة، كان يضيق بها لأن جوها الضيق كان يزعجه فيثور عليه، وتطلع الى عمل يتناسب مع ميوله وينسجم مع معلوماته واستعداده الأدبي فعمل مدرساً في مدارس المعارف. ثم نقل الى إدارة المعارف فأصبح سكرتير المعارف أكثر من عشر سنوات. وبعد ذلك تعرض لمتاعب نفسية قاسية أرهقته وأشغلت باله ولم تزايله إلا بعد أن خمدت فيه جذوة الحياة وغدا في عالم الخلود.

وفي رأيي أن الموت كان رحيما بعبد العزيز فقد أنقذه من آلام الحياة وأراحه من الإحساسات المؤلمة التي أرقته كثيرا وهو في عز الشباب وأطيب أيام الحياة.

ولكن عبدالعزيز عليه رحمات الله لم يغمض عينيه إلاّ بعد نشاط ملموس فقد

انطلق قلمه بكل نشاط في الأشهر الماضية مسجلاً آراءه الفكرية في كثير من صحف الكويت ومجلاتها، ولست أدري أكانت صحوة الموت هي التي دفعته إلى المزيد من الانتاج بعد أن أحس من وراء الوعي بأن رحيله بات وشيكاً عن هذه الحياة؟ قد يكون ذلك كذلك. لأن حامل القلم يشعر بأن لديه أشياء كثيرة لابد له من عرضها على المواطنين، وخاصة إذا أحس بأن ايامه بين مواطنيه محدودة ستأتي نهايتها بعد حين. وفي هذا ما يفسر لنا اندفاع عبد العزيز في الأشهر القليلة الماضية للكتابة في كل صحيفة برغم متاعبه المؤرقة.

لقد كان عبدالعزيز الغربللي منذ سنوات يتدفق حيوية ومرحا ونشاطا وينظر الى الحياة نظرة مشرقة تختلف تمام الاختلاف عن نظرته اليها في أواخر أيامه. وقد نشر مقالا في البعثة منذ ثلاثة عشر عاما بعنوان « بين الحقيقة والخيال » قال فيه :

« فابتسموا للحياة تبتسم لكم كنوز الحياة وخيراتها وأشيعوا في نفوسكم جو المرح فإن المرح صورة رائعة من صور جمال النفس وإياكم والنظرة السوداء الكالحة وابتعدوا كل البعد عن شيطان الوحدة والانكماش والانعزال فإن في ذلك ضررا بالغا على مستقبلكم وعاملا من عوامل هدم شخصيتكم وسمة كريهة من سمات الضعف والهزال واياكم أن تفسحوا طريقا للاحزان والكآبة الى نفوسكم فإن الالم والحزن يحطمان النفس ويقتلان روح العمل ويهدمان الكيان ».

هذا ما قاله عبدالعزيز الغربللي منذ ثلاثة عشر عاما، وأعتقد انه وضع هذا الكلام نصب عينيه وهو يعيش هذه الحالة النفسية التي لا يعرفها الا القليل، لأنه كان برغم متاعبه يتظاهر بالسعادة والسرور.

لم أرد بهذه الكلمة التحدث عن عبدالعزيز الغربللي ككاتب فقدته الصحافة وكشاب مخلص فقدته الكويت. ولكنني هدفت الى شيء واحد عندما حملت القلم اليوم وهو أن أقول كلمة رثاء في أحد حملة القلم الكويتيين.





عنـوان غريـب لاشك، هـذا الذي طلـع بـه علينا الكـاتب الكـويتي الأستـاذ عبدالصمـد تركـي، في كتاب يقع في مـائة واربعين صفحة، ويبـدو للقارىء لأول وهلة ان الكاتب يحذر الناس من اللعب بالرماد لكي لا تمتلىء عيونهم به، فيصابون بالتراخومـا مثلا. ولكن عندما يتصفحـه القارىء لا يرى خلل (الرمـاد وميض نار) ولكنه يـرى آراء في التربية والتعليـم، فهو لم يختر هـذا العنوان الا لكـي يلفت نظـر القارىء فيجعله يبادر بقـراءة هذا الكتاب الذى يحمل هذا العنـوان الغريب، ومن الانصاف ان نقرر هنا ان هذا العنوان قد استعـاره المؤلف من كتاب (لكي لا تحرثوا في البحر) للاستاذ خالد محمد خالد، كما استعـار من هذا الكاتب الناجح جملة من آرائه في التربية والتعليم التي جاء بها في بعض كتبـه، حتى قال الاستاذ احمد ابوبكر ابراهيم الذى قدم كتاب (لكي لا تنفخوا في رماد):

«ولست أشك في ان الاستاذ قد عالـج المجتمع في شيء من البسط غير أنّ افكار الاستاذ خالد محمد خالد ناضحة على قلمه وبادية في اتجاهاته».

ولكـن الاستاذ عبـدالصمد تـركي يعتبر هـذا الكلام وثيقـة اتهام فيهيىء وثيقـة للدفاع يقول فيها:

« انني أريد من الاستاذ المقدم ان يدلني على المؤلف أو الكاتب الذي اورد فكرة ولم يستفد من غيره من المؤلفين من حيث تكوينها، تلك الاستفادة التي يصل اليها بعد الدرس الطويـل والمطالعة الواسعة ». ويبدو ان وثيقـة الاتهام تريد ان تقول ان المؤلف لم يأت بشيء جـديد في هذا الموضوع، ويبدو ان وثيقة الدفـاع تريد ان تقول ان الكتـاب جديـد وان اقتبس بعـض الآراء من غيره « وان المعـاني كلأ مبـاح وانما يتفاضل الناس في عرض الفكرة ».

ان مؤلـف الكتاب حينما يتصدى لبحـث تربوى فـانما يتصدى لموضوع هـو من صميم اختصاصـه فهو يعمل في حقل التـدريس منذ اكثر مـن عشر سنوات، وقد اكسبته هذه الأعوام الطويلة خبرة تؤهله لكتابة مثل هذا البحث الذى بين ايدينا.

ويرى المؤلف فيما يراه من آراء في كتابه ان المفتش في المدارس لا يقوم بأية خدمة للمجتمـع بل هـو زائدة دودية على حـد قول الاستـاذ خالـد محمد خـالد، ويـرى

المؤلـف ان مـن الـواجب تسريـح حضرات المفتشين والاستفـادة منهـم في مجالات أخـرى غير التفتيش، لأن المفتـش في نظره يحكـم على المدرس من خـلال الدقـائق الخمس التي يـدخل فيها عليه في جولتـه التفتيشية فيقول انه مدرس صـالح او انه مدرس غير صالح ويبعث بتقريره الى المسـؤولين، فإما أن يعاقبوا المدرس على فشله بعقـوبـات معينة في سجـلاتهم، او انهم يثيبـونـه على نجاحـه. وذلـك اعتمادًا على الدقائق الخمـس، اما مجهودات المدرس خلال عام .. وامـا نشاط المدرس في سائر الايـام، وأما نجـاح او فشل المدرس في غير دقـائق التفتيـش فهي أمـور لا يتشرف حضرة المفتش بمعرفتها.

ثم يتكلم المؤلف عن جهل بعض المفتشين وتعصبهم فيقول:

« دخل احد مفتشي اللغـة العربية على مدرس وصـار كعادته يعبث في كـراسه، ومـن هذا العبـث ان المدرس المسكين كـان قد كتـب هـذه العبـارة «أناقشهـم الدرس» وبسرعة البرق الخاطف ادار عليها القلم شاطبًا واستبدل بها العبارة التالية « أناقشهم في الدرس » شأنه في ذلك شأن مدرس صبية يعبث في كراساتهم.

قد تقـول لأول وهلة انه فسر الماء بالماء ولكنـك حين تعطي التعبيرين شيئـا من اهتمامـك، وحين تعطيهما شيئاً مـن ذوقك تـدرك مدى الفـارق الكبير، ولكي آخـذ بيدك لتعطيهما كل هذا آتيك بهذا المثل من القـرآن الكريم « ان الذين آمنوا وعملوا الصـالحات انا لا نضيـع أجـر من أحسـن عملا » ولم يقـل « اجـر من احسـن في العمل» ومن الحديث «من نوقش الحسـاب عذّب» ولم يقل « من نوقش في الحساب عذب» وعلى أية حال فقـد كانت كلمته بالرغم من هـذه الامثلة الكثيرة هي العليا في المدرسة وكلمة المدرس المسكين هي السفلى ».

ثم يخص مدير المدرسـة او ما يسمى بالناظر ببعض نقـده وينعته بجزار المدرسة الرسمي ويقول عنه « وأما هذا فيتلخـص موقفه في ايكال الضرب والطرد اليه مرة ، ويمثل دور تلـك الخرقة السوداء التـي يقصد المزارع مـن ايجادها، وهي قـائمة على عصا وسـط حقله، ارهـاب الطير وتخويفه مـن الاقتراب ثانيـة وكيل المدح لـزميله المفتش ورد المثل بمثلين، هو الروتين المعهود من حضرة المفتـش ثالثة، وما اليها من الاعمال التي ناهضتها التربيـة الحديثة مناهضة قوية وقوية جـدًا لما فيها من تسليط القوة على الواجب أولا، ولما فيها من تمثيل مريع لعصور البربرية وعصور الغابة ».

يتضح مما اقتبسناه من كلام المؤلـف انه لا يرى في المفتش إلا زائدة دودية، يجب

استئصالها من حقل التربية والتعليم، ولا يجد في الناظر سوى جلاد المدرسة الرسمي، ويتضح مما اقتبسناه أيضًا ان المؤلف على حق فيما اورده من امثلة وشواهد ولكن هل مؤلف كتاب «لكي لا تنفخوا في رماد » محق فيما يعتقده؟ والجواب نعم ولا.

نعم المؤلف محق فيما يعتقده اذا كان المفتش، كمفتشه الذي ذكره في كتابه، واذا كان الناظر كناظره الذي ذكره في كتابه ايضًا في عالم التربية.

والجواب لاأيضًا، اذا تذكرنا ان هناك مفتشين ونظاراً لا يستغنى عنهم في عالم التربية، ولنتصور مجتمعًا تربويًا بدون مفتشين ونظار. ان اقصى ما نستطيع قوله هنا هو اصلاح المفتش واصلاح الناظر، أما أن نقول اعدام المفتش واعدام الناظر، فهذه مبالغة وأى مبالغة اقول قولي هذا وان خالفت المؤلف والاستاذ خالد محمد خالد ايضاً.

ان المسألة اذن مسألة انظمة فاسدة او انظمة صالحة، وما هذا الذى يشكو منه الاستاذ المؤلف سوى بقايا عصور التأخر في الشرق، والعلم هو الذى سيحارب هذه المخلفات وسيزيلها من الوجود، ويحل محلها أنظمة صالحة للمجتمع، بعد ان يفهم كل فرد من افراد المجتمع نفسه قبل ان يتصدى للخدمة العامة. لاسيما المفتش الذي سماه المؤلف الزائدة الدودية، والناظر الذى دعاه جزار المدرسة.

ومما لاريب فيه ان المؤلف لا يرمي من وراء هذه الآراء سوى ان تتحرر المدرسة التي تنشىء ابطال المستقبل، من سياسة القوة وسياسة الارهاب على حد قوله في ص ٧٣ من الكتاب.

لقد أسهبنا القول فيُ هذا الموضوع لأن المؤلف نفسه أسهب فيه القول فقد خصص له اكثر من ستين صفحة من صفحات الكتاب وكان هذا الموضوع هو «عقدة» الكتاب التي عالجها الاستاذ عبدالصمد تركي وحاول ايجاد حل لها.

على ان المؤلف لم يغفل النواحي الأخرى من حقل التربية والتعليم فقد تكلم عن المرأة وعن دورها الفعال في تربية الاطفال وتنشئة المجتمع وقد اقترح جملة اقتراحات لرفع مستواها منها: انشاء جمعيات شعارها رفع مستوى الحياة المنزلية، وجمعيات شعارها خدمة المجتمع وجمعيات شعارها كيف نربي أطفالنا وجمعيات شعارها الى الامام دائمًا وأبداً.

ولم ينس التحدث عن تهيئة الناشئة تهيئة صالحة والاكثار لهم جهد المستطاع من مدارس الحضانة والمدارس الداخلية وتنمية وتشجيع المعسكرات المدرسية.

وقبل أن أنهي هذا المقال أحب أن أشكر المؤلف على دفاعه الحار عن المعلم، بل أستطيع القول إن الكتاب من ألفه الى يائه خير نصير للمعلم الذى قال فيه شوقي:

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا



رد الاستاذ عبد الصمد تركي

تحت عنوان « في الأدب والحياة » وفي العدد السابع والثلاثين من جريدتنا «الرأي العام» كتب أخي الأديب الفاضل الأستاذ فاضل خلف بحثا حول كتابي « لكي لا تنفخوا في رماد ! » فأشكر له هذه الروح الأدبية العالية، وأشكر له صراحة الرأي في البحث، إلا أن لي ملاحظة حول رأيين له في الموضوع، أحب عرضها على صفحات «الرأي العام» وعلى مستوى الروح الرياضية التي تجلت في بحثه ... وهذان الرأيان هما:

(١) قال أخي الأستاذ الفاضل فاضل خلف : « ومن الانصاف ان نقرر هنا ان هذا العنوان قد استعاره المؤلف من كتاب «لكي لا تحرثوا في البحر» للاستاذ خالد محمد خالد، كما استعار من هذا الكتاب الناجح جملة من آرائه في التربية والتعليم ..الخ ». والحقيقة انه كما استعار الاستاذ خالد محمد خالد الآية الانجيلية المشهورة «لكي لا تحرثوا في البحر ...! » عنوانا لكتابه المعروف بهذا الاسم كذلك اخذت عنوان كتابي « لكي لا تنفخوا في رماد ..! » الذي نحن الآن بصدده عن المثل العربي الذي يقول : «كالصرخة في الواد، والنفخة في الرماد ..! ».

اخترت هذا العنوان بالذات لأني أريد ان اقول اننا اذا تركنا مدرستنا تحت مدية الجزار الرسمي « الناظر» وهي تخور بآلام هذه الزائدة الدودية «المفتش» اذا تركناها دون ان نعطي هذا شيئا من الاهتمام في درسه، فلاشك ستكون نتيجة ناشئتنا وخيمة ووخيمة جداً.

أما أنني قد استعرت جملة من آراء هذا الكاتب الناجح «خالد محمد خالد» في التربية والتعليم، فهي أقوال جاء بها الاستاذ « احمد ابو بكر» وهو ممن مسهم الكتاب، في مقدمته للكتاب، وقد علقت عليها بمافيه الكفاية فليرجع اليها من شاء في كتابي «لكي لا تنفخوا في رماد ..!» تحت عنوان «لهذا ندعو ...! ».

(٢) وقال الاستاذ الفاضل فاضل خلف « والجواب لا أيضا اذا تذكرنا ان هناك مفتشين ونظاراً لا يستغنى عنهم في عالم التربية، ولنتصور مجتمعاً تربويا بدون مفتشين ونظار .» : ان هذا «الناظر» وهذا «المفتش» اللذين عناهما الاستاذ الأديب في بحثه هذا، قد رفعتها عن مستوى هؤلاء النظار وهؤلاء المفتشين وأطلقت على

الأول اسم «الاداري» وعلى الثاني «الموجّه» وقد رفعت عنهما ايضا سمة الجاسوسية البغيضة التي يتمتع بها ذلك النوع من الناس ... ولكن من هذا الاداري ومن هذا الموجه؟! ذلك ما فصّله الكتاب تفصيلا. فليرجع اليه أخي الفاضل فاضل خلف مرة ثانية وله خالص شكري.

مرة أخرى أكرر شكري وامتناني لأخي الاستاذ الأديب فاضل خلف.



المدرسة المباركية

حديثنا اليوم يثير ذكريات عزيـزة لشباب الكويت، مضى عليها خمسون سنة من سني هـذه الحياة ـ وقـد حصدت عجلة الـزمان هـذه الاعوام بصورة خـاطفة. لأن التطـور السريع الـذى حـدث في الكويـت جعـل السنين تنصرم سراعا بحيـث لا يحس بها الانسان. ولو كانت الأمور تسير ببطء وعلى وتيرة واحدة لمرت هذه الأعوام دون ان تلفـت الانظارأو تستهـوى الالباب، ولكـن ايام الكـويت الـزاخرة بـالخير والبركـات ـ بتقـدمها الخاطـف ـ تـدعو الى التـأمل وامعـان الفكر في كـل جديـد وطريف من فنون التطور والتجديد، في كل المجالات لا سيما مجال التربية والتعليم. فالمدرسـة المباركيـة التي نحتفـل اليوم بعيدهـا الخمسين الذهبـي، كانـت المدرسة النظامية الـوحيدة بين عشرات الكتاتيب. أما اليـوم فإن الكتاتيب قـد اختفت تماما بين عشرات المدارس النظامية الحديثة التي ينهل منها الجيل الصاعد أعذب العلوم والآداب. وستبقى المدرسة المباركية المعهد العلمـي الأول الذى رفع لواء العلم منذ خمسين سنة وأنـار الطريق امـام المواطنين، حتى ارتشف مـن ينابيعـه العذبة ثـلاثة اجيال ــ جيل الآبـاء، وجيل الأبنـاء، وجيل الاحفـاد ـ وسيبقـى أبدا ذلـك المعهد العلمي الزاهر للاجيال القادمة.

وفي تأسيس المدرسة المباركيـة منذ خمسين سنة، عبرة للشباب المخلص، فقد أبى نفر من آبائنا المخلصين ان يروا الكويت محرومة من التعليم النظامي الذى يتمتع به اخوانهم في اجـزاء عديـدة من الـوطن العـربي، فعقدوا العـزم الصادق على انشـاء مدرسة يجد فيها اهل الطموح ما يبتغونه مـن علوم وآداب. وما أعظم الرجال عندما يعقدون عزماتهم الصادقة على الاخلاص.

ويذكر لنا مؤرخ الكـويت المرحوم عبدالعزيز الرشيد في كتـابه تاريخ الكويت ـ وهو مصدرنا الـوحيد ـ ان المرحوم السيد ياسين الطباطبـائي كان اول من حث على تأسيـس هذه المدرسة، واول من رغّـب الجمهور في التبرع السخي لانشائهـا. وكان ثالث ثلاثـة يرجع اليهم الفضل في تأسيس هذه المدرسـة. اما الآخران فهما المرحوم الشيخ نـاصر الصباح، واستاذ الجيـل الشيخ يوسف بـن عيسى حفظه اللـه وأبقاه لكل مكرمة. وللشيخ يوسف مآثـر كثيرة تحدثت بها الكويت بأفصح لسان واطيب

بيان، وارجو ان يوفقني الله للكتابة عن هذا الاستاذ الرائد وعن صفحاته المشرقة في تاريخ الكويت.

ويذكر لنا صاحب تاريخ الكويت ان لآل خالد ـ ايضا ـ أيادي بيضاء في انجاح هذا المشروع العلمي الكبير فقد خصصوا للمدرسة احد بيوتهم، وكانت ماليتها في عهدتهم ينمونها بكل جد واخلاص وبدون أي مقابل. وقد بلغت تبرعات المواطنين السخية اكثر من ثمانين ألف روبية. كان للشيخ قاسم آل ابراهيم النصيب الأوفر منها فقد تبرع بثلاثين الفا، اما أخوه الشيخ عبدالرحمن آل ابراهيم فقد تبرع بعشرين الفا. لذلك هزت هذه الأريحية الفياضة شاعرية الشيخ يوسف ابن عيسى الذي حياهما بقصيدة ممتازة نقتطف منها هذه الأبيات:

يعرف الفضل ذووه في العلا	فهم الابطال ان رمت نزالا
قم بنا يا صاح نجلو ذكرهم	فبه الارواح ترتاح ثمالا
ثم صرح لا تكنى عنهم	فهم الانجاب فعلا ومقالا
آل ابراهيم هم اهل العلا	وهم الكهف اذا ما الخطب مالا
اصلهم زاكٍ تدلى زهره	فلذا طابوا فروعا وفعالا
ان للمجد لهم في قاسم	عَلَما يخفق جودا وجلالا
ينشر الكتّاب من بين الملا	ذكره المحمود فضلا وخصالا
وسل الأنباء تروى بذله	في معال قد تفياها ظلالا
لو سألت الدهر عمن قد مضى	هل رأى سمحا كهذا قال لا لا
غير أني لست انسى ماجدا	فاضلا فاض جميلا ونوالا
غنّ يا صاح بتذكار له	فلقد طاب ابو عوف فعالا
باسم الثغر لمرتاد الندى	عنده كم حل من عسر عقالا
حبس النفس على نيل العلا	فبه يكسب عزا ودلالا
دمتم بالخير يا اهل النهى	ما بدا برق بليل وتلالا
وعليكم آل ابراهيم ما	طلع الفجر سلام يتوالى

ثم انتقلت المدرسة الى مبناها القديم الذي ازيل منذ تسعة اعوام لتحل محله المدرسة المباركية الجديدة بمبناها الحديث. وقد تولى ادارتها الشيخ يوسف بن

عيسى الذي اظهر كل نشاط واخلاص في عمله الجليل. وتعاقب على ادارتها بضعة من رجالات العلم كالشيخ يوسف بن حمود والسيد عمر الازميري والشيخ عبدالعزيز الرشيد والشيخ محمد خراشي الازهري. وتولى التدريس فيها نخبة طيبة من ابناء الكويت والبلاد العربية كالشيخ حافظ وهبه والشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك والشيخ نجم الدين الهندي والشيخ محمود الهيتي والشيخ نوري الموصلي والسيد عبدالقادر البغدادي والاستاذ عبدالملك صالح المبيض.

وسميت المدرسة باسم أمير البلاد في ذلك الوقت الشيخ مبارك الصباح. وقد استقبل المواطنون المدرسة المباركية بفرحة عظيمة. فأخذوا يتوافدون عليها من كل صوب للاغتراف من مناهلها العذبة. واما الصحافة العربية فقد استبشرت بهذه الانباء العلمية السارة ومنها جريدة المؤيد المصرية التي نشرت مقالا شاملا لأمير البيان المرحوم شكيب أرسلان، يطري فيه المشروع ويرجو له دوام التقدم والنجاح.

ومن دواعي غبطتي وسروري - وأنا أتكلم عن هذه المناسبة السعيدة - انني كنت احد طلاب المدرسة المباركية منذ تسعة عشر عاما. وقد اخذت في رحابها ما اخذته من علم، وفي جنباتها تفتحت لي آفاق الادب. فقد كان في مكتبتها الى جانب الكتب الادبية اعداد من مجلة الرسالة ما كدت اتصفحها حتى اشتركت فيها، وقد لازمتها عشرة اعوام حتى توقفت عن الصدور.

فسلام على المدرسة المباركية يوم انشئت لتكون منارا يتلألأ في سماء الكويت.

وسلام على المدرسة المباركية يوم اخرجت للوطن رجالا صالحين يرسون قواعد النهضة في الكويت.

وسلام على المدرسة المباركية فى عيدها الخمسين الذهبي .

وسلام على المدرسة المباركية التى ألهمتنا الطموح والتطلع الى المعالي وجلائل الاعمال، ورسمت لنا طريق المجد.



محمود توفيق

تتطلع الكويت اليوم في عهدها الزاهر الذي تظله راية العزة والاستقلال، الى شبابها المتعلم الناهض، الذي سيضطلع بجلائل الاعمال في شتى مرافق الدولة. وقد كان للكويت فتى تتطلع اليه بكل فخر، وتعقد عليه اجمل الآمال، وكان مبرزا في ميادين التربية والعلم، وكان يتنقل من نصر علمي جليل الى نصر علمي أجلّ. ولكن كانت للاقدار مشيئة محتمة، فقد سقط هذا الفتى صريعا في ميدان الشرف، ميدان الدراسة والتحصيل وكان فى الشوط الأخير من طريقه الوعر الشاق، فانطفأت شعلة ذكائه، وخبت بوارق طموحه وطويت صفحته من سجلات الحياة. وكان موته خسارة للوطن الذي كان ينتظر رجوع فتاه سالما غانما، ومزودا بأعلى الشهادات وأرفع الدرجات.

ولئن غاب عن الكويت وجه فتاها المخلص وابنها البار محمود توفيق، فهو حي بسيرته المعطرة بالجد والدءوب، وحي بجهاده الطويل في سبيل العلم. وبما خلفه من آثار فكرية موزعة في صحف الكويت الادبيةولا سيما مجلة البعثة. وهو حي كذلك في كتابه (الحب طبيب) الذي يشمل ثلاث مسرحيات ترجمها عن الكاتب الفرنسي الشهير موليير.

ومعرفتي بمحمود، لها جذور قديمة، فقد كنا طالبين على مقاعد الدرس منذ ثماني عشرة سنة، في المدرسة المباركية ولم يكن محمود في تلك الأيام مجليا، بل كان طالبا عاديا لا يلفت النظر ولا تبدو عليه أية مخايل للتفوق والنبوغ. وتركت الدراسة وواصلها محمود فسافر الى القاهرة ضمن بعثة دراسية، وهناك في القاهرة حيث تتوافر وسائل الثقافة والعلم تفتحت الآفاق الرحيبة لمحمود فراح ينهل من ينابيعها العذبة، ويغترف من مناهلها الصافية ما شاء له النهل والاغتراف.

ودخل محمود جامعة القاهرة بعد انهاء المرحلة الثانوية والتحق بكلية الآداب فى قسم الفلسفة. وهناك فى أروقة الجامعة برزت عند محمود مخايل النبوغ، بالإضافة الى ماكان يبذله من مثابرة على الدراسة والتحصيل. واستهوته اللغة الفرنسية بآدابها وفلسفتها فانكب عليها حتى أتقنها اتقانا عجيبا، وأخذ يحاضر بها أمام الحشود من أهل الفكر وطلاب المعرفة والعلم، عن الكويت وتاريخها وآدابها.

وكان طموح محمود لا يقف عند حد. فالتحق بمدرسة الحقوق الفرنسية في باريس وأخذ يدرس مناهجها وهو في القاهرة، في نفس الوقت الذي كان مشغولا فيه بأداء واجباته الفلسفية في كلية الآداب بجامعة القاهرة. ونال في سنة ١٩٥٣ ليسانس قسم الفلسفة من جامعة القاهرة . ونال في سنة ١٩٥٤ ليسانس الحقوق من مدرسة الحقوق الفرنسية. وتطلع محمود الى المزيد من الدراسة والشهادات العلمية، فالتحق بمعهد التربية للمعلمين ونال دبلومه العام والخاص. ولكنه لم يكتف بما ناله من انتصارات علمية. فوقف جهده لنيل دبلوم الدراسات العليا الفرنسية في الاقتصاد السياسي. فكان له ما أراد وأصبح محمود توفيق يحمل أربع شهادات عالية في الآداب والحقوق والتربية والاقتصاد. ورجع محمود الى الوطن، والتحق بدائرة المعارف ثم حنّ الى نيل الدكتوراه ففاتح المسئولين برغبته وجاءته الموافقة الكاملة الشاملة وبينما كان يستعد للسفر الى باريس، جاءت اعتداءات فرنسا على الوطن العربي، في المغرب والمشرق، فألغى سفره. واتجهت أنظاره الى العالم الجديد الى أمريكا. وهنا اعترضته مشكلة عويصة وهي أنه لا يتقن الإنكليزية اتقانه للفرنسية. ولكن هذا لم يثبط عزمه ولم يفت في عضده، فسافر الى أمريكا، وأخذ يدرس أولا اللغة الانكليزية بكل شوق وعندما اشتد ساعده في هذه اللغة ونال قسطه من آدابها وثقافتها التحق باحدى جامعاتها لنيل شهادة الدكتوراه، ولكن المنية كانت مع محمود على ميعاد، فلوت عوده الفينان واهتصرت شبابه الغض، وأوقفت طموحه الخارق، وعزماته الوثابة عند حدها في مثل هذه الأيام من العام المنصرم.

لقد كان محمود توفيق رحمه الله غريباً عن هذا العالم، وكانت له أطوار عجيبة يدركها كل من اتصل به وخبره عن كثب وقد ازدادت هذه الاطوار غرابة في أثناء دراساته الجامعية المتعددة. فقد كان محمود في واد والناس والحياة في واد آخر. لقد كان منقطعا عن الحياة والناس، ولكنه كان على اتصال وثيق بدراساته وتأملاته الأدبية والفلسفية والقانونية والاقتصادية. ومن أطواره الغريبة هذا السعي المستمر وراء الشهادات والاجازات العلمية، في حين يكتفي الطالب العادي بشهادة واحدة وفي فرع واحد من فروع العلم. وفي هذا الموضوع يقول الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري، في المقدمة التي سجلها لكتاب (الحب طبيب):

«الأستاذ محمود توفيق مجموعة من المواهب الفذة والحيوية الممتازة والاندفاع

الزائد الى العلـم والمعرفة والبحـث والتحصيل، وهو تراه أبـداً يركض ركـوضا وراء الفلاسفة والعباقرة من رجال العلم والفن والأدب».

ثم يقول بعـد استطراد «ولا نخرج عن الموضوع، فنقـول ان الأستاذ محمود غريب في أطواره بالنسبة الينا نحن الذين لا تتحمل أفكارنا وعقولنا ما يتحمله فكر وعقل هذا الانسان الغريب».

وللمرحوم محمود توفيق مقال صاخـب ولكنه شائق وطريف، كتبه في مجلة البعثة في فبراير ١٩٤٩ وذلك قبـل دخوله الجامعة يـرد فيه على من يقول ان أيـام الدراسة لذيـذة وجميلة ومـن هذا يتبين أن محمـودا كان يحس بمشقـة الدراسـة ومضايقـاتها الشديدة وخاصة في المرحلة الثانوية فهو يقول:

« حقاً ان ما يثير ثـائرتنا وسخطنا أن نسمع من بعض الكبـار والاساتذة وغيرهم من يقولون بمرارة مفتعلة إن أيام الدراسة لذيذة « آه ليتها تعود » فهل هذا معقول؟ أتريـدون بقولكـم هذا أن تخدعونـا؟ ولكنكم تخدعون أنفسكـم لأننا بعـد تجربة لم نجد لتلك اللـذة المزعومة أثراً وأستطيع أن أقول والثقـة تملأ نفسي إنكم لم تتمنوا الا أيام الدراسة لا الدراسة ذاتها. أو بمعنى آخر (أيام الشباب) ».

وبعد خمس سنوات من كتابة هـذا المقال أي بعد تخرجه في الجامعة، ترجم كلمة لاناطول فرانس من كتاب (صديقي) يذكر فيها الكاتب أنه كلما تقدمت به السن رأى نفسه تحن أكثر فأكثر الى أيام العودة الى المدرسة.

وكأنَّ محمـوداً في مقاله المترجـم هذا يريـد أن يروِّح عن نفـوس القراء بهذا المقال الهادىء بعد أن فرض عليهم منذ خمس سنوات ذلك المقال الصاخب.

وكان محمود يتمتع بروح مرحة وخاصة في أيام دراسته الأولى فهو يروي أطرف ما حدث له في مجلة البعثة في سنة ١٩٤٧ بقوله:

« لم أكن أفهـم في بادىء مجيئنا الى القاهـرة، اللهجة المصرية الـدارجة، وجلست أتحدث يومـا مع أحـد المدرسين المصريين فأخذ يـوجه أسئلـة كثيرة، وكانـت كلها تحمل الرد بالايجاد فكنت أرد عليه (بلى.. بلى) فـرأيته يتضايق مني، ولم أعرف السر في ذلك، ثـم تشجع وقـال بحماسة (ما تختشي يـا جدع .. أنـت عمال تقول بلى بلى بلى. جاك البلا) ولم أعرف أكان جادا أم هـازلا. ومنذ ذلك اليوم، حرمت على نفسي لفظة بلى أمام المصريين.

وكان محمود توفيق الى جانب دراساته العلمية مهتماً بالموسيقا اهتماما كبيراً، وكان يجيد العزف على الآلات الوترية اجادة تامة. وقد كتب عدة مقالات عن الموسيقا فى مجلة البعثة منها مقال بعنوان (العرب والموسيقا) في عدد ابريل سنة ١٩٤٧ ومقال بعنوان (موسيقانا الكويتية) في عدد يناير ١٩٤٨.

هذه لمحات خاطفة في ذكرى شاب كويتي نابغ اختطفه الموت في ريق شبابه فخسره الوطن وخسره العلم، فإلى روح محمود توفيق في عالم الخلود أطيب تحية وسلام.



شملان بن علي آل سيف

هذا الحديث عن رجل من رجال الكويت العاملين المخلصين، الذين سجلوا للوطن الحبيب، مآثر خالدة يذكرها التاريخ بمداد لا ينضب من المفاخر والمكرمات، مهما تقادم العهد وطويت صفحات الزمان. وهذا الرجل الذى نتحدث عنه اليوم، قد تحدث عنه التاريخ من قبل، بطيب من الذكر الحسن، تعطرت به مجالس الكويت، وتناقله الأبناء عن الآباء، ذلكم هو شملان بن علي آل سيف. ولم يكن شملان أديبا ينشر على الناس أفكارا في الادب وشؤون الحياة، ولا شاعرا يتغنى مع عنادل الشعر وفرسان القريض، فكيف اذن نال من المجد والخلود ما لا ينالـه كثير من شعراء البلاد العربية الذين تغنوا بأفضال شملان ومحامده. الجواب اذن عند هؤلاء الشعراء كالشيخ يوسف بن عيسى وعبد العزيز بن حمد المبارك، وعيد بن بداح المطيري وزين العابدين الحاج حسين، وعيسى مطر، وعبداللطيف بن ابراهيم النصف وبجاد بن حزام الخالدى، والشيخ محمد بن عبدالعزيز الفارسي، وعلي بن مرهون والشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب تاريخ الكويت وعبدا لمحسن أبا بطين، وراشد السيف وعبدالله سعد اللوغاني، وعبدالعزيز بن عكاس والملا محمد صالح، وعبدالرحمن بن شريدة العصفور وشاعر الكويت الشعبي فهد بن راشد بورسلى وشاعر الكويت المشهور صقر بن سالم الشبيب وغيرهم من الشعراء الذين ترجموا عواطفهم الصادقة نحوه تارة بالشعر الفصيح وتارة بالشعر العامي. لقد عرفنا الشق الاول من الجواب، عند هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بأمجاد شملان، وبقى علينا ان نعرف الشق الثاني من الجواب وهو لم تغنى هؤلاء الشعراء بهذا الرجل حتى بلغ ما نظموه فيه ديوانا كبيرا من الشعر، اسمه عقود الجمان، يحتفظ به أحد أحفاده وهو الاستاذ سيف مرزوق الشملان، وهذا الديوان مخطوط لم تتداوله أيدى القراء حتى الآن، وإن نشرت أجزاء يسيرةمنه فى بعض الصحف العربية، وفى كتاب تاريخ الكويت وكتاب من تاريخ الكويت.

ولكي نعرف الشق الثانى من الجواب وهو لماذا تغنى الشعراء بشملان؟ أستميح المستمع الكريم الرجوع به الى الوراء نصف قرن تقريبا، لنتصور الحياة التعليمية فى

الكويـت التى كـانت بـدائية تختلف كـل الاختلاف عـن الحياة التعليميـة فى هذه الأيام، حيـث نرى المدارس الآن تشمخ بفنها الهنـدسى الرائع، وتفخر بمـن تخرجه من طلاب العلم الذين أخذوا يرسون قـواعد النهضة الحديثة فى الكويت. لقد كان التعليـم منذ نصـف قرن بسيطـا جـدا وكان مـع ذلـك محصورا فى عـدد قليل مـن المواطنين، الذيـن آتاهم اللـه نصيبا من الغنـى واليسار. وكان الفقـراء محرومين من نعمة القـراءة والكتابـة مما جعـل شملان يشعـر بالمرارةفى أعماق نفسـه، وهو يـرى أبناءه وأبنـاء غيره من الأغنياء يتمتعون بفضيلـة التعليم، على حين بات غيرهـم من أبناء الفقـراء تفتك بهم الأميـة بسلاحهـا الرهيـب. لهذا قرر فتـح مدرسـة لليتامـى والفقـراء مـن المواطنين يصرف عليها من أمواله الخاصة، لكي ينال هؤلاء الاطفال المحرمون نصيبهـم من التعليم ولكي يخفف عنهـم بعض ما يعانونـه من آلام الفقر واليتم، فكانـت مدرسته أول مدرسة يشيـدها مواطن بمفرده، ونـال شملان قصب السبق في ميـادين التعليم، فنـال نصيبه الأوفر مـن المجد والخلود على الأيـام. وقد سمـى شمـلان هـذه المدرسـة مـدرسة(السعـادة)، لكـي يشعـر الفقـراء والأيتـام بالسعـادة حقا وهـم يتلقون تعليمهـم في أروقتها، وكـانت هـذه المدرسة تقـع على ساحـل البحر في حي ابن خميـس، وكان مديـرها الشيخ أحمد بن خلـف الخميس. وقد أقيم احتفال كبير بمناسبة افتتاحها القى فيه كثير من القصائد والخطب.

وهذه قصيدة الشاعر المجيد عبداللطيف ابراهيم النصف:

اليوم نـال العـلا والمجـد مـن طلبـا ... مـذ أصبحـا لأبي الامجاد قـد نسبـا
مـا زال يـدأب والخلاق يكـلأه ... حتـى استهان لـه الامـر الذي صعبا
اللـه أكبر يـا شمـلان كـم لـك مـن ... مكـارم فقـت فيهـا العجـم والعـربـا
رفقـا بنفسـك قـد حملتهـا شططـا ... رفقـا بمالـك قـد حملتـه تعبـا
جـردت همة ليـث لا يسـاورهـا ... وهـن الـرجال ولا تستصحـب النقبـا
وسرت في فلـوات المجـد منفـردا ... ولـو سـواك مشـى فيهـا اذن لكبـا
بنيـت مـدرسـة أم شـدت مفخـرة ... أم نلـت مكـرمـة أم فـزت منقلبـا
للـه مـدرسـة الأيتـام مـدرسـة ... قـد أبهجـت ببنـاهـا العلـم والأدبـا
أقمـت فيهـا احتفـالا راق منظـره ... عين الـزمان فـأبدى الأنـس والطربـا
قد كنت أهوى لو اني استطعت حينئذ ... بـأننـي كنـت فيـه أول الخطبـا
لكنما عـاقنـي دهـر ألـح على ... ظلمـي ومـن طبعـه أن يظلـم الأدبـا

هذي الكويت وأنت اليوم واحدها رضي بذاك كبير القوم أو غضبا
ترنو اليك بعين الشكر معجبة بما أتيت به من نخوة وإبا
فإيه يا ابن علي قم فأنت لها وأنت من بحماه نأمن العطبا
الواهب المال لايحصيه حاسبه وليس يتبعه منا اذا وهبا
والمشتري الحمد والذكر الجميل معا والقائل القول لا تلقى به كذبا
لا تحسبنّ بخيل القوم سيدهم لكن سيدهم من يبذل النشبا
والمال إن لم يشد ذكرا لصاحبه سوى وبال عليه يجلب الجربا
أبا محمد خذ بكرا لليلتها لم تهو غيرك ياخير الكرام أبا

وعندما انتشرت أنباء هذه المدرسة في الكويت وما جاورها من البلاد سارع أهل الفضل والعلم والأدب ، بارسال تهنئاتهم الصادقة الى أبي الفقراء والأيتام شملان، وعلى رأسهم المجاهد البحراني الكبير الشيخ عبدالوهاب الزياني، وكان يقيم آنذاك في بومباى. ومما قاله في خطابه (وأحمد الله الذي وفقك واختارك قدوة وأول مؤسس ومعتن بحقوق الايتام المضاعين فأقدم بين يديك مزيد التشكرات، وعميم التهنئات وخالص الدعوات).

ولم يمض على تأسيس هذه المدرسة بعض الوقت حتى استطاعت أن تنتزع اعجاب كثير من أهل العلم، في الكويت وفي البلاد العربية المجاورة وعندما زار الكويت الزعيم التونسي، الشيخ عبدالعزيز الثعالبي حلّ ضيفا على شملان، واحتفت به مدرسة السعادة احتفاء عظيما، وقد وجه مدير المدرسة بهذه المناسبة الى شملان رسالة قال فيها:

« وطلب الضيف أن يزور المدرسة وأقمنا لزيارته احتفالا سرّ به وأعجب بكثير من الاولاد وجسارتهم في القاء الخطب، وألقى خطبة أعجب بها الحاضرون، وأثنى على المؤسس ثناء جميلا يليق بمقامك السامى ».

ومن رجال التعليم في العالم العربي الذين زاروا المدرسة وأعجبوا بها وأشادوا بهمة مؤسسها الشيخ حافظ وهبة المصرى، والصحفي العراقي محمد الكرماني والشيخ محمد عبداللطيف المانع من قطر، وقد احتفلت المدرسة بهم احتفالا يليق بمكانتهم العلمية الكريمة.

ومدرسة السعادة مكرمة واحدة من مكارم شملان، ولكنها تعتبر كألف. ولشملان مكارم أخرى، تحدث بها التاريخ بحروف من نور، فهو الذي أوقف

نصف الماء الذى تجلبه الى الكويت من شط العرب، سفينة رنقون الكبيرة على الفقراء والمحتاجين من المواطنين وهو الذي كان منزله دار ضيافة لكثير من زوار الكويت، بل لكثير من أهل الكويت أيضا، وقد تغنى كثير من الشعراء في كرمه وجوده وقراه للاضياف وقد وصف شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب محل شملان فقال:

محل الشهم شملان المفدى	به لذوى المفاخر أي حظوة
به كانونه يدفي فيكفي	فتى لم يلق في مشتاه فروه
يؤجج ناره فيه الى أن	يغادر في حسام القرنْبُوه
وحول النار قد صُفّت دلال	بهن لشاربيها خير قهوة
فشرقيّ الكويت اليوم أمسى	بشملانٍ من العلياء جذوة
حذا بالمجد حذو أبيه قدما	وخير بنيه يحذو اليوم حذوة
فلا انقطعت لشملان حياة	ولا انفصمت به للعمر عروة
وما شكران أهل المال دأبي	ولكن شكر ذى كرم ونخوة
اذا لم يرفد البؤساء مثرٍ	فلا أبقى لديه اللّه ثروة

ومحامد شملان ومكارمه هذه، جعلته عضوا بارزا في الكويت وكثير من الاقطار العربية الشقيقة، وقد تبودلت بينه وبين زعماء العرب وملوكها رسائل كثيرة في مختلف الشؤون العربية وفي كتاب من تاريخ الكويت للأستاذ سيف مرزوق الشملان كثير من هذه الرسائل ، التي أرسلها الى شملان الملك عبدالعزيز السعود والشيخ خزعل والشيخ سالم بن مبارك الصباح والشيخ أحمد الجابر الصباح والملك حسين بن علي والحاج أمين الحسيني والشيخ عبدالعزيز الثعالبي والشيخ مبارك الصباح والشيخ قاسم بن محمد الثاني والشيخ يوسف بن عيسى والشيخ جابر بن مبارك الصباح. كما أن في هذا الكتاب رسالة من الشيخ عبدالله السالم الصباح الى شملان بتاريخ ٨ محرم ١٣٤٤ هجرية.

وكان شملان سيدا في قومه، ولكنه كان على قدر كبير من التواضع، بحيث كان يتفقد أحوال مواطنيه وخاصة الفقراء منهم وكان مجلسه لا يخلو من الضيوف والزائرين، فاذا تخلف أحدهم عن مجلسه، قصده شملان بنفسه وطرق بابه ليعرف حقيقة أمره، فاذا كان التخلف عن مرض ألمّ به سارع باحضار الدواء اليه، ونفحه

مما أفاء الله عليه من خير وبركات.

وقد وضع شملان أمواله طيلة أيام ثرائه في خدمة الوطن وأهله وعلى الأخص عندما كانت الكويت تتعرض لخطر الغزاة والطامعين، وقد قتل ابنه علي، في وقعة الجهرة المشهورة في تاريخ الكويت.

هذا ولما كان لكل شيء نهاية، فقد حل ذلك اليوم الذى نفدت فيه ثروة شملان الطائلة ، حيث كسدت أسواق اللؤلؤ، ووقعت الكارثة على تجاره، وفقد شملان ثروته كلها فتورط بالديون، وبلغت عطايا شملان نهايتها، هذه العطايا التي تغني بها الشعراء والكتاب ، وضربت بها الامثال. واغلقت مدرسة السعادة التي شيدها شملان للفقراء والأيتام.

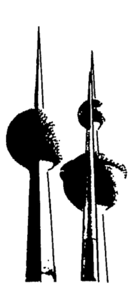
ولكن شملان برغم متاعبه ظل طوداً شامخا لا تزحزحه مضايقات الحياة، بل سار على طريقته الأولى في مساعدة الفقراء والأيتام، من التبرعات التي كان يجمعها من المواطنين.

وتوفي شملان مساء الاثنين ١٤ ربيع الأول ، ١٣٦٤ هجرية، الموافق ٢٦ فبراير، ١٩٤٥ وعمره نحو (٨٣) سنة فجدّد الشعراء ذكرياتهم الغاربة وافاضوا في رثائه كما اشادوا من قبل بأفضاله ومكارمه وفي مقدمتهم أستاذ الشباب الشيخ يوسف ابن عيسى الذى قال :

في ذمة الله يا شملان ترحال ... وصيب الدمع في مثواك هطال
في ذمة الله روح بالجميل سمت ... لها على الخير اقدام واقبال
أن ابعدتك المنايا بعد ألفتنا ... فأنت بالقلب يا شملان نزال
فذا خيالك في عيني ألاحظه ... وفي فمي ذكرك المحبوب سلسال
مصيبتي فيك عظمى لا تطاق وإن ... هانت لديّ من الأرزاء أهوال
وان تجلدت بين الناس محتسبا ... ففي فؤاديَ بركان وزلزال
أشكو الى الله نارا قد وهت جسدى ... وقودها بالحشى هم وبلبال
أشكو الى الله ما لاقيت من كمد ... وفرقة مالها حد وآجال
عسى يجير شجياً بات منصدعاً ... أمسى له في بحار الهم تجوال
ويسكن الراحل المرحوم جنته ... فهو اللطيف وللاحسان فعال

هـــذا وختمـــيَ فيها قلـت مبتـــدئا   في ذمــة اللـه يـــا شمـــلان تـرحـــال

فسلام على شملان في دار الخلود.



صفحات من تاريخ الكويت

عندما يتحدث التاريخ بلسانه الفصيح عن العاملين في الكويت، وعندما يخطّ بين سطوره سير الرجال المخلصين، يكون اسم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، علما خفاقا في تاريخ الكويت، فهو من رجالنا العاملين المخلصين ، الذين حلّوا من قلوب المواطنين أعز مكان وأطيب منزلة . وقد وضع هذا الاستاذ الرائد جميع طاقاته البناءة ، فى خدمة الوطن والمواطنين ، اكثر من نصف قرن . وهو حتى يومنا هذا يعمل بكل اخلاص ، وفى مجالات عديدة ـــ برغم تقدم السن ـــ ، للبلوغ بالوطن الى ربوع المجد . وقد سجل له المرحوم عبدالعزيز الرشيد ، في كتابه «تاريخ الكويت» مواقف رائعة وصورا مشرقة، ستبقى على الدهر ما بقى الانصاف والمنصفون. كما سجل له غيره من الكتّاب وحملة الأقلام، مواقف مشابهة من المفاخر والمكرمات. ويعتبر الشيخ يوسف أبا العلم في الكويت، فهو الذي أسهم في انشاء المدرسة المباركية، وهو الذي أسهم في ارسال البعثات العلمية الى البلاد العربية، وهو الذي أسهم كذلك في تأسيس النادي الأدبي، والمكتبة العامة، منذ اربعين سنة. والى هذه الأعمال الجليلة المتلاحقة، يشير الاستاذ صقر الشبيب بقوله:

شغفت بكل اصلاح جليل	منافعه تعود على العموم
اقمت اليوم يوسف خير ناد	تقوم به مذاكرة العلوم
وذلك خير منهاج يؤدي	بني وطني الى الخير العميم
وما للعلم لا يثني على من	غدا لسعادة أزكى مقيم
وبوأ في الكويت العلم دارا	يشح بها الحميم على الحميم

والى هذه الأعمال الجليلة آيضا، يشير المرحوم عبدالعزيز الرشيد، بقوله:

ولكنني ماذا أقول وعلمكم	به كنت حقا مثل شمس منيرة
وكنت به تحمي الضعيف من الأذى	وكنت به تبنى علالي الفضيلة
وكنت به ملجأ الكويت وأهلها	اذا ما الخطوب السود في القوم حلّت

وليس هنا مجال افاضة في الحديث عن هذا الاستاذ الرائد، ولو كان الأمر كذلك، لما وفته حقَّه هذه الدقائق القليلة. ولكن حديثنا اليوم مقتصر على كتابه

المشهور «صفحات من تاريخ الكويت» الذي صدر في اواخر الحرب العالميه الثانية. وهو كتاب صغير الحجم، لكنه كبير المنفعة. وقيمته ليست في عرض الحوادث التي يعرفها كلّ متتبع لتاريخ الكويت، بل ان قيمته تتمثل في تلك الومضات المشرقة، التي تتخلل الكتاب وهي ومضات انارها الاجتهاد واذكاها الاخلاص. وقد سجلها لنا المؤلف بعبارات صريحة، ليس فيها التواء ولا غموض. وحياة الشيخ يوسف كلها صراحة واخلاص، وبهاتين الخلتين الحميدتين، بلغ نصيبه الأوفر من المجد والخلود.

وقد ألّف الشيخ يوسف هذه الصفحات لأبناء المدارس ــ كما جاء في المقدمة ــ ولكنها أصبحت مع الأيام مصدرا هاما عن الكويت، يرجع اليها كلّ من يتصدى للكتابة والتأليف عن الكويت. وقد خصص الثلث الأول من الكتاب لتاريخ الكويت، بدأه بصباح الأول، وختمه بوفاة مبارك الصباح. وأما الثلثان الآخران، فقد خصصهما للحياة الاجتماعية في الكويت. وقد تكلم المؤلف باسهاب عن الأحكام في الكويت. وعندما يتكلم الشيخ يوسف عن الأحكام، نراه يرجو ويتمنى ان تتقدم الأحكام لتساير التطور في العالم الحديث، ومن ذلك قوله:

«وأملي بالله جميل، ان يتم احسانه فأرى الكويت في جميع دوائرها، تمشي على نظام مدون، له حرمة وسلطة».

وقد حقق الله الآمال، فأصبحت الانظمة مدونة محترمة من الجميع. ثم يتكلم المؤلف عن القضاء ورجاله، فيعطي ــ وهو رجل القضاء ــ كلّ ذي حق حقه. وعندما يتكلم عن المعارف والصناعة، نراه يسدى أطيب نصائحه الى مواطنيه، لمسايرة ركب الحضارة والعلم. والأخذ بالصناعات الحديثة، التي جعلت للأمم والشعوب مقام صدق في العالم. وقد هاجم بعض الغلاة الذين يتأففون من الصناعة، ويشمئزون من رجالها. ومن قوله في هذا الصدد:

«فيا اخواني وأبناء جنسي، كونوا عصاميين لا عظاميين، وجاروا الأمم الحية بصناعاتها، فلا حياة لكم الاّ بالأخلاق العظيمة، والصناعات المفيدة. أليس من النقص ان الأصيل لا يحسن صنع ابرة يخيط بها ثوبه، والأوربي طبقّ الأرض بعلومه

وصناعاته، فطار مع الأطيار، وغـاص في لجج البحار، واستولى على الممالك وما فيها مـن الأقـوات، وصرنـا نعيـش تحت رحمته، محافظين على الأصـل كـي لا يتـدهـور بالصناعة!».

ثم يتكلم الشيـخ يوسف عن المدرسة المبـاركية، التي احتفلنا منذ شهـر بعيدها الخمسين الذهبي. وعندمـا يتكلم استاذنا المؤلف، عن المباركيـة، فكلامه الفصل، لأنه صاحب الفضـل الأول في انشائها وتطـورها حتى غدت المعهد الكويتي الأول من جميع النواحي.

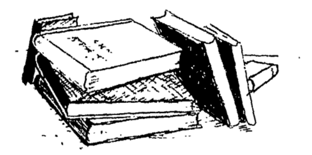
ويتكلم بعـد ذلك عـن علماء الديـن المخلصين الذيـن تركـوا أطيب الـذكر في نفوس المواطنين، وهـم السيد أحمد بن السيد عبـدالجليل طباطبـائي، والشيخ احمد ابن محمـد الفارسي، والشيـخ خالـد بن عبـدالله العـدساني، والشيـخ عبدالـرحمن الفارسي، والشيخ مسـاعد العازمي، والشيخ عبـدالله بن خالد العـدساني، والسيد سليمان بن السيـد علي، وملاّ احمد بن محمـد القطان، والشيـخ عبدالله بـن خلف، والشيـخ محمد بـن فارس، والشيـخ محمد بـن ابـراهيم الغـانم، والشيـخ محمد بـن جنيدل، والشيخ يوسف بن حمود.

وعندما يـذكر المؤلف الحركة الأدبيـة في الكويت، يخص بالـذكر من لم يذكـرهم المرحوم عبـدالعزيـز الرشيـد، في تاريخه. كعبـدالله الفـرج، وحمود بن نـاصر البدر، ومحمد الفوزان، والسيد عبدالمحسن بن السيد عبدالله طباطبائي.

وفي الكتـاب فصـول ممتعة عـن منـاقـب الكويتيين، والحوادث التـي يـؤرخ بها الكويتيـون، والتجارة وتجار اللـؤلؤ والخيـل، والسفن الشراعيـةواسمائها وانـواعها. والغوص وتطوره، وسفن الغواصين وقوادها،والمنازل في الكويت، واللباس وتطوره، ويخص بالذكر المرأة في الكـويت. وعندما يتكلم استاذنا الشيـخ يوسف عن المرأة، فهو نصيرها والمحـامي عن حقوقها ومطـالبها العادلة في العلم وشئـون الحياة. وقد أتى ببحـث مفصل عـن اسرة القناعـات، ومنازلها، في الكـويت والعـراق والزبـارة والبحرين والقصب من بلاد نجد .

وقد وقفت طويلا عند الفصل الذي كتبه المؤلف عن «المعيشة في الكويت» وقد ظللت ــ علم الله ــ خاشعاً، امام كلماته المشجية، أغالب الدمع وهو أغلب، وانا

امعن الفكر في تلك الحياة القاسية، التي عاشها الآباء والأجداد. فالواجب علينا ــ ونحن نحيا اليـوم حياة الرخاء والنعيم ــ ان نذكر كفاح اولئك الجنود المعروفين لا المجهولين، الذين حموا الـوطن ومقدساته، وانتزعوا لقمـة العيش من اعماق البحار، وثبتوا كالجبابرة في وجه الطبيعة، ومطامع الانسان حتى بلغ الوطن اليوم ما بلغه من عز وفخار، بفضل العاملين المخلصين.



صقر الشبيب

ليس في الارض من طريق يؤدي	سالكيه أو بعضهم للسَّعَادة
فلها اسم بين الانام شهيد	ومسمًّاه مستحيل الشهادة
ما رأينا إلا شقاء عتيدا	لبني الارض كلهم أو عتادة
وعلى العلم بالشقاء ترانا	نتمنى من البنين الزيادة

لا تظنوا أن هذه الابيات من شعر أبي العلاء المعري، وان حملت الينا روح المعري وفلسفته، بل هي في الحقيقة جزء من قصيدة طويلة نظمها الشاعر الكويتي صقر سالم الشبيب، وان لمستم في هذه الابيات روح المعرى ترفرف بين سطورها، فهو أن شاعر الكويت تربطه بشاعر المعرة الحكيم عدة أواصر. فقد كان المعري محروما من نعمة البصر، وصقر - كذلك - محروم من نعمة البصر، وكان المعري متشائما من الحياة، متذمرا من تكاليفها، وصقر متشائم، - أيضا - من الحياة وتكاليفها. وكان المعري يدعو بشدة لايقاف النسل لما قد يصيب هذا النسل من متاعب وآلام في هذه الحياة. ولكنّ صقرا أخف منه لهجة في محاربته، وذلك لأن صقرا تزوج ولم ينجب. أما المعري فقد أضرب عن الزواج وحارب النسل. ولكن شاعر الكويت يلتقي مع حكيم المعرة وشاعرها في تخويف الناس من النسل. فصقر يرى أن الحياة كلها شقاء لبني الارض وبرغم علمهم بالشقاء واكتوائهم بعذابه فهم يطلبون المزيد من البنين..

وهنا تعترض الشاعر المفكر معضلة كبيرة، وهي آن الوالد يحب أولاده ويتمنى لهم كل خير، فكيف إذن يخرجهم الى الحياة، وهو يعلم علم اليقين بأن هذه الحياة دار شقاء ليس فيها سعادة ولا هناء فالوالد اذن مبغض لأولاده عندما يقذفهم في عالم الشقاء، وهذا تناقض واضح ليس بعده تناقض انه تناقض بين الحب والبغض، ثم يتعمق شاعرنا صقر سالم الشبيب في فلسفته فيقول - ان كان هذا الوالد يحب أولاده حقا وصدقاً، فلماذا - اذن - يخرجهم الى الحياة القاسية وهو نفسه متذمر من هذه الحياة ويود الخروج منها بكل ما لديه من طاقة وعزيمة :

أمحب أولاده الوالد المسكين	أم كان مبغضا أولاده

ان يكـــن والـــد البنين محبـــا   فلماذاقـــدْ فـكَّ بـــاب الـــولاده
وهـــو بـــاب مُـــذ مَـــرّ منـــه   الى الـدنيـا تمنى في وجهـه إيصـاده

ثم يستمـر صقر في تساؤلـه فيقول: - أيود هـذا الوالد المحب لأولاده أن يرى أبناءه الأعزاء يتقلبـون في الشقاء ويشكون من متـاعب الحياة وان كان هـذا الوالد يبغض أولاده قبـل أن يأتـوا الى الحياة فـاسألـوه عن سبـب هذا البغـض وهم لم يسيئوا اليـه ولم يؤذوه ، بـل انه لم يـرهم ولم يـروه . والانسان انما يبغـض الذيـن يبغضونه وينـال منهم الأذى والعذاب ، اما الـذين ما زالوا في عـالم الغيب فكيف ولِمَ يبغضهم ؟.

أفيرضـى المحب أن ينظـر المحبـوب   يشكـــو مـــن الشقـــاء اشتـــداده
أو يكـن حـاقـدا يـريـد انتقـامًـا   فسلـــوه مـــاذا نما احقـــاده ؟
انما يحقـــد الحقـــود على مـــن   قـــد رآهـــم بين الـــورى أضـــداده
وبنـــوه في عـــالم الغيـب لم يـأتـــوا   بـــأمـــر يســـوء منـــه فـــؤاده

إنني إذ أكتب اليوم عـن الشاعر صقر سالم الشبيب ، وهو مـا يزال في عالم الحياة فانما أريد أن أكرم شاعرنا وهو حـي يرزق لأنه ليس في ملتي ولا اعتقادي أن يكون التكريم للأموات من الأدباء والشعراء والفنانين فحسب ، بل يجب أن ينال هؤلاء المواطنون المخلصون نصيبهـم من الاكرام وهم بين ظهرانينا . وأذكـر أن صديقا أديبا قال لي عندمـا علم بأنني سأكتب عـن شاعرنا صقر ، (إن الشاعـر ما يزال في عـالم الأحيـاء) فكأن الأديـب الحي يجب أن نتنـاسـاه وينـالـه من عقـوقنـا الأذى والعذاب ، وكأن الأديـب الحي يجب أن يهمل ويبقى منبوذا حتـى تطوى صفحته من هـذه الحياة ويصبح تحت طيـات التراب وعند ذلك فقـط يستحق منا التقـدير والاعجاب وغاليات الدموع .

إن الاديـب في نظري يجب أن يكـرم في هـذه الحياة اكـراما مـاديـا وأدبيا على مـا أسدى لبـلاده من خدمـات جليلة في ميادين الأدب . لكـي يشعر بالتقـدير الحق فيواصل الجهود وينتج المزيد من أعماله الأدبية . اما اذا أحس بالاهمال والعقوق ولم يجد أي صدى لمجهـوداته الأدبيـة فانه يعتـزل روض الأدب ويبتعد عـن المجتمع فيخسره الادب ويخسره المجتمع ، وكـم يدركنا الأسـف الآن أن نرى هذا الشـاعر

قد اعتزل المجتمع وقبع في ركن من أركان بيته منذ أكثر من عشرين سنة وأخذ يردد :

ولما لم أجد في الناس حرّا	يعين على ملمات الدهور
نبذت الناس ظهريا ورائي	وناديت المنون ألا فزوري
فمثلي ماله في العيش خير	وهل في العيش خير للفقير
أخاف اذا بقيت تذل نفسي	على طمع لذى مال كثير
فتمنحها مدائحها اللواتي	تعز على الفرزدق أو جرير
ولكني - كما سميت - صقر	وهل أبصرت ذلاً في الصقور

لا شك أن الاديب أو الشاعر يحتاج الى الابتعاد عن المجتمعات في كثير من الأوقات لكي يتفرغ للخلق والانتاج ، ويكون بمنأى عن المجاملات والهذر التافه الذي يدور في المجالس الخاصة والعامة . ولكن العزلة التامة لا تساعد على الخلق والانتاج بل هي على العكس : انها تخمد الجذوة المتقدة من المواهب في الأديب أو الشاعر وتمنعه من التطور ومسايرة الزمن . وقد اعتزل شاعرنا المفكر الناس اعتزالا كاملا حيث أخفق أبو العلاء المعري لأن أبا العلاء لم يستطع اعتزال الناس اعتزالا كاملا فقد ألح عليه طلاب علمه وعشاق أدبه في الدخول عليه للاستفادة منه فلم يستطع ازاء هذا الالحاح الا الموافقة على ما طلبوه . فاقتحموا عليه عزلته وأخذوا يستفيدون من دروسه في الأدب واللغة والفلسفة . أما شاعر الكويت صقر سالم الشبيب فيرد على طلاب علمه وعشاق أدبه فيقول :

قالوا اعتزلت الناس قلت لأنهم	جروا عليّ المحزنات صنوفا
لولا مخالطتي البرية لم يكن	قلبي لذؤبان الهموم خروفا

وفي رأيي أن شاعر الكويت لو فتح بابه لطلاب العلم كما فعل فيلسوف المعرة، لما وجد أحدا من هؤلاء يجر عليه صنفا واحدا من المحزنات بل لوجد من هؤلاء الطلاب من يعينه على ملمات الدهور وعلاج الهموم . ولكن إن يكن صقر قد اعتزل الناس وأوصد بابه في وجوه عشاق أدبه وطلاب علمه فقد أدى واجبه خير أداء في أيام شبابه اذ كانت له في خدمة المجتمع أياد بيضاء ، وكان يحمل لواء الاصلاح مع الرعيل الاول وقاد الحركة الفكرية في الكويت الى أن رأى أبناء الوطن

يجنون ثمـراتها الشهية . وقد سجـل الشيخ عبدالعـزيز الرشيـد في تاريخ الكـويت سيرة شاعـرنا صقر بمداد مـن المفاخر والمكرمـات ، ووفاه حقه بما هو أهلـه . وقال عنه الشيخ يوسف بن عيسى :

أيا صقر الحجا وأديب قومي	وشـاعرهم باقرار العمـوم

وشاعـرنا ، صقـر سالم الشبيب ، علائي فقد البصر في سنيه الاولى ، لذلك فهو يحتـاج الى مزيـد مـن الرعـايـة والعنايـة مـن مـواطنيه الأعـزاء . ولم يتـوان اخوانـه المخلصون وعشـاق فلسفته وأدبه عـن القيام بواجبهم تجاهـه ومن هؤلاء : الـربان الكويتي الأديـب عيسى عبدالوهاب القطامـي . فقد كان القطامي لصقر كـالوالد الشفوق يحبه ويتفقد أحـواله ويعينه على متاعب الحياة وقسـوة الايام . وصقر يحفظ الفضل لأهله ولا ينسى جميل أصدقائه ومعـروفهم . وفي هذه الأبيات دليل صادق على حفظ الجميل ورعـاية العهد ، وقد نظمها شاعـرنا عندما سافـر المرحوم عيسى القطامي الى بغداد ليطبع كتابه «دليل المحتار في علم البحار» قال :

يقولون لي في وجهك الحزن قد بـدا	وفيه لنا لاح التضـجر يا صـقر
فقلت لهم عيسى القطامـي عـازم	على سفرٍ فالقلـب مني بـه جمـر
وهل لي سوى عيسى اذا الضر مسني	بلقيـاه عنّي ينجـلي الهـم والـضرّ
وهل بعد عيسى الحرّ لي من مؤانس	وأنـدر شيء في الأنـام هـو الحـرّ
ومن ذا سواه ان شـكوت أعـانـني	وان أهف وافـاني ولي عـنده عذر
فكم من جميل جاءني منه كامـل	يحفّ به من طيـب شيمتـه الشّكر
كأني الذي أسدي الصنيع وهـكذا	من الناس من تزكو خلائـقه الزّهـر
وكـم لقطـت أذناي لألاء لفظـه	فأهدته نحو الصدر فانشرح الصدر
ولؤلؤ لفظ الحرّ أوفـر بهجـة	وأثمن من درّ به يسـمح البحر

قلنا ان صقـر الشبيب متشائم من الحياة ، وهذا التشاؤم هو أحد الدواعي التي أدت بهذا الشاعر المفكـر ، الى الابتعاد عن المجتمع والانزواء في منـزله . ولكن مهما بلغ التشـاؤم بالانسـان فهو مـا يزال من أبنـاء الحياة . وليسـت الحياة شقـاء كلها بالنسبة الى أبنائهـا ، بل ان فيها الى جانب مضايقاتها وأحـزانها اشراقات من الأمل

تجعل الانسان ينسى في لحظات معدودات كثيرا من متاعب هذه الحياة وآلامها، وصقر برغم نظراته القاتمة للحياة يريد أن يفارقها ، وانه لمتعلق بها برغم كل ما يلاقيه فيها من بلاء وعناء . وهذا تناقض صريح نص عليه شاعر الكويت في قصيدة من قصائده وقد نظم هذه القصيدة فى لحظات تصطرع فيها أشباح الموت مع آمال الحياة فقد بلغه منذ اعوام ، ان صديقه الشاعر الأديب ، المرحوم خالد محمد الفرج ، قد فارق الحياة ، فرثاه بقصيدة مؤثرة ثم تبين له ان صديقه الأديب ما يزال حيّا في عالم الأحياء . فنظم قصيدة طويلة ، ينقض فيها رثاءه السابق ، ومنها هذه الأبيات التي يتبارى فيها الموت والحياة على صعيد واحد :

آهوى امتداد حياتي جاهدا وأرى	أدنى تكاليفها يدعو الى الضجر
أذمّها وأنا أخشى قطيعتها	تناقض ليس بالخالى من العبر
ولو أتابع عقلي قلت عن ملل	منها أطلت زمان الوصل فاختصرى
نهوى الحياة ولو كانت مصورة	للناظرين لكانت أبشع الصور

ومن الطبيعي ان تكون لهذا الشاعر المفكر ، آراء جريئة في الحياة والمجتمع ، وقد نشرت له الصحف العربية كثيرا من هذه الآراء الحرة في أسرار الحياة والكون . ومنها قوله :

أحسّ كغيرى طعمها غير عالم	كغيرى أيضا سرّ تجريعى الكاسا
فتأخذ مضطرا واترك مرغما	ويصبح بالاسرار جهلى كما أمسى

ومن الطبيعي ايضا أن يتعرض شاعرنا الى بعض الحملات المغرضة من رجال تضيق نفوسهم بالأفكار الحرة ، ولا غرابة في هذه المعارضة ، فقد كانت العقول منذ أربعين سنة غير العقول في هذه الأيام ، اذ كانت بعض تلك العقول ضيقة الآفاق لا تتسع للنيرّات من الأفكار . وقد أفتى بعض رجال الدين بهجر الشاعر ، وتحذير الناس من الاتصال به . أما صقر فقد تلقّى هذه الفتوى بالبشر والترحاب ، فهو يهوى العزلة والابتعاد عن الناس ، لذلك فقد شكر المعارضين بقصيدة منها هذه الأبيات :

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا	أناس بشرقى الكويت تقيم
فقلت جزاه الله خيرا فهجركم	لنفسي به لو تعلمون نعيم

على راحتي قد حتّكم ومراده شقائي وربّي بالضعيف عليم

ولكن المعارضين تمادوا في عداوتهم ، ولجّوا في عتوّهم ، حتى خشى على نفسه ، فقرر ان يبيع منزله وينتقل الى حى آخر ، يضمن فيه السلامة والأمان ، ولكن لم يكن من السهل على الشاعر ان يفارق منزله الذى شبّ في مدارجه ، وألفه منذ صغره ، ففاضت نفسه بقصيدة حزينة تذكرنا بقصيدة ابن الرومي التي يقول فيها :

ولى وطن آليت ألا أبيعه وألاّ أرى غيرى له الدهر مالكا

أما شاعرنا صقر فيقول :

أظلتني بشرقي الكويت خطوب ألزمتني قعر بيتي
وما بيعيك يا بيتي بسهل ولكن خفت فيك اليوم موتى
أيسهل ان أبيع اليوم بيتا وفيه أنت يا نفسي ربيت
فذوبي من أساك عليه ذوبي وإلاّ يا لكاع فما وفيت
أتلزمني خطوب الدهر بيعا لبيت فيه يا نفسي نشأت
ستثأر لي المعالي منك إن لم تكوني عن جهالتك ارعويت

ان مثل هذه المضايقات جعلت صقرا يبتعد عن المجتمع ويتوارى بين جدران منزله الذى نصحه اصدقاؤه الاوفياء بعدم بيعه . ومما لا شك فيه ، ان الشاعر سبق زمانه بنصف قرن ولو انه نشأ في جيلنا هذا لوجد كل ترحاب من الاوساط المهتمة بالأدب وشؤون الفكر ولما احوجته الأيام لأن يقول :

يقولون لى يا صقر مالك واقعا من الكف عن طير القريض على وكر
اذا لم تحلق في فضا الشعر صائدا طيور معانيه فما انت بالصقر
وما علموا ان المقادير قد رمت جناحى عن قوس الحوادث بالكسر

فالحرية الفكرية التي دعا اليها صقر منذ نصف قرن ، كان لها قليل من الانصار والمؤيدين واما اليوم فقد تفتحت الآفاق الرحيبة امام المواطنين ، واخذت افكارهم تتقبل كل ما يدعو للتطور والتجديد ومسايرة الزمن ، بفضل النهضة العلمية

الشاملة ، التي عمت الكويت .

هـذا وقـد كانت لصقر جولات أدبية تعطرت بها مجالس الأدب في الكويت في ايام شبابـه وكان يغذي الحركة الادبية بفيـض زاخر من أدبه وشعـره . وكان المرحوم الشيخ سالم مبارك الصباح الحاكم الكويتي التاسع المشجع الأول له ، يعطف عليه عطف الاب الشفوق ، ويغـدق عليه فيضا من عطـاياه المادية والمعنويـة ، مما جعل ظلامه ضيـاء وشاعريته تتجلى بكل معـانيها . وان للعلاقة التي جـرت بين الشاعر والأمير ، قصة طـريفة ذكرهـا عبدالعـزيز الرشيـد في تاريخ الكـويت ، فقـد كان الشاعـر ـ كما نعلـم ـ علائيـا فاقد البصر ، يتعـرض في أثناء مـروره في سكك الحي الـذى يسكنه الى الخوض في الميـاه الآسنة التـي يلقيهـا الناس مـن داخل المنـازل ، وكانت الطـرقات قبل نصف قـرن غيرها في هذه الايام ، ممـا جعل شاعرنـا يصاب بالنفور والانزعـاج منها . فلم يجد طريقة للخلاص مما يعانيـه سوى التوجه الى أمير البلاد . بقصيدة يذكر فيها حالة الطرقـات . وعندما قرأ الشيخ سالم هذه القصيدة ، عرف قصـد الشاعر وان لم يذكـر الشاعر فيها متـاعبه الشخصية ، لأنه أتـى بقصة امرأة فقيرة ليس لها معين في هذه الحيـاة ، وعندها اطفال يتامى تـوفى ابوهم ولم يترك لهم سوى دجاجـة واحدة ، تبيع الأم بيضها لتطعـم اطفالها وتكسوهم مـن ثمنها ، وفي ذات يـوم زلـت قدمهـا بسبـب الميـاه المتجمعـة في الطريـق ، فتكسر بيضهـا واخذت تبكى وتولول . وعندما احس بها الشاعـر، تألم لمصابها فاعطاها كل ما كان يحمله من نقود ، رحمة بها وبأطفالها الصغار ويقول في تلك القصيدة :

ومحزونة في الدرب تبكى وتلطـم	وتعول من عظم المصـاب وترزم
فأخرجت من جيبى دراهم خمسة	ولم يك عندى غير هاتيـك درهـم
فناولتـها مـا يسر اللـه قائـلا	خذى واعذرى انى كمثلك معدم
دعت لى اذ ناولتـها ثـم أنشـأت	تسـب الذى القـى الميـاه وتشتم
وقالـت أظن الشيخ لو كان عالما	بما منـه نشقـى في الطريق ونسـأم
لشدّد في نهى الرعايـا عـن الأذى	وهدّدهـم حتى يكفوا ويحجمـوا
وحاشا لذاك الشيخ تلفيه راضيا	بـما قد دت منـه الضعـاف تظلّـم

وأمـر الشيـخ سالم بازالة الاقذار ، واصلاح الطرق ، والنهى عن تلويث الشوارع بالمياه وشكره على قصيـدته وملاحظاته ، وكافأه مكافـأة مالية طيبة ، وأمر

باصلاح منزله وترميمه ، مما جعل الشاعر يرد التحية بأحسن منها . وتوطدت الصداقة بين الشاعر والأمير ، منذ ذلك اليوم وقد لاحظ الشاعر ان الذى أوكل اليه أمر البناء أخذ في التباطؤ والاهمال ، فنظم قصيدة ارسلها الى الشيخ سالم ، ومنها هذان البيتان :

أبا الشهم عبدالله لو أنهم مشوا — اليه بجد لا بتنوه وأتمموا
بخمسة ايام ولكنهم مشوا — اليه كما يمشي إلى السجن مجرم

فسّر الأمير بهذه القصيدة وأمر بالوكيل فعرض عليه قصة الشاعر الشاكى المازح فسارع هذا الوكيل بترميم المنزل واصلاحه ، فنظم الشاعر قصيدة يشكر فيها الأمير قال فيها :

كريم نفى عنى هموما أقلها — يذيب أصم الصخر لو حل بالصخر
فشكرى له شكر المنابت للحيا — اذا ما اكتست منه ثياب من الزهر
ومالي لا أوليه شكرى والثنا — ولولاه أدنتني الهموم الى القبر
وكيف أكفّ اليوم عن شكر سيد — أزالت عطاياه همومي من صدرى

وعندما رحل الشيخ سالم عن هذه الحياة ، حزن عليه الشاعر حزنا عظيما وفقد الشاعر بموت الامير ، والدا شفوقا كان يواسيه في نوائب الدهر ، وينسيه كثيرا من آلام الحياة .

وفي عهد هذا الأمير . حدثت واقعة الجهرة المشهورة في تاريخ الكويت ، وقد انتصر الكويتيون بقيادة الشيخ سالم على الغازين بقيادة فيصل الدويش ، انتصارا عظيما ولكنهم فقدوا ثلاثمائة قتيل كما يروى لنا الشيخ عبدالعزيز الرشيد في تاريخه وكان قد شهد المعركة وجرح فيها .

وفقد شاعرنا اصدقاء كثيرين في هذه المعركة ، وكان يصفيهم الود الخالص والحب الصادق فنظم عدة قصائد في هذه الواقعة وما جرّته على وطنه ومواطنيه من المصائب والويلات ومنها هذه الأبيات :

يؤلم قلبي ذكرك الجهرة التي — بها مات من صحبى الكرام كثير
بها مات من لم يقض حق إخائهم — اذا ما سلا عنهم وعاش ضرير

فكانـــوا لـــه عكـــاز خير يعينـــه   اذا كثـرت ممــــا يخـاف وعـــور

وكان مـن بين القتلى في هذه الواقعة علي بن شملان بن علي آل سيف ، وكان في ريعان شبـابه . فنظم شـاعر الكويـت مرثية طـويلة في هذا الشهيـد . أورد الشيخ عبدالعزيز الرشيـد في تاريخه جانبا صغيرا منها عند كلامه عـن واقعة الجهرة . وقد اطلعت عليها كاملة في ديوان مخطوط عند الكـاتب الكويتي الأديب الاستاذ سيف مرزوق الشمـلان بعنوان (عقـود الجمان) وهذا المخطـوط يحوى جانبـا كبيرا من أشعار صقر الشبيـب التي نظمها في أسرة شملان ، وقد كان صـديقا حميما لها وهو يقول في هذه القصيدة :

وقـولـوا لذاك الشهـم دمعـي أذيلـه   ولـــو انـــه مثـــل اليـــواقيـــت أحمر
فتـــى لأرى اني أقـــوم بحقـــه   ولـو أنني إياه مـا عشـت أشكـر
فتـى كان أفـق المجـد لكـن نجومـه   شمائل تلهـو بـالعقـول وتبهـــر
فتـى كفـه بحـر يمـد رغـائبـا   فيـا ليـت ذاك البحر مـا كـان يجزر
فتى كـان للعـافين في ليـل عسرهـم   اذا مـا دجـا بـدر يضـيء ويسفـر
أبـا يـوسـف تهنيـك دار دخلتهـا   ويهنيـك فيهـا سلسبيـل وكـوثـر
أبـا يـوسـف شـوقـي اليـك يشبّـه   ويسعـره بين الضلـوع التـذكـر
وهيهـات ان انسـاك يـومـا ولم يـزل   يمثـل لى ذاك الجنـاب التفكـر
أبـا يـوسف نفسي فـداك لـو افتـدى   بها الموت انســــان يجل ويكبر
ولكـــن هـــذا الموت شيء مقــدر   ومـا حيلـة الانسـان فيها يقــدر
ومـا ذاك مـوتـا بـل حيـاة نفيسـة   يــود ويهوى مثلهـــا المتبصر

هذا ، وبعد تفصيلنـا الوشائج القوية التي تـربط شاعر الكويـت صقر الشبيب بشاعر المعرّة ابى العلاء المعرى ومدى تأثره بآرائه الفلسفيةفي الحياة والكون نرى ان صقرا في هـذه القصيدة متشبـع بفلسفة المعرى كـل التشبع حتى انه اقتبس ـ الى جـانـب افكـاره الخالـدة ـ جملـة مـن عبـاراتـه والفـاظـه حيث يقـول:

هـو الـدهر في الانسـان لابـد يغـدر   ومهما صفـت منـه الموارد تكـدر
فليس امـرؤ يبقى على الـدهر سـالما   ولـــو ان ذاك المرء كسرى وقيصر
مَـآلُ الـورى للترب والترب اصلهـم   وليـس مَـآلُ الفرع لـلأصـل ينكـر

فخفـف رعاك اللـه وطأك في الثـرى ... فليـس تـرابـا مـا بـه تتخطـر
فـإن لم يكـن هـذا التراب جميعـه ... أنـاسـا فـإن النـاس بـالترب اكثـر
واقبـح شيء ان نهون جـدودنـا ... فنمشي اختيـالا فـوقهـم نتبختر

وهـذه الأبيـات منقولة بتصرف عن أبيات المعرى الخالدة التى يرثى بها فقيها حنفيا حيث يقول:

صـاح هـذى قبـورنـا تملأ الرحـْب ... فـأيـن القبـورمـن عهـد عـاد
خفـفَ الـوطء مـا أظـن أديـم الـ ... أرض إلا مـن هـذه الأجسـاد
وقبيـح بنـا وإن قـدم العهـ ... د هـوان الآبـاء والأجـداد
سر ان اسطعـت في الهواء رويـدا ... لااختيـالا على رفـات العبـاد
ربّ لحد قـد صـار لحداً مـرارا ... ضـاحـك مـن تـزاحـم الأضـداد
ودفين على بقـايـا دفين ... في طـويـل الازمـان والآبـاد

وعلى الرغم من التشـابه العجيب بين أبيات المعرى وأبيات صقـر وتشابه المناسبتين اللتين تـم فيهما نظم القصيـدتين فـإن أبيات صقـر بمجموعهـا لاتخلـو من معـان جديـدة فى هذا الموضـوع وليس عجيبـا ان يقتبس صقـر من المعـرى بعض كلماتـه والفاظه ويقلـده فى آرائه واحكامه و يعتنق ـ مـاشاء له الاعتناق ـ فلسفته في الحياة والموت لأنه قبل كل شيء احد الشعراء العلائيين المخلصين لأستاذهم الخالد .

ذكرنا منـذ قليل ابيات شاعر الكـويت صقر بن سالم الشبيـب في واقعة الجهرة ، وذكـر الجهرة يؤلم قلب الشاعر اذ فقد فيها كثيرا من اصحابه الأصفياء . ولكن في الكويت مرابع يطمئن بذكرها قلب شـاعرنا المتعب . وهي مرابع كان يخرج اليها في أيام شبـابه للتريـض والاستجمام وكان يطـرب في هذه الـربوع لبعـدها عـن ضجة المدينة وصخـب الناس وتجد فيهـا نفسه المرهفـة الراحـة والاطمئنان بعـد النصب والارهاق، أما في ذلك الوقت عندما حياها الشـاعر فقد كانت قرى متواضعة ليس فيها سـوى بعض المنازل البسيطـة التي يقطنها سكـان تلك القرى وبعـض الخيام المتناثرة التـي يحل فيها قصاد النزهة وطـلاب الراحة والاستجمام . وقد كان شـاعرنا صقر أحد هؤلاء وأما أبياته فهي:

سقى الـدسمة الغـراء منهمر القطـر ... ومـد بها أطنـابـه مـذهـب الـزهـر

وجادت أخـاها الشّعـب كل غمامـة | الى ان يكون الشعب أندى من البحر
ولازال يسقـى البـدع منهمـر الحيـا | وصافح راس الارض بالأنمل العشر
مـواضـع فيهـا للسرور مـواضـع | فلـم ألـف فيهـا سـاعـة غير مستر

وفي الكويـت موضـع لايذكـره صقر في معـرض الرثـاء كالجهـرة ولا في معرض السرور والانشراح كالـدسمة والشعـب والبدع والـراس ولكنه يـذكره في معـرض الحسرة. وهذا الموضـع هو ساحـة الصفاة وقد كـانت الصفاة منـذ اربعين سنة غير الصفاة في هـذه الأيام بعد ان جعل منهـا التقدم الكامـل الشامل عروسـا تتلألأ في حللها وأنوارها بل كـانت الصفاة منذ سنوات ساحة متواضعـة تعج بالقادمين من القبائل الـرحّل، يبيعـون فيها لـلأهلين ماعندهـم من البضـائع والسلع وكـان فيها زحام وقتـام. ولكن مهما كـانت حـالة الصفـاة في ذلك الـوقت فقـد كان يجد فيهـا المواطنون أشياء كثيرة من التسليـة والفرح في مشاهدة المسافريـن والقادمين. ولكن صقرا لم يكن يجد فيها غير الأذى والمضايقات فهـو كفيف البصر لايرى ما حواليه. والصفاة لاترحـم المبصرين فكيف بالمكفـوفين. فكان وهو يجول في الصفاة عـرضة لمتاعب يسببها له الزحام الشديد فلنستمع اليه وهو يقول:

مـــافي الصفـــاة لـــذى عمـــى | مثلى أمـــــــور تحمـــــــد
كـــم مـــرة قـــد ضمنـــي | فيهــــا زحـــــام أنكـــــد
كـــادت بـــه عـــن جثتـــي | نفسي العـــزيـــزة تفقـــد

وكـانت تجري في الصفـاة عرضـات كثيرة كما كـانت تجرى أيضـا في غيرها مـن سـاحات الكـويت وميـادينها. والعـرضة هـي رقصة مـن رقصات الحرب وصفهـا الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت فقال:

« اعتـاد الكويتيـون لا سيما في أيـام مبارك تعطيـل اشغـالهم أسبـوع العيد كلـه واشتغالهم بـالألعاب الحربية كـل نهار، فيكوّن أهل كل حـي حلقة من رجـالهم قد انتظموا كخرز المسباح وهـو يرقصون ويلعبون وينشدون الأناشيـد الحماسية الحربية ويضربـون بالـدفـوف وبالطبـل ويمـلأون الفضاء مـن رمـي البنادق، ويخطفـون الابصار بوميض السيوف وقد كان مبـارك يعطى هذا الأمر اهتمامه الزائد . وتسمى

تلك الألعاب حدوات وعرضات جمع حدوة وعرضة » .

هذا ما قاله الشيخ عبدالعزيز الرشيد في العرضات التي كان يجد المواطنون فيها كل تسلية ولذة.ولكن هل كان يجد فيها شاعر الكويت صقر هذه اللذة والتسلية؟ إنه يجيبنا فيقول:

وما للعمي في العرضات أنس	فأمدحها بنظم أو نثير
وهل أثني على العرضات خيرا	ولذتها خصوصا للبصير

وهكذا فقد أعطى صقر جواب هذا السؤال ولا ينبئك مثل خبير.

ثلاث رسائل من المرحوم صقر الشبيب

-١-

حضرة من اسمه وصفه الأخ العزيز الأستاذ فاضل خلف

بعد أن أتمنى لحضرتك دوام الصحة وكمال المسرة أقول : قد سمعت حديثك عن أخيك صقر .. الأول والثاني. ثم غيرتم الوقت ففاتني سماع الأحاديث الأخرى. وانني أشكر لك شكراً جزيلاً ما سمعت منها وما لم أسمع قياساً على ماسمعت . أما الكتاب الذي ستؤلفه فأنا مستعد للتشرف بارسال كل ماتريده له عن طريق الأخ سليمان أحمد الرومي . وقد طلبك تليفونياً ليشكرك عني فلم يسعده الحظ بلقائك . وستجد مع هذا المكتوب قطعاً من قصائدى أرجو أن تدرج منها شيئاً في الكتاب . أما القصيدة الواوية التي في اقتراح بعضهم علي نظم الشعر فأرجو رجاءً حاراً أن تدرجها بجملتها كما أرجو أن تعيد الى الأخ سليمان هذه المسودات بعد أن تنسخ منها ما تحتاج اليه وكذلك أرجو أن تبين لكم بيت يتسع كتابكم الكريم لأنتخب له من شعري المنشور الذى يترجح انك لم تطلع عليه ومن غير المنشور. ولك مني مزيد الشكر والسلام.

١٩٦٢/٢/٢١

-٢-

أخي العزيز بعد أن أسأل اللّه دوام الصحة وكمال المسرة لشخصك المحبوب أقول: قلت لك في الكتاب السابق أرجو أن تدرج الواوية بجملتها ظنا منى أن الكتاب على وشك أن يصدر وذلك لأستريح من كثرة ما يوجه إلي من الاقتراحات. فهذا يقترح أن أنظم في الموضوع الفلاني وذاك يقترح أن أنظم فيما يعنّ له من المواضيع أما والكتاب يحتاج الى أشهر فرجائي أن تكتب كلمة تحت عنوان (صقر والاقتراحات) وتنشرها في أي صحيفة تراها موافقة للنشر مستشهداً بأبيات من الواوية، وخصوصاً الثلاثة الأول منها. وبهذه الأبيات الميميَّة التي قلتها في هذا الصدد إن وجدت متسعاً من الوقت. أما كتابكم الكريم فرجائي أن تتروى وتتمهل فى كتابته ليكون وافياً شاملاً ولك علي أن أقدم لك كل قصيدة برمتها لتنسخها وتبقيها عندك كمرجع. هذا وأرجو أن تبلغ الأخ محمد بن الشيخ صالح آل ابراهيم سلامي وشكري له على هديته المائة دينار التى دلت على طيبة نفسه وكرم طبعه. وها أنت تجد (المعقول والمنقول) والأبيات الميمية وتجد صحبة هذا المكتوب نسخاً من السجل الأغر تحتوي على ثلاث قصائد، انسخها على مهل لأن الأخ سليمان سيغيب عن الكويت مدة العطلة واذا رجع وفرغت أنت من النسخ فسنقدم لك غيرها إن شاء االله. وان لم تجد كلفة فى كتابة الكلمة التى اقترحت تعجيلها على حضرتك فالرجاء أن تحتفظ لنا منها بنسخة لأني لا أطلع على كل ما يكتب وأخشى أن يفوتنى. والسلام عليك وعلى كل عزيز لديك.

١٩٦٢/٣/٣

-٣-

وبعد أن أسأل االله دوام الصحة وكمال المسرة لشخصك المحبوب أقول تسلمت كتابك الكريم المؤرخ ١١/ ٦/ ٦٢ فسرني كثيراً، وشكرت لك ما بذلته من جهد وعناية فى دراسة شعر أخيك صقر وتمنيت لك التوفيق.

أخي العزيز: ما كنت أحتفظ بالصحف التى تحتوي على أشياء من قصائدي ولابمسودات ما أبيضه من قصائدي وليس عندي غير المبيضات التى سأرسل لك منها أشياء إن كنت على استعداد لنسخها وارجاعها فى أقصر مدة ممكنة لأطمئن. وبهذه المناسبة أود أن أذكرك بأنني بعثت اليك مع أعداد السجل التى أرجعتها قصيدتين: ميمية منها هذا البيت:

وقـــد علمـــت ان المبرة شيمـــة بمـولـدها صقـر على اليسر والعـدم

والأخرى مطلعها

قـالـوا انصرفـت إلى المعقـول متركـاً مـا لم يكـن وقفـة مـن كـل منقـول

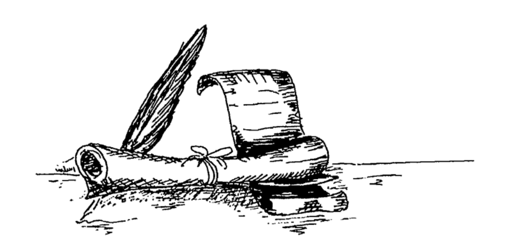
ولم ترجعها. وأنا في انتظار القائمة التى ذكرتها للأخ سليمان وقبولك شرط سرعة الترجيع .

عزيـزي : إن ما نشر لى فى تـاريخ الكـويت وقبلـه أكثره ضعيـف لأنني نظمتـه صغيراً فأرجو ألا تكثر مـن ايراده . أما ما نشر بعد التاريخ فى مجلـة الكويت الغراء التى لايكاد يخلو عـدد منها من شيء من أشعار أخيك ، أو نشر فى غيرهـا فكله مما لابأس به في اكثارك من ايراده ، والسلام .

١٩٦٢/٧/٢

أخوك

صقر الشبيب



حجي جاسم الحجي

لست أدري مـا هي الانفعالات التـى سيثيرها هذا الحديـث ، فى نفس شاعـرنا الذى نتحـدث عنه اليوم ، ضمـن دراساتنا الأدبيـة التى تحدثنـا فيها عن شعـرائنا المصلحين الذيـن دعوا الى العلم وحثوا المواطنين على الاغتراف مـن ينابيعه العـذبة وحديثنـا هذا يختلـف كل الاختلاف عـن أحاديثنـا السابقة فقـد كنا نتحـدث عن أولئك المصلحين وهم فى عالم غير عـالمنا . وكنا نسامر أرواحهم وهـم هناك فى ديار الخلود ، وتسـامرنا أرواحهم ونحـن هنا فى عالم الوجـود ، نترسم طريق المجـد الذى اختطوه لنا ، ونسير على المنهاج القويم الذى رسموه ، أمـا اليوم فحديثنا عن شاعر مصلح صدح بأغـاريده الجميلة منذ أربعين سنة ثم سكت عن التغـريد فلا يسمع له صـوت برغم وجـود الصحف الأدبية وتعاقبهـا فى الكويت ، ولايجري لـه ذكر فى هـذه الصحف ، بـرغـم ما أنتـج لـه مـن أدب فى سبيل اصـلاح الـوطن والسمـو بالمواطنين الى المنزلة السامية التى كان يطمح اليها الشاعر ، وتمنى تحقيقها فى وطنه .

ترى هل يسمع الآن الشاعرحِجّي جاسـم الحجي وأنا أذيع عنه هذا الحديث؟ واذا كان الشـاعر مـن جملة مـن يستمع اليّ فما هـى الانفعالات التـى سيثيرها هـذا الحديث فى نفسه ؟ ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إنه سيحن الى الأدب لأن معين الحنين الى رياض الأدب فى نفس شـاعرنا لاتستطيع الأيام أن تنال منـه منالا . لأنه شاعـر أصيل تشهد لـه آثاره الأدبية التـى وزعها بين أهلـه ومواطنيه . ومـن مميزات الشاعر الأصيل أن يكون شديد الحساسيـة والحنين ، تهفو نفسه الشاعرة الى ما ألفه من حياة فى أيام شبابه . وما أصدق أبا الطيب حين يقول :

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا   لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وكيف اذا كانـت أيام شبابه لها بـالأدب أطيب صلة ، ولها بالشعـر أوثق نسب ، ولها فى الاصـلاح أوفى نصيـب . ان الشـاعـر يحن حتما الى دنيـا الأدب وريـاض القريض. ولكـن الذي نرجوه ونتمنـاه هو أن يتوج الشاعـر هذا الحنين الصادق الى الأدب بوصال قريب، فنسمع صوته مـن جديد يتهادى في سماء الكويت المستقلة الناهضة بعد أن كان هذا الصوت يسري فى آفـاق الكويت منذ سنوات بعيدة داعيا الوطـن وأهله الى التقدم والنهـوض ومما لاشك فيه ان الشـاعر سيجد مـادة خصبة

للانتاج .

فالانتصارات الشاملة التى حققها الوطن فى شتى الميادين تدعو للتأمل والاعجاب ، وتحثه على الخلق والانتاج ، وخاصة فى مجال التعليم وهو ما شغل الشاعر وأرّقه فى أيام شبابه .

واذا كنت أسجل هذا الكلام فلأنني متفائل بما أقول فلقد سبق ان تحدثت عن شاعر الكويت « صقر الشبيب » . وكان قد اعتزل الأدب منذ أمد بعيد ، فما كان منه إلا أن عاود جهاده الأدبي فنظم ــ وهو فى سن السبعين ــ أروع قصيدة فى الجزائر المناضلة تحدثت عنها الأوساط الأدبية بشوق ، واستقبلها عشاق الشاعر بلهفة . وقد تلقيت من شاعر الكويت كتاب شكر أعتز به وأحتفظ به فى أعز مكان . فهل يثمر تفاؤلي مع الشاعر حجي جاسم الحجي ، كما أثمر مع شاعر الكويت « صقر الشبيب » ؟ أرجو ذلك من كل قلبي وأتمناه .

والآن ، ماذا عن آراء الشاعر حجي جاسم الحجي فى الاصلاح ، ودعوته الى العلم والمعرفة ؟ لقد كان شاعرنا يحمل راية الاصلاح منذ فجر شبابه ويدعو الى العلم منذ أن عرف قيمة العلم . وعندما أنشيء النادي الأدبي ، منذ أربعين سنة أي في عام ١٣٤٢ هجرية ، أقيم بمناسبة افتتاحه حفل أدبي رائع ألقيت فيه الخطب الجيدة والقصائد الغراء وكان من جملة القصائد قصيدة الشاعر حجي جاسم الحجي ، دعا فيها الى العلم ، واللحاق بالأمم الناهضة وترسّم خطوات الأجداد الذين نشروا العلم فى أرجاء الدنيا ثم يحيي النادى والشباب الذين فكروا فى إنشائه لأن هذا النادى هو باب لكثير من أنواع العلوم والآداب .

قال شاعرنا فى قصيدته تلك :

أفق يا علم من نوم عميق ... فإن القوم أضحوا ناهضينا

ويا شمس المعارف أسعفيهم ... فنحوك هُمْ غدوا متطلعينا

أمديهم اذا سألوك علما ... وأخلاقا بها يحيا البنونا

وداويهم اذا سألوك برءا ... أزيحي عنهم الداء الدفينا

وان سألوك عن مجد تقضى ... وعن حال الجدود الغابرينا

فقولى إنهم كانوا رجالا ... الى العلياء ظلوا مسرعينا

يجدون المسير الى المعالي ... فكانوا بالمفاخر فائزينا

وأنتـــم مثلهـــم جسما وخلقـــا	فهــل بــالفعل أنتـم مقتــدونــا
فـإن شئتـم اعــادة مــا تقضـى	وشئتــــم عيشـــة المتنعّمينـــا
فــربّــوا فى نفــوسكـم التــآخـي	وكـونــوا فى الـوغـى متعـاضــدينـا
فتحتـم يــا شبـاب القــوم بــابـا	لأنـــواع العلــوم غـــدا معينـــا
وقـــد كنـــا بـــلا ريـــب اليـــه	جيـــاعـــا فى الـــورى متعطشينـــا
فجـــدوا بـــالمسير لنيـــل علـــم	فبئـس العيـش عيـش الجاهلينـا

وعنـــدمـــا يرى الشاعر بوادر النهضة العلمية بانشاء المدرسة المباركية والمدرسة الأحمديـة وتأسيـس النادى الأدبي ، والمكتبـة الاهليـة ، والجمعية الخيريـة ، يستبشر خيراً ، وينظم قصيـدة اصلاحية رائعـة يحيى فيها هذه النهضـة ويسجل كذلـك ما استبـدّ به مـن قلـق، وألمّ به مـن ألم بخصـوص حرصـه وتلهفـه على حاضر البـلاد ومستقبلها فيقول :

أقسمـــــت يــــا شعـــب أني	لاأخلــف الـــدهــر عهـــدك
وعــــدتنــــي بنهـــوض	فحقـــــق اللــــه وعـــدك
يـــا شعـــب قلبـــي كليـــم	قـــــد كلمتـــــه الليـــــالي
يـــا شعـــب ان شفـــائي	أمنيــــــة مـــــن محال
أبيـــــت رهـــــن قيـــود	على أكفـــــي ثقـــــال
مظلـــــــــلاً بغمام	أقْبِـــح بـــه مـــن ظـــلال
علمـــــت ممـــا أراه	ان المنـــايـــا حيـــالي
نـــاديــت يـــا قـــوم هـــل مـــن	يجيــــب منكـــم ســـؤالي
مـــن يخطـــب البكـــر يـــومـــا	يبـــــذل لها كـــــل غـــــال

وقد قلنـا مرارا إن لكل دعوة اصلاح مناوئين ومعارضين ، وقد كان للعلم من بين صفوف الجاهلين ، كثير مـن هؤلاء الذين يـرون فى العلم سلاحاً قـاطعا يقضي على كل ما ألفوه من جهل وأنسوا اليه من جمود .

لـــذلـــك فليس عجيبا أن يكون لدعوة الشاعر العلمية الإصلاحية منتقد ومعارض، ولكنـه يستمر فى دعـوته ، ولا يبـالي بما يصدر عـن هؤلاء مـن علامـات التأخر والجمود ويقول فى ذلك :

رنــــــت اليّ عيــــــون	رنــــــت لشخصي شـــــزرا
اذ قلــت يـــا قـــوم قـــومـــوا	الى التقـــــدم جهــــــرا
فعـــــدّ قـــــولي ريـــــاء	وعـــــدّ أمـــــري نكـــــرا
مـــــازال كـــــل جهـــــول	للعلـــــم يضمـــــر شرّا
تـــــرقـــــب اليسر اذ مـــــا	لاقيـــــت يـــــا صـــــاح عسرا
لاتكترث بكــــــــــلام	لـــــن يغلـــــب الشرّ خيرا
ان تـــــرض عنـــــي المعـــــالي	فـــــلا أخـــــاف الهزبـــــرا

وهـــذه بعض آراء الشاعر الحر حجي جاسم الحجي في العلم والاصلاح. وقد أدى واجبـه في شبابـه خير أداء عندمـا كان الـوطـن في أمسّ الحاجـة الى نصائحـه وتوجيهاته. والوطن اليوم كذلك في حـاجة الى الشاعر والى كل مواطن يحمل القلم، فليس للعلم نهاية ولا لآفاق الأديب حدود.

ردّ الأستاذ حجي جاسم الحجي

عزيزي الأستاذ فاضل خلف

أحييك أطيب تحية وأصافحـك مصافحة حـارة على صفحات ـ صـوت الخليج ـ الغراء وأقـول: نعم لقـد أثرت حنيني الى الايـام الخالية وصـورت أمامـي خيالات الماضي بحلوها ومرهـا فلله تلك الذكريات انها تمثل ايام الشبـاب وبساطة العيش وخلو البال من مشاغل الحياة المعقدة التي نحياها اليوم.

لقد انقطعـت الصلة بينـي وبين الشعر منـذ زمن ليـس باليسير ولم أعـد أقدر على الرجـوع الى رياضه الحلـوة الناضرة. أما نقطة التحـول في حياتي عن الشعـر والحياة الأدبية، ولو لم تسألني ذلك، فأودّ ان أقول انني منذ حوالي اربعين عاما قرأت مقالا لأحـد مشاهير الكتـاب وقد نسيـت اسمه الآن والمقـال يقارن بين الـرجل الشرقـي والرجل الغـربي فيقول ما معناه: « يقـف الرجل الشرقي على ضفـة نهر فيلقي نظرة فاحصة الى مـا يكتنفه فيمعن بالتـأمل بالأشجار والنخيـل الباسقة والورود اليـانعة وينصـت الى تغريـد الطيور وخـرير الميـاه فيغيب في عـالم الخيال بـرهة يخرج منهـا بقصيدة يصف فيها هـذه الجنة أجمل وصف. بينما يقف الرجل الغـربي نفس الوقفة

وبنفس المكان فلا يلتفت الى النخيل والاشجـار والورود والأزهار واول ما يتبادر الى ذهنـه التفكير بـإنشـاء جسر بين ضفتـي النهـر لتسهيـل المواصـلات بين الجانبين ومحاولة السيطـرة والتحكم بجريـان النهر لاستخدامه بتـوليد الكهربـاء والاستفادة منه للزراعـة. والنتيجة التى خرج بها الكاتب أن معظـم الشرقيين يميلون الى الخيال . بينما يتمسك الغربيون بالحياة العملية ».

وقفــت متأملا هذا المقال ووجدت انه واقعي والحياة تتطلب الكدّ والكدح وأن سـوق الأدب كاسـدة في شرقنـا العـربي وحياة الشـاعـر بيننـا حياة بـؤس وانعـزال واضطراب. وصممـت في غمرة هـذا التفكير ان أهجر الحيـاة الأدبية وأن أغير اتجاه حياتي وهـذا رأيي ولا أحمل النـاس عليه فليعـذرني من يعـذر ولينتقدني مـن ينتقد فهذا ما وقع ولكل منا كامل الحرية.

استجاب لندائكم أستاذنا الكبير شاعر الكويت الأول ـ صقر الشبيب ـ وهو في سن السبعين ونظم قصيـدته العصماء في الجزائر وليس هذا بمستغرب على شـاعرنا الكبير لأنه بحر متدفق وان حياته كلهـا شعر بشعر اذ لو حاول التخلص منه لم يجد الى ذلـك سبيـلا ولا يجوز أن أنسب اليـه على أي حـال مـن الأحوال لأن انتـاجـي الشعري كـان ضئيلا وهزيلا ليـس له قيمة أدبية الا الـروح الدافعة في وقت كـانت الحاجة تدعو اليه.

لقد تحقق في بلدنا الطيب أضعاف أضعاف ما كنا نأمله ونتوقعه فحمدا لله على هذه الساعة التي نشاهد فيها تحقيـق الأماني على أوسع نطاق وانها لفرحة العمر أن نرى هـذه النهضة التي تضرب بها الأمثـال. ولئن غبت عـن المسرح فهذا لا يضير مجتمعنا الأدبي الحاضر فـدعني أنظـر إلى حلبة السبـاق وهي تعـج بخيول أصيلـة جديـدة وأمتع نفسي بهذا المنظـر والبركة في هـذا الجيل الصـاعد الـذى نأمـل منه الاتيان بالخوارق والمعجزات.

وختاما أشكر لك عنايتك بحياتنا الأدبية وأرجو لك دوام الصحة والتوفيق.



المجتمع العربي بالكويت

المجتمع العربى بالكويت كتاب للأستاذ عبدالعزيز حسين. ولست في حديثي هذا بمتعرض للكلام عن المؤلف، الذى لم يأل جهدا في خدمة هذا البلد الفتى، والاسهام بنهضته الحديثة في شتى حقولها، صحفيا لامعا، ومفكرا عميقا، ومربيا منشئا ودبلوماسيا من أوائل الدبلوماسيين الذين حملوا قضية الكويت الناصعة الحقة في المغارب والمشارق.

ان حديثي هذا مقتصر على مؤلفه القيم « المجتمع العربي بالكويت » وهو كتاب ضمّ مجموعة من المحاضرات، ألقاها الأستاذ عبدالعزيز حسين، على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بمعهد الدراسات العربية العالية، التابع لجامعة الدول العربية. وقد قسم المؤلف كتابه الى تسعة فصول، خصص الفصل الأول منه لتاريخ الخليج العربي وجغرافيته ، وفى الفصل الثانى والثالث استعرض تاريخ الكويت وجغرافيتها . أما الفصل الرابع، فقد جعله للبيئة البحرية. وقد كانت الكويت تعتمد كل الاعتماد على البحر حتى تنزلت البركات من الأرض والسماء باكتشاف النفط. ولصيد اللؤلؤ في الخليج العربي، جذور قديمة ترجع الى ما قبل الاسلام وينقل لنا المؤلف أبياتا قالها في الغوص المسيب بن علس التي تنسب كذلك الى الأعشى وهى:

كجمانة البحري جاء بها ... غواصها من لجة البحر
صلب الفؤاد رئيس أربعة ... متخالفى الألوان والنجر
فتنازعوا حتى اذا اجتمعوا ... ألقوا اليه مقالد الأمر
وعلت بهم سجحاء خادمة ... تهوى بهم في لجة البحر
حتى اذا ما ساء ظنهم ... ومضى بهم شهر الى شهر
ألقى مراسيه بتهلكة ... ثبتت مراسيها فما تجري

وفي هذا الفصل يتحدث المؤلف كذلك، عن نابغة البحر، الملاح العربي، أحمد بن ماجد، الذي ولد في ساحل عمان منذ أكثر من خمسة قرون. وما يزال المستشرقون وغيرهم من علماء البحر، يدرسون كتبه ودراساته، ومن عجب أن مؤلف الكتاب

عندما يذكر في هـذا الفصل، أحمد بن ماجد، لا يذكر نابغـة البحر الكويتي عيسى القطامي، الذي عـاش في عصرنا. لقد كان من المنتظر، أن يحدثنـا المؤلف شيئا عن مـلاحنا الأديـب، وعـن كتابـه (دليـل المحتار في علـم البحـار) ، ولكن إن فـات المؤلف التحدث عنه في فصـل البيئة البحرية، فقد أشار اليـه في الفصل الأخير من الكتاب عنـد كلامه عـن البعثات العلمية، فقد كـان هذا الربـان الكويتي النـابغ، يتحرق شـوقا للدراسة خـارج الكويت وذلك منـذ خمسين عاما، وله في ذلـك زجل مطلعه:

لو علمـوني هلي في مصر أو بـــيروت
لابدع عجايب لهم تذكر بعد ما موت

أما الفصل الخامس من كتاب المجتمع العربى بالكويت فقد تحدث فيه المؤلف عن البيئة البدوية وارتباط الكويت بالصحـراء وعن القبائل العربية بالكويت وأثر التقاليد البدوية في المجتمع ويقول المؤلف في هذا الموضوع:

« لقد كـانت علاقـة الكويت بـالبادية وتأثـرها بالصحـراء وعاداتها وتقاليـدها ملحوظة في شتى نواحى حياتها حتى في الغنـاء والرقص ومراسيم الأفراح. والزجال الكويتـي كان ـ الى مـا قبل سنوات قليلة ــ حين يقول شعرا زجليـا يصطنع كلمات بدوية لا تستخدمها اللهجة المحلية ليدلّل على طول باعه في الشعر، وعلى أنه يمت الى الصحراء بصلة أى صلـة. وكانت العرضة او الحدوة هـي رقصة الحرب يقيمونها عند الاستعداد للغزوات كما يقيمونها في الأفراح والأعياد والمناسبات الوطنية ».

وبعد أن يحدثنـا الاستاذ عبـدالعزيـز حسين باسهـاب في الفصل السـادس عن قصة النفط بـالكويت، وعن أول عمليات استخـراجه وانتاج الكويـت منه، ينتقل بنا الى الفصل السابع لينقل الينا حقيقة المجتمع قبل النفط وبعده، ومما لا ريب فيه أن للبحر والصحـراء أثرا كبيرا في تشكيل طبيعـة الحياة بالكـويت لذلـك فقد أولى المؤلـف هذه النـاحية اهتمامـا زائدا وتكلم في هـذا الفصـل بالتفصيـل عن الحيـاة الاقتصـادية قبـل النفـط، ثم يبين لنـا أثـر ظهـور النفط في تطـويـر هذا المجتمـع وخلاصة بحثه في هذا الفصل يتمثل في قوله:

« إن هناك مجتمعـا جديدا في دور التكويـن بالكويت يمـر الآن في فترة انصهار يتفاعل فيها القديم والجديد، وتصب فيها ثقـافات جديدة وقد زعزع التطور الجديد

الأسس القديمة التي قام عليها المجتمع ولكنه لم يستطع بعد أن يتم وضع أسس جديدة للمجتمع الجديد، أو يقيم تقاليد تحل محل التقاليد التي أخذت في الزوال، تنتظم الكويتيين جميعا كما كان الحال من قبل، والتفاعل لا زال مستمرا، وعملية التكوين لا زالت دائبة ».

أما في الفصل الثامن من الكتاب فيتكلم المؤلف عن تطور نظام الحكم والادارة في الكويت، وينقل الينا جانبا من خطاب أمير دولة الكويت الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح، بمناسبة عيد جلوسه العاشر وكله أمل وتفاؤل بمستقبل الكويت الزاهر واستقلالها التام.

ويقول الأستاذ عبدالعزيز حسين في هذا الفصل:

«وهكذا يقوم كيان الدولة بالكويت اليوم باعتبارها دولة ذات استقلال داخلي تام».

ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب طبع قبل أن تشرق على الكويت شمس يوم ١٩ حزيران من عام ١٩٦١ حيث نالت الكويت الاستقلال.

أما الفصل التاسع والأخير من كتاب « المجتمع العربي بالكويت » فقد فصّل فيه المؤلف قصة التعليم في الكويت، وقد ساير التعليم في الكويت منذ فجر أيامه حتى يومنا هذا، حيث تزدهر الكويت بمدارسها وعلومها وبعثاتها العلمية وأبنائها الذين أخذوا يرسون قواعد النهضة والذين سيكونون لهم الفضل الأكبر في النهوض بالمجتمع العربي بالكويت.



كاظمة في الأدب والتاريخ

عندما زار الكويت فقيد الأدب، الدكتور عبدالوهاب عزام، في سنة ١٩٥٣، كان أول سؤاله عن كاظمة، تلك المدينة العربية، التي أهدت الى الأدب العربي صفحات لألاءة يعرفها كل من يتصفح كتب الأدب وعندما أجيب الى سؤاله وصار يجول في بقايا كاظمة، وتمثل له تاريخها القديم الزاهر بكل صوره ومغانيه، قال هذين البيتين :

بكاظمة طوفت في ميعة الضحى	وقلبي الى الماضين جمّ التشوق
أكاد أرى في رملها قبر غالب	وأسمع في الآفاق شعر الفرزدق

وأصبح الدكتور عبدالوهاب عزام ببيتيه هذين آخر شاعر عربي يذكر كاظمة في شعره. ولكن أتى بعد الدكتور عبدالوهاب عزام بخمس سنوات شاعر نظم قصيدة طويلة فى كاظمة ، بلغت ثمانين صفحة كاملة ، أما هذا الشاعر فهو الأديب الكويتي الأستاذ يعقوب يوسف غنيم ، وأما القصيدة الطويلة فهي كتابه القيم الذي سماه «كاظمة في الأدب والتاريخ» ، وانني عندما أقول قصيدة فلا اقصد انها « ملحمة شعرية» نظمها أديبنا الكويتي في كاظمة ولكنني أقصد أنه ألف كتابا لم يسبقه اليه سابق منذ أن عرفت كاظمة في الأدب والتاريخ حتى يومنا هذا . وكانت كاظمة تنتظر منذ أمد بعيد هذا الأديب المحقق الذى سيغوص فى أغوار الأدب والتاريخ ، ليجمع كل ما جادت به قرائح الشعراء والكتّاب فيها . وبقي هذا البحث مستعصيا على أهل العلم حتى جاء فتى كاظمة فألف كتابه القيم ، ونال به قصب السبق . وسيبقى هذا الكتاب المصدر الأول عن كاظمة حتى ينافسه كتاب أوفى وأشمل .

وأعتقد ان المنافس لن يظهر فى الميدان ، فى هذا الجيل على الأقل لسبب واحد هو انصراف كثير من الكتّاب الى معالجة البحوث السهلة التى لاتحتاج الى بحث وتحقيق . ولاتحتاج الى سهر فى غفوات الليل .

ولست بحاجة الى القول ان المجهود الجبار الذى بذله المؤلف يظهر جلياً واضحا فى كل صفحة من صفحات الكتاب. وانني إذ أذكر هذا ، لاأنسى

المجهود المشكور الذى قام به الأستاذ أحمد البشر ، فى هذا الموضوع فهو الأديب الكويتي الأول ، الذى كان له فضل السبق فى الكتابة عن كاظمة وتوابعها ، فى مجلات الكويت الأدبية . وإن انس لاأنسى مقاله المشهور الذى نشره فى مجلة البعثة ، بعنوان (الفرزدق كويتي)، كما أن مؤلف هذا الكتاب يذكر ما للأستاذ أحمد البشر من فضل عليه فى هذا البحث . وقد استفاد منه كثيرا من مقالاته الخاصة بهذا الموضوع .

وليس لكاظمة اليوم من شهرتها القديمة سوى الاسم، وقد يخرج اليها بعض أهل الكويت فى الربيع للتريض كما يخرجون الى سائر البقاع فى أراضي الكويت . أما فى أيامها الأولى فكانت كاظمة متنزها تكثر فيه المياه العذبة وكانت مرعى خصيبا كما أنها كانت ملتقى الطرق بين الشام والحجاز، وكان فيها أنواع مختلفة من الحيوانات مما جعل أهل كاظمة ينشطون للصيد والقنص وكانت الى جانب كل هذا مجمع الشعراء والأدباء والعشاق وأهل الطرب ، وهذه الأسباب هى دواعي شهرة كاظمة كما سجلها لنا مؤلف الكتاب . أما سكان كاظمة الاوائل فهم قبيلة اياد وبكر بن وائل وبعض من أحياء العرب . وقد وقعت فى كاظمة حروب كثيرة ذكرتها كتب التاريخ منها وقعة الصليب وهو اسم جبل عند كاظمة ، كانت به وقعة بين بكر بن وائل ، وبني عمرو بن تميم ، وذلك قبل الاسلام، كما جرت فوق ثرى كاظمة وقعة ذات السلاسل بين العرب بقيادة خالد بن الوليد وبين الفرس بقيادة هرمز وقد انتصر العرب على الفرس فى هذه الوقعة انتصارا عظيما وفى ذلك يقول القعقاع بن عمر و:

سقى الله قتلى بالعراق مقيمة ... وأخرى بأثباج النجاف الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزا ... وبالثنى قرنى قارن بالجوارف

وأما فى العصر الحديث فنذكر وقعة الجهرة التى حدثت فى سنة ١٩٢١، ومن الجدير بالذكر ان الجهرة كانت تابعة لكاظمة فى أيام عزها . وقد انتصر الكويتيون فى هذه الوقعة بقيادة الشيخ سالم بن مبارك الصباح على الغازين بقيادة فيصل الدويش .

أما الشعراء الذين تغنوا بكاظمة ومغانيها الجميلة فقد أفرد لهم المؤلف أطول فصل فى الكتاب وهم: مهيار الديلمي الذى يقول :

يـا نسيـم الصبـح مـن كـاظمـة شـدّ مـا هجـت الجوى والبرحـا
الصبـا أن كـان لابـد الصبـا انها كـانـت لقلبـى أروحـا
اذكـرونـا مثـل ذكـرانـا لكـم رب ذكـرى قـرّبت مـن نـزحـا
واذكـروا صبّـا اذا غنـى بكـم شرب الـدمـع وعـاف القـدحـا

وذو الرّمة القائل :

فـرغـن أبـا عمـرو بما بين أهلنـا وبينـك مـن أطـرافهـن ومـن شهـر
فـأصبحـن يجعلـن الكـواظـم يمنـة وقـد قلقـت أجوازهـن مـن الضفـر

وجرير الذى يقول :

كلفـت من حـلّ ملحـوبـاً فكاظمـة هيهـات كـاظمـة منـا وملحـوب
قـد كلـف القلب حتـى زاده شجنـا مـن لايكلـم الا وهـو محجـوب

والفرزدق وهـوأمير شعراء كاظمـة وهو فى هذه الأبيـات يفتخر ويذكـر قبر أبيه بكاظمة حيث يقول :

ألم تـر أنّـا بنـى دارم زرارة منـا أبـو معبـد
ومنـا الـذى منـع الـوائدات وأحيـا الـوئيـد فلـم يـوأد
ونـاجيـة الخير والأقـرعـان وقبر بكـاظمـة المورد
اذا مـا أتـى قبره غـارم أنـاخ الى القبر بـالأسعـد

ولم يُغفل المؤلف ذكر بقية الشعراء الذيـن أشاروا الى كاظمة فى اشعارهم ، كبشر بن عوانة وابـن الزغلية وعلي بن جعفـر ، وسبط بن التعاويـذي ، وعمارة بن أبي الحسن اليمنى ، وابن عنين .

والبـوصيري الـذى مـدح الـرسـول بقصيـدتـه البردة وقـال فى مطلعهـا :

أمـن تـذكـر جيران بـذى سلـم مـزجت دمعـا جـرى مـن مقلة بـدم
أم هبّـت الريـح مـن تلقـاء كاظمـة وأومـض البرق فى الظلماء مـن إضـم

وخصص مؤلفنا فصلا خاصا عن غـالب والد الفرزدق وقبره في كاظمة الذى يقال

عنه إنه (ما أجار قبر في جاهلية ولا اسلام كقبر غالب) . وقد هجا شاعر يقال له ذو الأهدام الفرزدق فخافت أمه من الفضيحة فاستجارت بقبر غالب لكي يجيرها من هجاء ابنه ويقول الفرزدق في ذلك :

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب　　　فلا والذى عاذت به لا أضيرها

وفي كاظمة كذلك قبر مظهر جد الأصمعي الراوية المشهور .

ثم يتكلم مؤلف كتاب كاظمة في الأدب والتاريخ عن آثار كاظمة وينقل لنا فقرات من كتاب التحفة النبهانية للشيخ محمد بن خليفة آل نبهان حيث يقول:

«وكانت الجهرة قبل الاسلام بلدة عامرة وآهلة بالسكان لأنها كما قلنا تعد جزءا من كاظمة ولا تزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الثرى فاذا ما حفر الشخص بئرا هناك أو شق اساسا للبناء وجد في أعماق الأرض بعض الجدران والحيطان وآثار العمران ظاهرة، وقد عثر فيها على نقود قديمة من عهد الجاهلية وعلى بعض الآثار القديمة كما أنه قد وجد في بعض الحفريات آجر قديم ».

ويؤيد كلام الشيخ النبهاني ما عثرت عليه البعثة الدنماركية من آثار في عام ١٩٥٨ حيث قالت بتقريرها المنشور في جريدة الكويت الرسمية :

«ففي الساحل الشمالي لخليج الكويت وعلى مقربة من كاظمة ومديره عثرنا على أربعة أماكن فيها أوانٍ دلّت على أن حضارة محلية قد نشأت في هذه المنطقة صنعت أدواتها وأسلحتها من تلك المادة » .

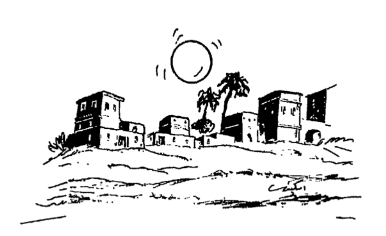
لقد كانت كاظمة ـ كما قلنا ـ مدينة الحب والجمال في أيام مجدها فلا عجب إن حدث فيها كثير من أقاصيص الحب وأحاديث العشاق ، وقد أورد مؤلف كتاب (كاظمة في الأدب والتاريخ) قصة حب مثيرة للشاعر المرقش الأصغر، وهو ربيعة ابن سفيان بن مالك بن ضبيعة، مع صاحبته فاطمة بنت المنذر وقد وقعت هذه القصة فى كاظمة في عهدها الزاهر .

والآن قد يتبادر الى بعض الأذهان ان هناك كاظمة اخرى تشارك كاظمة الكويت في الاسم كما زعم بعض الكتاب المتأخرين كالخربوتي في كتابه «عصيرة الشهدة في شرح البردة» . ولكن المؤلف المحقق يثبت بالدليل والبرهان أن هذه المزاعم واهية تتلاشى أمام التحقيق العلمي والنقد الصحيح .

وقبل أن آتى الى نهاية المقال أحب أن أذكر هنا أن كاظمة كانت على وشك أن

تعيد تاريخها القديم الزاهر وتبعث أمجادها السابقة الغابرة، وتجدد ذكرياتها في الحب والجمال . عندما أخذت شركة نفط الكويت تنقب عن البترول فوق ثراها منذ أكثر من عشرين سنة ولكن الأقدار كانت تسير في صالح غيرها من البقاع فهجرتها الشركة وانتقلت لتعمير غيرها فبرزت على المسرح مدينة الأحمدي الجميلة، وبقيت كاظمة كما كانت منذ أزمان مهملة لا يعرفها الناس إلا بأطلالها الدارسة المبعثرة في الصحراء وإلا بشهرتها في عالم الأدب والتاريخ .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر



تحيات .. وذكريات أديب

منذ أن بدأت أحاديثي في زاوية (دراسات كـويتية) من دار الاذاعة، وأنا أتلقى من مـواطني الأعـزاء في الكويـت، تحياتهم الصادقـة وشعورهـم الفياض نحـو ما أذيعه عـن الحياة الأدبية في الكـويت وأنني إذ أعتز بهذه العـواطف الصادقـة التي يحطيني بها مـواطني الأعـزاء، يسرني أن أرد اليهم التحية، وأؤكـد لهم أنني سـأظل خادما أمينا وجنديا مخلصا للأدب العربي المعاصر في الكويت.

وقد تلقيـت كذلـك تحيات طيبـة من اخـوان أعزاء في عـدة أجزاء مـن الوطـن العربي، منهـا تحيات معطـرة صادقـة حملها الي البريـد من شـاعر أديـب، يحن الى ذكريـاته العـزيزة الغاربـة التي قضاهـا في الكويـت منذ ثلاثين عـاماً. انـه الشيخ عبدالهادى الجواهري المتخرج في جامعة النجف وأحد أدبائها المخلصين. ولولا أن هـذا الأديب الأصيـل يقـدر الأدبـاء حق قـدرهـم ويقـدس الأدب أقصى غـايـة التقـديس، لما هـزته الـذكـرى عند سماعـه أشيـاء عن أدب الكـويت في الاذاعـة الكويتيـة فجاء يجدد هـذه الذكـرى بعد أن أسدلـت عليها الأيـام ستاراً قـاتما من النسيـان. لقـد كـانـت زيارته الأولى الى الكويت في عام ١٩٣٠، وكانت الحياة الأدبية في الكويـت تزدهر بشبابها الناهـض المخلص فأقامت لـه الأوساط الأدبية احتفالا رائعـا ألقى فيه كثير من القصـائد والخطب ولقد أحب الأستـاذ عبدالهادي الجواهرى الكويت حبا جما وأعجب بأهلها وأدبها وأدبائها، وعندما رجع الى العراق بقيت الذكرى تطـوف بخياله ، وظلت مرابع الكويت مصـدر حب وحنين له حتى هزته الـذكرى منذ أيام ، عند سماعه اذاعـة الكويت فلم يستطع مغـالبتها ، فتناول القلم وسطر رسالة أدبية مطولة كلها ذكريات جميلة ، وشوق وحنين ، نحو الكويت ونحو أصـدقائه الأعزاء الـذين اجتمع بهم فـاحتفوا بـه ، وتطارح معهم أحـاديث الأدب الشـائقة فى أيـام شبابـه الزاهـر ، وهل هنـاك أجمل فى هذه الحيـاة من أيـام الشباب ؟ لقد ذهبت ـــ لاشك ـــ أيام الشباب بالنسبـة الى أديبنا الجواهرى ولكن الذى لاشك فيـه أيضا ، هو أن قلب الأديب لايعرف المشيـب وليس أدلّ على قولي هـذا مـن رسالتـه الأدبيـة التـى تلقيتها منـذ أيـام ، وهـى تطفح بحـرارة الشبـاب وعـلامات الفتـوة . يقول الأستـاذ عبـدالهادي الجواهري ، فى رسـالته ، تعليقـا على

الحديث الذى أذعته منذ أسابيع عن كتاب « كاظمة فى الأدب والتاريخ » للأستاذ يعقوب يوسف غنيم : « فرعى الله دار الاذاعة ، إذ تتيح الفرصة للأدباء ليسمعوا آراءهم ويقرئوا الجماهير نتاج أفكارهم المشرقة ، فقد لفت انتباهي موضوع « كاظمة » وهو الموضوع الذى يستهويني وأشباهه من الموضوعات العربية التاريخية ، التى هى مسارح خيالي ومهبط وحيي كما يستهوي كثيراً من أدبائنا وشعرائنا » .

ثم يستمر الاستاذ عبدالهادي الجواهري فى رسالته الأدبية فيقول : «ولقد قلت الحق وعبرت عما يخالجني من الألم المكبوت ، لما آل اليه أدباؤنا وما يكتبه كتّابنا ، اذ انصرفوا الى معالجة الموضوعات السهلة الركيكة.

إي والله فأين نحن اليوم ؟ إننا نريد أدبا رفيعا مستوحى من تاريخنا الماضي والحاضر .. أدبا حياً .. مشرقا بالأمل » ثم يذكرني الاستاذ عبدالهادي الجواهري ، بناحية دقيقة لم أتطرق اليها فى حديثي السالف الذكر ، فيقول :

« ان كاظمة كانت كسوق عكاظ يؤمها الشعراء فى الموسم فيتبارون فيها، وحكاية الشاعر الأعشى معروفة بقصيدته فى والد البنات الثلاث العوانس ، التى جعلت الخاطبين يتسابقون للزواج بهن . كما أن كاظمة كانت منبرا لكثير من الشاعرات العربيات أيضا » وقد قلت فى حديثى عن كاظمة : « انها كانت على وشك أن تعيد تاريخها القديم الزاهر ، وتبعث أمجادها السابقة الغاربة وتجدد ذكرياتها فى الحب والجمال عندما أخذت شركة نفط الكويت تنقب عن البترول فوق ثراها منذ أكثر من عشرين سنة ، ولكن الأقدار كانت تسير فى صالح غيرها من البقاع فهجرتها الشركة وانتقلت لتعمير غيرها ، فبرزت على المسرح مدينة الأحمدى الجميلة وبقيت كاظمة كما كانت منذ أزمان مهملة لايعرفها الناس الا بأطلالها الدارسة المبعثرة فى الصحراء والا بشهرتها فى عالم الأدب والتاريخ » .

وقدجعلت هذه الكلمات الاستاذ عبدالهادي الجواهري يشعر بالحنين الى كاظمة فى أعماقه .

ومن كلمات الاستاذ الجواهرى التى سطرها فى رسالته الأدبية قوله: « فعسى أن يمن الله على كاظمة بالخير الوفير، فتربط يومها بماضيها، وعندها ستعود تلك الندوات الأدبية بروّادها ونلتقى على ثراها ونقيم لنا حضارة نابعة من ماضينا ومآثرنا ومن حاضرنا ومتطلباته العصرية ».

لقد تكلم الاستاذ الجواهـري عن ذكرياته الحارة عن الكويـت فى حاضرها وعن الكويـت فى ماضيها عنـدما كانت كـاظمة مصدرا لـلالهام فى مجالى الأدب والشعر ومدينة الحب والجمال، فماذا عند الاستاذ الجواهري عـن الحركة الادبية فى الكويت؟

قلنا انه عنـدما زارها لأول مرة كـانت فى الكويت حـركة أدبية مزدهـرة، وقد زار الكويت مرة ثانية عام ١٩٥٣ فماذا رأى؟ لندع الاستاذ الجواهري يحدثنا بنفسه عن شعوره وانطباعاته فى سفرته الأولى منذ ثلث قرن .

يقول الأستـاذ الجواهري بعـد أن رأى فى زيارته الثـانية تخلّـف ركب الأدب عما كان عليه فى عـام ١٩٣٠: « فقد والله زرت الكويـت عام ١٩٥٣ وبرغم مـا بدا لى من اهتمام بمؤسسات الصحة وتوسّع فى المدارس ومظـاهر الغنى والكفاية والعمل فإنني جزعت لأنني رأيتني أتسكـع في هذا الصخب ولم يستقبلني أحد من اخواني وأصدقائي العديديـن الذين لم يتيحوا لي طوال سبعة عشر يوما فـرصة لأحرر رسالة الى أهلي (في عام ١٩٣٠) لاحتفـائهم بي ومرافقتي.. لقـد كان ذلك .. ولا أظـن أنه يكون بعد هـذا. آه يا كويتي الحبيبة نشقـة من ذلك النسيم ولثمة مـن ثرى وربوات حوليّ والشعب .... آه انني أطلب المحال».

أرأيتم كيف يحن هذا الأديب إلى ندوات الأدب بعـد أن افتقدها فى الكويت ، فى عام ١٩٥٣ . لقد رأى الاستـاذ الجواهري مظاهر الرقي والتقـدم والتصنيع ولكنه لم ير مظـاهر الحيـاة الأدبية ، فجـزع وأصابـه الأسى والأسـف ، لأن الأدب هو الـذى يصنع التاريخ ، والأدب هو الذى يشجع الرقي والتقدم والتصنيع .

لقد كـان جزع الأستاذ عبـدالهادي الجواهري منـذ عشر سنوات ، وكانـت هناك بقية باقية من الحركـة الأدبية فى الكويت، وكانت مجلة البعثة الكـويتية تخفق رايتها فى سماء الكويـت والبلاد العربيـة الشقيقة وكانـت أسماء أدباء الكويـت تلمع على صفحاتها ، فتقدم الى القراء انتاجا أدبيـا رائعا وتضيف الى الأدب العربي صفحات ناصعة من النثر والشعر .

فماذا يقول الاستاذ عبـدالهادي الجواهري إذا زار الكويت فى هذه الأيـام من عام ١٩٦١ حيث الأدب يعاني أزمـة شديدة ما عرفهـا منذ وقت طويـل وحيث اختفت أسماء أدباء الكويت بعد أن احتجبت مجلات الأدب عن الصدور ؟!.

الكويت والمستقبل

فى ١٩ حزيران عـام ١٩٦١ ، خفقت على الكويت رايـات النصر والاستقلال ، فهبـت الجماهير مباركـة العهد الجديـد ، وهى تهنـىء قائد البـلاد ، وتعقد الآمـال وأطيب الأمـاني ، على مستقبل الكويـت البسام بعـد أن رأت العهد الباسـم الذى سبق هذا اليوم ، لأن الكويت كما يعرف الجميـع كانت تمارس حقوقها الشرعية منذ أمد بعيد ، ولم تكن خـاضعة لأحد منذ بروزها على المسرح الدولي قبـل ثلاثة قرون ، الى أن اكتملت سيـادة كيانها ببـزوغ شمس اليوم التـاسع عشر ، مـن حزيـران عام ١٩٦١ .

ومن بين الكتـب النافعة التـى جاء بها يوم الاستقلال والمجـد، وماتبعه مـن أيام التوتـر والأزمة، كتاب خطـه شاب من شبـاب الكويـت المثقف فصّل فيـه حاضر الكويت ومستقبلها، بما يعتقده ويـؤمن به، انه فى صالح الوطن، وانـه وسيلة فعالة للنهوض بـالكويت الى ربـوع الفخر، أما المؤلف فهـو الأستاذ حمد يوسـف العيسى وأما الكتاب فهو مستقبل الكويت.

يرى المؤلف أن الأزمـة التى حدثت بين قـاسم والكويت قـد دلّتنا على كثير من مواقـف الضعف، التى يجب أن نـوليها عنايتنـا واهتمامنا ، ونحن على أبـواب عهد جديـد معطر بـالانتصارات والأمجاد، فالمواطـن الذي ألف حيـاة الرخـاء والنعيم، عليه الآن أن يضحي بشيء من رخائه ونعيمه، فى سبيـل المصلحة العامة، ويقول فى ذلك :

«الأزمة التي خلقها قـاسم، انها تعنى بالنسبة لنا، اكثر من مسئـولية، انها مسئولية البناء وحمايـة هذا البناء، اننا مسـؤولون منذ اليوم، بـأن نعمل سريعا لنسبق الـزمن، وبأن نحمي عملنا » .

ويقترح فى سبيل المحافظـة على مستقبل الكويت إيجاد جيش قـوى تعتمد عليه البلاد فى مثل هذه الأزمات والأخطار .

وعندما يتكلم المؤلف عن معـاهدة ١٨٩٩ ، ويؤكد انها كانت معاهدة «مجمدة» وكانـت الكويت تمارس سلطـاتها كاملة. أي أن المعـاهدة كانـت معاهدة صـداقة ليـس إلا، برغـم بنودهـا وموادّهـا الكثيرة. وقد جـاءت الاتفاقيـة الجديدة، لتكلـل

استقلال الكويت بإكليل الغار، ولتضع الكويت فى مرتبة واحدة مع الدول المعترف بسيادتها، على المسرح العالمى .

وعندما يتكلم المؤلف عن المسؤوليات الجديدة للاستقلال فى الداخل والخارج، ويعطى بعض الأمثلة عن ذلك، لاينسى ماحققته الكويت من انتصارات شاملة، فى ميادين الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية والنهضة العمرانية، والمؤلف متخصص فى القانون، لذلك فعندما يتكلم عن أشكال الحكومات، يورد باسهاب وتوسّع، أنواع الحكومات المنتشرة فى العالم، فهناك الحكومة الملكية، وهناك الحكومة الجمهورية، وهناك الحكومة الديمقراطية وهناك الحكومة الديكتاتورية . ويورد المؤلف لكل شكل من أشكال الحكم مزاياه النافعة وعيوبه الضارة، ومن الطريف حقا أن يكون للحكم الديمقراطى عيوب وان يكون للحكم الديكتاتوري منافع، وهذا البحث بحث شائق، يجد فيه القارىء آراء مختلفة لرجال القانون .

وعندما أورد المؤلف هذا الفصل القانونى، كان يريد به أن يكون مقدمة لدراسة الأسس، التى يقوم عليها الحكم فى الكويت، ومايتوقع له من تطور، خلال مرحلة مابعد الاستقلال . وبعد أن يفى البحث حقه عن توزيع السلطات فى الكويت، يقترح اقتراحات تحقق أكثرها خلال عام النصر الذى مضى فأسلم الراية لعام آخر كسابقه، حافل بتوفيق الله، بالانتصارات والأمجاد .

والكتاب من أوله الى آخره، توجيهات واقتراحات نافعة، فى سبيل تدعيم استقلال الكويت، وتمكين كيانها الدولى فى الداخل والخارج . وقد قلنا منذ قليل ان كثيرا من اقتراحات المؤلف، قد برزت الى حيز الوجود، وأخذت الكويت تمارسها فى شؤونها الداخلية والخارجية . فقد جرت الانتخابات الشعبية الحرة، وتكوّن المجلس التأسيسي الذى سيأتي بالدستور، واشترك الشعب فى الحكم، وجاء وزراء من الشعب الى آخر ماتقدم به المؤلف من اقتراحات وجيهة .

ولم ينس المؤلف، وهو يتكلم عن مستقبل الكويت، المرأة ودورها الفعال، فى نهضة البلاد، ويقول فيها :

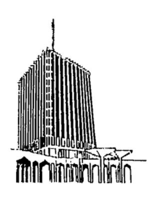
« أرى أن المرأة الكويتية وقد نالت قسطا وافرا من التعليم والثقافة واشتركت فى ظائف الدولة وأسهمت فى حضارة الكويت - اول مايجب ان يقرر لها هو الاعتراف لكامل بجميع حقوقها السياسية، ومنها حق الانتخابات والترشيح ».

ونحن نرجو للمرآة الكويتية كل تقدم وازدهار بعد ان رأيناها تشق طريقها فى الحياة بكل ثبات، فهى اليوم فى كثير من مرافق الدولة، تمارس حقوقها وواجباتها، جنبا الى جنب مع الرجل، وليس بعيدا ذلك اليوم الذى نرى فيه آمال المؤلف تتحقق، فى هذا المجال.

ويختتم المؤلف كتابه القيم بالكلام عن المسئوليات الخارجية للاستقلال وتتمثل هذه المسئوليات، فى التمثيل السياسي، وفى ارتباط الكويت بالمنظمات العالمية، والهيئات الدولية .

وبعد فقد ذكر المؤلف فى ثنايا كتابه، أنه يقرر حقائق موجودة فعلا فى الدول الأخرى، وذكر أن كثيرا منها سيتحقق فى الكويت، وربما قبل صدور الكتاب، لذلك فهو يقدم كتابه واقتراحاته بكل تواضع، ومن ذلك قوله : « إننى لاأدّعى أن ما أقوله صحيح فى جميع الأحوال وانما هو — على الأقل — ماأعتقد انه الصحيح، وهذا هو اجتهادى فى الوقت الحاضر وربما عدلت عنه فى وقت آخر، اذا ماتكشفت لى الحقيقة. فلربما تعلمنى التجربة غير الذى أقوله، وربما تكشف لى الدراسة عن أشياء أخرى أجهلها . فلذلك من الخطأ ان يدّعى الانسان بأن مايقوله هو الصحيح، أو أن يتبنى موقفا يصر على سلامته ».

ومهما يكن الأمر ، فكتاب « الكويت.. والمستقبل »، للأستاذ حمد يوسف العيسى مجهود مشكور فى البناء، ومحاولة موفقة فى شرح أنظمة الحكم، وكشاف رأينا على ضوئه، مستقبل الكويت الباسم .



تطور القضاء في الكويت

لابد لكـل مجتمع مهما كان نصيبه مـن الحياة من قضاء يحكـم بين أفراده بالعدل لكى يعم الخير المجتمع وتتنـزل البركة على الربوع . فيستطيع كل مـواطن أن يعيش وهو مطمئن البال على نفسه وعياله، ولـولا القضاء العادل لعمّ الشقاء فى كل مكان وعاش الناس فى ظلمات بعضها فوق بعض .

وتاريخ القضـاء فى الكويت مرتبـط ارتباطا وثيقا بتـاريخ الكويت نفسـه وقبل أن أتحدث عن القضـاء الكويتى وتطـوره أجد لزامـا علىّ أن أتحدث قليلا عن تـاريخ هـذه الأرض منـذ أن دبـت الحيـاة على أديمهـا . ويـرى المؤرخـون على اختـلاف درجاتهم أن الكويت كانت آهلة بالسكان عندما هاجر إليها آل الصباح منذ قرنين ونيف من الـزمان . وكان سكانها مـن الوافدين عليهـا من البلاد المجاورة وخـاصة مـن الجزيرة العـربية . وكـان أهل الكـويت الأوائل يسيّرون أمـورهم بـدون أمير إذ كانت كـل قبيلة تحل مشاكلها بنفسهـا، وتنظم شئونها بدون الـرجوع إلى غيرها. فلما بدأت الأمور تتعقد بين القبائل المتسـاكنة والأسر المختلفة رأى عقلاء القوم أن خير وسيلة تضمن للسكان على اختلاف طبقاتهم ، العيـش الهانىء والحياة الكريمة هى أن يختاروا بينهم أميرا يكون فى مستوى المسؤولية ، مـن حيث الدين والنزاهة والعقل والأخلاق والشجاعـة . وبعد مشاورات عديدة واتصـالات مختلفة استقر رأيهم على تنصيب الشيخ صباح بن جابـر ، جدّ الأسرة الحاكمة أميرا على الكويت ، وذلك فى سنة ١٧٥٦ ميلادية ، فبايعوه على السمـع والطاعة والولاء على أن يحكم بين الناس بالعدل وإقامة شرائع الإسلام . وأقسم لهم بدوره اليمين على أن يقوم با لمهمة الملقاة على عاتقه بما يرضي الله والرسول والبلاد وأهلهـا . وبادر قبل كل شيء باختيار عدد من الناس عـرفوا بالعقل والدين والقـوة وجعلهم مستشارين يرجـع إليهم فى وقت الفرج قبل الشـدة . وفى مقدمة هؤلاء النفـر القاضي محمد بن فيروز وبـذلك يكون ابن فيروز أول قاض عرفته الكويت وبه افتتح تاريخ القضاء الكويتى .

وقد خلف ابن فيروز فى القضاء محمد بن عبدالرحمن العدساني .. والعدساني كان زوجا لابنته واستمر القضاء فى آل العدساني حقبة طويلة من الزمان لم يسجل لهم التاريخ غير السيرة الطيبة والخلق المحمود والنزاهة فى القضاء والعدل فى الحكم . وكان آخرهم عبدالله بن خالد العدساني .

وفى زمن الأمير الكويتي الثاني عبدالله بن صباح الذى حكم خمسين سنة من ١٧٦٢ إلى ١٨١٢ حدثت حادثة طارئة خرج القضاء بسببها من أسرة العدساني مؤقتا .. فقد حصل خلاف بين القاضي الشرعي محمد بن صالح العدساني وبين أحد علماء الكويت وهو علي بن شارخ مشادّة عنيفة حول صيام يوم الثلاثين من شهر شعبان إذ غمّ الهلال فأفتى ا بن شارخ بوجوب الصوم ولكن القاضي الشرعي عارضه فى ذلك عملا بالحديث الشريف (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) ، ولكن الأمير وقف إلى جانب ابن شارخ فاعتزل العدساني القضاء . فطلب الأمير من ابن شارخ أن يلي القضاء فكان جوابه أن القضاء منصب خطر وأهم شروطه إقامة الحدود ويخشى ألا يستطيع تطبيقها وخاصة على أعيان البلاد . فكان ردّ الأمير أنه سوف يوليه مطلق الثقة ويمنحه الحرية التامة ويساعده على إقامة الحدود ولو على نفسه فوافق على قبول القضاء ولكنه توفى بعد سنتين أو ثلاث ، أي سنة ١٢٢٨ هجرية ، فرجع محمد بن صالح العدساني مرة ثانية إلى القضاء بدعوة من الأمير ، وقد بقي القضاء فى أسرة العدساني أكثر من مائة وخمسين سنة . وبعد وفاة عبدالله بن خالد العدساني فى سنة ١٣٤٨ هجرية ظل منصب القاضي شاغرا مدة شهر كامل حتى قبل العالم التقى الورع عبدالله بن خلف الدحيان منصب القضاء بعد اتصالات عديدة وممانعة مستمرة .

ويقول يوسف بن عيسى القناعي فى كتابه صفحات من تاريخ الكويت : «وكان مثالا للعزة والنزاهة والعدل . ولم نعرف أحداً تولى القضاء وأدى واجبه مثله . وكانت توليته القضاء بالزام من الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت حيث لم يوجد من يماثله فى العلم والاصلاح واستقام فى القضاء محتسبا لم يأخذ أجرا عليه » .

ولكنه توفى فى العـام الموالى أي فى ١٣٤٩ .. فاستراح من منصب القضـاء الذى كان يؤرقه كثيرا ويقلق راحته ويكدر صفو حياته .

ثم تطـورت الأنظمة القضائية في الكـويت بإنشـاء المحاكم وكان رئيسهـا أحد أفراد الأسرة الحاكمـة وهو الشيـخ عبدالله الجابـر الصباح ، وكـان أساس الأحكـام جميعها يستند إلى المجلة وهو نظام الأحكام الذى كان معمولا به فى الدولة العثمانية.

وتولى القضـاء بعد عبدالله بـن خلف الدحيان ، عبـدالعزيز قـاسم حمادة وأحمد عطية الأثـري .. ثم جـاء المجلس التشريعـي فى عام ١٣٥٧ هجـرية الموافـق لعام ١٩٣٨ ميلاديـة وذلك فى عهد الأمير أحمد الجابر الصبـاح فأجرى تغييرا شـاملاً فى شـؤون الحكم وفى مقـدمتهـا تنظيم جهـاز القضاء ، فعين عبـدالمحسـن إبراهيـم بابطين رئيسا للقضاء وعبدالعزيز حمادة معاونا أول، وأحمد عطية الأثرى معاونا ثانيا . فأما رئيس القضاء فقـد فصل بعد ثلاثين يوما فقط .. وأما معـاونه الأول فقد بقى حتى عام ١٣٦٨ حيـث فصل هو الآخر بعد عشرة أعوام مـن وجوده فى القضاء ولم يبق غير أحمد عطيـة الأثري الذى توفى سنـة ١٣٨١ وكان يعاونه قـاض مصري هو محمد كامل شمس الدين .

ذكرنـا حتى الآن القضـاة الشرعيين الذيـن كان الحاكـم يعينهـم فى هـذه المناصـب ولكن الى جـانب القضـاة كان هنـاك بعض المواطنين يسـاعدون الحاكـم على فض المشاكل وكان يطلـق عليهم (أهل الصنف) أي أن الخلافات التجاريـة كان يحلها أناس من صنف التجـار . والخلافات الخاصة بالغوص فى البحار بحثـا عن اللؤلؤ كان يحلها أفـرادمن صنف الغواصين . ففـي مجال الخلافات التجارية كـانت أسرة الخالد هى المختصـة فى حل النزاع بصفتها من الأسر التجاريـة العريقة . وفى مجال الغوص كـان سالم أبوقماز هـو من أشهر الذيـن يحكمون فى الخلافات النـاشئة بين الغواصين . أما التجـارة البحرية فكان المرجـع فيها بعض التجار البحـريين ، ومن أشهرهـم محمد بن شـاهين الغانم .. وكـان للأحكام التـى يصدرها أهـل الصنف احترام كامـل شامـل من قبل المواطنين . وكـانت أحكـاما نافـذة بدون الـرجوع الى

المحاكم أو القضاء .

وفى ربيع الآخر من سنة ١٣٥٩ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٩٤٠ صدر قانون الغوص فى احدى وخمسين مادة أضيفت لها مادتان بعد ذلك بقليل .. وهذا القانون هو أول قانون يصدر فى الكويت وقد صدربالعبارات الآتية « نحن حاكم الكويت أحمد الجابر الصباح . بناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الشورى وبناء على رغبتنا فى اصلاح البلاد والعباد أمرنا بما هو آت :. »

وأول من عيّن فى مهنة التحكيم فى منازعات الغوص على أساس هذا القانون هو عبدالمنعم بن عيسى حيث عين موظفا فى المحكمة لهذا الأمر بالخصوص . وبعد ذلك بوقت قصير صدر قانون السفر . والسفر هو رحلة البحارة الكويتيين إلى سواحل العراق وايران والخليج العربي والهند وافريقيا للتجارة . ولايمكن للباحث فى ميدان القضاء أن ينسى العالم الأديب القاضي المخلص يوسف بن عيسى القناعي الذى كان مميزا للأحكام مدة طويلة من الزمن ولم يتخل عن هذه المهمة القضائية إلا بعد أن تجاوز التسعين من العمر . وهو مايزال على قيد الحياة معززا ومكرما ، وان كان المرض قد أقعده عن كل عمل فكرى سواء أكان فى مجال القضاء أم فى ميادين الأدب .

لقد ذكرنا دور القضاء الشرعي فى تسيير أمور البلاد وذكرنا كذلك دور محاكم الصنف وبقي أن نذكر جانبا آخر من جوانب القضاء قبل صدور القوانين الحديثة ، فقد كان فى الكويت قضاء أجنبي وجد فى سنة ١٩٢٥ يطبق على الأجانب المقيمين بالكويت . ومن قائل إن هذا القضاء يستند الى المعاهد المشهورة التى عقدها الشيخ مبارك الصباح الحاكم الكويتي السابع مع بريطانيا فى عام ١٨٩٩ ، ولكن المعاهدة لم يكن بين بنودها مادة واحدة تشير الى وجود قضاء انجليزي الى جانب القضاء الكويتي ، وحتى الآن ليس بيدنا مصدر عن نشأة هذا القضاء والسند الشرعي فى وجوده . وقد ظلت المحكمة البريطانية تطبق قضاءها حتى سنة ١٩٥٣ حيث صدر مرسوم أميري يحدد مسؤولية هذه المحكمة والأفراد الذين يمكن أن تشملهم مسؤولياتها وهم :

١ــ الرعايا البريطانيون .
٢ــ رعايا دول الكمنولث .
٣ــ الامريكيون .

وفى ١٣ فبراير سنة ١٩٦٠ صدر بيان رسمي من سكرتارية حكومة الكويت جاء فيه :

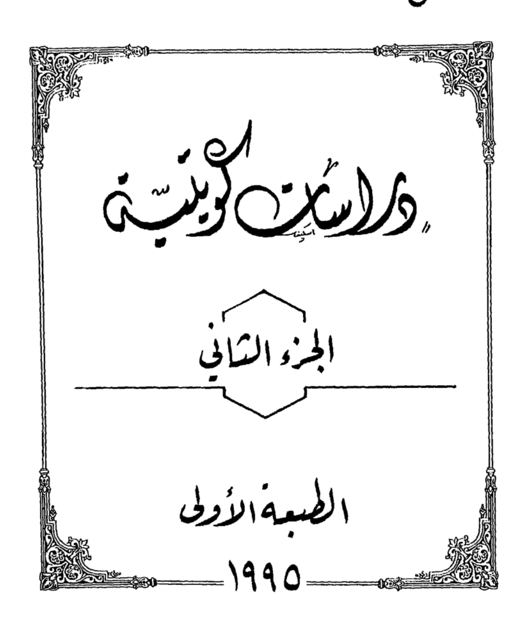
« كانت حكومتا صاحب السمو أمير دولة الكويت وصاحبة الجلالة فى المملكة المتحدة قد وجدتا من المناسب لهما بالنظر الى الظروف السائدة فى الماضي أن يخضع بعض الجنسيات الأجنبية الى سلطة صاحبة الجلالة القضائية فى القضايا المدنية والجنائية ، وتمشيا مع التقدم الذى أحرزته الكويت نرى أن الوقت قد حان لحكومة الكويت أن تفوض كامل سلطتها القضائية على جميع المقيمين فى بلادها دون استثناء » .

والى جانب كل هذا .. كانت دائرة البلدية تقوم من جانبها بدور فعال فى القضاء الكويتي ، حيث كانت تتولى فض الخلافات الناشئة بين الناس بخصوص قانون الايجارات الصادر فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٤ ، والقضايا المتعلقة بالأراضي والعقارات . وكان لدائرة الأمن العام دور كبير أيضا حيث كانت تقوم بالنظر فى المنازعات والقضايا الجزائية تعاونها فى ذلك دائرة الشرطة ، اذ كانت القضايا التى تقع داخل المدينة من اختصاصات الشرطة أما القضايا التى تقع خارج السور وفى القرى والجزر ، فقد كانت من نصيب الأمن العام ، لهذا كانت الاحكام القضائية فى الأربعينات والخمسينات غير مستقرة على حال حتى صدر قانون تنظيم القضاء فى ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩ الموافق لـ١٩ ديسمبر ١٩٦٠ .
وهكذا حقق الله أمل القاضي الأديب يوسف عيسى القناعي الذى قال قبل ربع قرن من الزمن فى كتابه (صفحات من تاريخ الكويت) :
« وآملي بالله جميل أن يتم احسانه فأرى الكويت فى جميع دوائرها تمشي على نظام مدون له حرمة وسلطة ، وبعد شهور قليلة أي فى ١٩ يونيو ١٩٦١ خفقت على

الكويت رايات النصر والاستقلال فاكتملت سيادة الحكم بعد أن اكتملت قبل ذلك سيادة القضاء » .



فاضل خلف



دراسات كويتية

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٩٩٥

التركيب الوظيفي
في قصة هي التي تجوب الشوارع

هـذه القصة مـن كتابـات السبعينيات للقـاص "سليمان الخليفي" تضمنتهـا مجموعته القصصية التي بعنوان "هدامة" .

إن انعكاس المعنـى لدى المتلقي الذي يمكنـه أن يرصـد عناصره البنيويـة من خـلال خط انتـاج تتفاعل في مسـاره كل العنـاصر البنيـوية المكـونـة للنص : من أسلوبيـة النص السرديـة ، والشخوص الصـاعدة بقـوة النص ، وكذا جـو النص . ولأن المجال هنـا لا يسمح برصد تحليلي كلي وشـامل لكل هذه المكـونات سنكتفي بتحليل المستـوى العمـودي وهو المستـوى الـذي نستطيع أن نرصـد منـه التركيب الوظيفي الذي يمكننا من إلقاء الضوء على العنـاصر البنيوية المتفاعلة ، وقوتها التي تنجزها ، وهذا من شأنه إتاحـة رصد ما ينتج من تحولات حركية تتوالى ؛ فينجم عن ذلك تعـرية كل مـا يستر العلاقات بين العنـاصر البنيويـة ؛ فالعـلاقات بين محرك الفعل - الأنا ، والضدين المساعد والعائق ، من شأنها جذب الناقد المتلقي ليصعد معها على منحنى تصاعدي ، يكـون في قمته العليا متاحا له رصد الـوظيفة الدلالية لبنية النص الوظيفيـة . والنص الذي سنقوم بتحليله فهـو بعنوان "هي التي تجوب الشوارع" .

ويمكن أن نرصد له ملاحظتين قبل البدء :

١- لا شك في أننـا نتعـامل مع جنس مستحـدث من الأجنـاس الأدبيـة وهـو فن القصـة القصيرة ونحن نرصـد ذلك بناء على عنـاصر تأخـذ المسار المتـوازي مع النص ؛ فهـو يكـون الى جـانـب نصـوص أخـرى مجمـوعـة قصصيـة عنـون لها "الخليفي" بـ"هدامة" وتـوجد قصة بهذا العنوان وهي آخر قصـص المجموعة ص ١٠٧ . والسبب في أن اختيـاري قـد وقع على القصـة قيد الـرصـد التحليلي والمعنونة بـ "هي التي تجوب الشوارع" ؛ ذلك أني وجدتها أكثر مواءمة للمنظور

التحليلي الذي سأقوم برصدها من خلاله .

وأنا أقدم هذه الملاحظة لكون أغلب نصوص " هدامة " قد اتسمت بسمة الاختزال والتكثيف ؛ ذلك بأن النصوص تتميز بأن أغلبها في الحجم العادي ؛ فهي ليست طويلة نسبيا ليطلق عليها رواية قصيرة ولا بالقصيرة جدا ليطلق عليها " قصة قصيرة جدا " ، وإن كان أغلب النقاد أصبحوا الآن يتفقون على أن الحجم لا يشكل معيارا للتمييز بين
نص روائي وقصصي لأنهم يفتشون دائما عن الشخوص والعوامل والفضائية والزمانية والمكانية ، فهذه هي القادرة على تكوين فضاء روائي .

إن نص " هي التي تجوب الشوارع " يشتمل على سمات القصة القصيرة حيث تتم الكتابة وفق الأسلوبية الكلاسيكية المميزة للقصة .

فالمقطع الأول للنص يقدم شخصية أولى غير واضحة المعالم لأنها تستخدم عباءتها استخداما جيدا لإخفاء شخصيتها كي لا يتعرف عليها أحد ، وتقوم المقاطع الوساطية الأخرى بإبراز التحولات : توكيل أمر مراقبة الشخصية الأولى لصبي صغير ، ثم يشكل المقطع الأخير في القصة خاتمة يكشف من خلالها النقاب عن كينونة هذه الشخصية فتظهر المفارقة بين "كينونة" هذه الشخصية و " ظاهرها " .

وتعد خاصية الكينونة والظاهر من أهم خصائص الكتابة التي سنحاول تحليلها في هذا النص ، وذلك في علاقتها بالوظائف .

٢- تعد قصة " هي التي تجوب الشوارع " من نصوص السبعينيات، وهي من النصوص التي استحدثت بعد كتابته لقصة " الاسئلة المغلقة " تشرين أول ١٩٦٤ ، وقصة " في الداخل والخارج " آب ١٩٦٧ أي بعد جيل الرواد بجيلين أو ثلاثة ، ومن ثم نلحظ المسار الكلاسيكي تبينا أوضح تبيان .

العملية التشريحية للنص :

إن عملية التشريح على المستوى المنهجي أساسية ؛ ذلك أنها تتيح لنا الهيمنة على النص أثناء عملية التحليل ، إذ نستطيع تحديد مكونات النص القصصي من خلال المقاطع المختلفة ، ونظرا لأن مثل تلك العمليات ليست بسيطة ؛ فمن ثم يجب علينا الاعتماد على معيار ملائم ، منطلقين من المقولة النقدية المحددة لمفهوم

المقطع وهي : [أن كـل مقطع سردي قادر على أن يكـون بمفرده حكـاية مستقلـة ، وأن تكون له غايته الخاصة به ، لكن يمكن أن يدرج ضمن حكاية أعم ، وأن يؤدي وظيفة خاصة] .

فإذا كـانت هذه المقـولة هي قـاعدة انطلاقنـا الى فضاء النص فمـن المؤكد أن يتـاح لنا معيـاران : دلالي ومكاني، وبما أن الأقـوال السرديـة التي تكـون كل مقطع تتمركز حـول " ومضة " معينة ، إذن فالمعيار الدلالي مـن السهل تحقيقه ، ونظرا لأن الأقوال السرديـة من السهل إحـالتها على فضاء مكـاني واحد ، فمن السهـل أيضا تحقيق المعيـار المكـاني ذلك أن الـوحـدة المكانيـة من شـأنها أن تمنح المقطع سمـة التناغم الموصية بانسجام هذا المقطع .

المقطع الأول : يبدأ بالقول السردي :

" أمسكت بـاليسرى طـرفي العبـاءة لتصنع فتحـة مكنتهـا مـن رؤيـة حـذرة (ص١٥) "، وينتهي عنـد : "... بينـا تـرعـب البـدويـات الصغيرات المنتشرات كحشرات " بنـات المطـر " بثيـابهن المبرقشة الـزاهيـة وذلك عنـد رؤوس نهايـات الشوارع ص١٧ ".

سمات هذا المقطع:

١ – قـابليـة الأقـوال السرديــة للتمحـور حـول فضـاء مكـاني واحـد هــو «حي النقرة» الذي يكون الهيكل الشكلي الذي يفتتح به النص.

٢ – المقطع يقدم فضاءات أخرى جزئية (بيوت «أهل الجوز» – مساكن «المراقبين») التي تعد تابعة للفضاء الأساسي الذي هو (حي النقرة).

٣ – وحدته المكانية تحقق التناغم.

٤ – قابليته للاستقلال أو الاندماج داخل النص السردي العام.

٥ – قـابليته لأن يفسـح الى جانب المعيـار المكـاني مكانـا لمعيـار آخر يعتمـد على الكينونة والظاهر. ويقـدم القاص، منذ المقطع الأول، بعض العناصر المرتبطة بدلالة النـص حيث يقوم بوصف الشخصيات التي تنجـز الأفعال في النص السردي مثل:

● «..... انــدفعـت من رأسي الشــارع الى قلبــه في مشيــة راكضــة، تتخللهـــا

وقفـات غير مكتملـة أشبـه بـالتعثـر، ثم تتـابع التراكـض مـن جـديـد والالتفاتات لتتماوج بينهما العبـاءة في الشمس ... وتستمر هكذا المشية -وجلى - كمشيـة الحمام، حتـى تـدلـف في أحـد الأبـواب.» (ص١٥)

● «..... تنشط كحـركـة النسوة في إيـابهن مـن التـزاور أو شراء الحاجـات ... ضـامـات تحت أجنحتهن مشيـولات كثيرة .. وهـن بين سريعـات ومترددات تتخـارج سيقـانهن مـن وراع فكـى العبـاءة ليلمحهـا الضـوء إلى نهاية لحظة موجزة. » (ص ١٥)

● «..... يترك الـربيـع في بـدايـة الخمسينـات - حين لم تكـن الشـوارع قـد بنيت بعـد - مسالك النقـرة شبيهة بسبـائك الذهب بعـد أن يجف المطر....» (ص ١٦).

- أما المقطع الثاني فيبدأ عند: «قال له: اسمع .... (كان ذلك بعد صلاة العشاء في مسجد الطوارىء..) راقبها جيدا متى تخرج وكيف ... » (ص١٧)

إلى: «وانفلـت الصبي يتطـايـر مـن فـوق رأسـه شعـر كثير ليبـدو جسـده الناحل مع ثوبه الملتف عليه كجذر فجلة» (ص١٨)

هنا الكينونة واضحـة والظاهر لم يزل غائبا فشخصيـة المقطع الأول الغامضة انضمت اليها شخصيتان يشملهما الغمـوض أيضا وهما المتكلم والمخاطب في جمل الحوار .

إذن فـالكينـونـة من غير الظـاهـر المقـابل لها تمثل معيـارا آخـر وهـو معيـار الغموض .

سمات المقطع الثاني: -

١ - سمة حوارية أضافت غموضا ثانيا حول الشخصية الأولى - شخصية المقطع الأول.

٢ - قصر المقطع أدى الى تكثيف الحدث.

٣ - معيار دلالي آخر يفسخ له المقطع ويرسم جوا من الكبت الخانق يتمثل في انطلاق الصبي حين أراد أن يخلص بسرعة من تحت الريح والغيم البارد، وحين سمح له بعدم الذهاب الى المدرسة غدا.

- **المقطع الثالث:** ويبدأ من: «ضجت السدرة الوحيدة بصراخ الزرازير،...» (ص ١٨). وينتهي عند:«قالت والدته عن أبيه: لقد جاء مبكرا في الليلة البارحة.كما سمع من النسوة قبل أن يصمتن لدى مرآه ، شيئا مريبا يعتقدونه في سلوك " أمينة " . تطلع ناحية بيتها فرأى ذات الشخص الكريه ذا اللحية الكريهة يقود التيس الى بيته. راقبه طوال قيادته له حتى أقفل الباب من خلفه. "(ص ٢١)

سمات المقطع الثالث:

١- ورود الظاهر المقابل لكينونة المقطعين الأول والثاني بدون تقريرية مباشرة بل اعتمادا على ذكاء المتلقي وثقافته.
٢- إشعاع درامي ينبثق من موقف متباين بين أمينة (الشخصية الغامضة) والصبي وليد الذي لم يتجاوز الثانية عشرة.
٣- يتحدد تجانس هذا المقطع بناء على معيار دلالي : يرتكز المقطع على إبراز الكينونة والظاهر : فالأقوال السردية في هذا المقطع متمحورة حول عنصر الظاهر إذا يتبين تحول شخصية " وليد " « من حالة الكينونة»صبي صغير يأتمر بأمر والده " إلى" عاشق يستولى على لبه جمال محدثته التي هي أمينة "

- **المقطع الرابع :** ويبدأ من " بعد أن عادوا من هناك استعدوا للقائه ..." (ص ٢٢) وينتهي عند : "فلم تكن أي رغبة في مواصلة الحوار" (ص ٢٢).

سمات المقطع الرابع ·

● يستمد هذا المقطع تجانسه من جمل حوارية مكثفة وقصيرة .

- المقطع الخامس : ويبدأ من : " تحين الفرصة ، وانسحب خارجا لكي لا يحضر اللقاء الذي رغب والده أن يرقبه ... " (ص ٢٢). وينتهي عند : " ... لقد استطاع وليد أن يجد في عدة أشياء صغيرة تذكره مبررا لنمو هذه العاطفة تجاهه. " (ص ٢٣) .

سمات المقطع الخامس :

● يتحدد هذا المقطع القصير في النص من خلال معيارين : مكاني ودلالي. بالنسبة للعنصر المكاني يتبين أن الأقوال السردية تشير إلى مكان التقبب الحادث بجص الحائط والانكسار في قمته إثر حجر رماه أحد الأطفال ويعضد هذه الوحدة المكانية معيار دلالي ؛ إذ ترتبط شخصية وليد بشخصية خالد - الشخصية الجديدة بالمقطع - داخل الحارة في إطار علاقة العامل - الذات - (خالد) بالموضوع الذي يسعى للحصول عليه وهذا متمثل في القول السردي : "لقد استطاع وليد أن يجد في عدة أشياء صغيرة تذكرها مبررا لنمو هذه العاطفة تجاهه " .

المقطع السادس : ويبدأ من : " ضغطت الأرجل على دواسات البنزين... " (ص ٢٣) وينتهي عند : " ... وانسلت من جوفه الذاكرة . كانت أجمل وأحلى مما كانت عليه في أي يوم آخر . " (ص ٢٤)

سمات المقطع السادس :

● ويتميز هذا المقطع باعتماده علي معيارين يضمنان تجانسه : معيارمكاني ، ويتمثل في تمركز الأقوال السردية حول " الشارع " وحركة المطاردة ومعيار دلالي يتمثل في قول السارد : " هذه أول مرة يتمعن وليد وينشد الى تمعن أطول في وجه والده ، كان مختلفا.... "(ص ٢٣)

- المقطع السابع : ويبدأ من : " ألم تره في نفس السيارة ؟... "(ص٢٤) وينتهي عند : " ... منذ ذلك اليوم أخذ الجميع في التحدث عن مسألة عويصة " (ص٢٥)

سمات المقطع السابع :

● معيـار دلالي يتمركـز في الحوار القصير والمكثف والغرض منـه إماطـة اللثام عن سلوك أمينة .

- ألم تره في نفس السيارة ؟
- نعم ..
- ألم تكن معه ؟
- معه امرأة ...
- أين ؟
- اتجهوا الى سكة عمي راشد
- بعد ذلك خرجت منها أمينة
- أربع حريم من بينهن أمينة ...

ونفس المعيار أيضا للدلالة على إخفاء الحقيقة فلـم يبدها وليد لوالده وهذا بين في :

" هذا أوان الكذب ، ولقـد رغب أن يقول لوالده الحقيقة ، لكن ليس بعـدما حدث في هذا الصباح ... " (ص ٢٤)

- المقطع الأخير : ويبدأ من : " اكتظت عتبة باب الـديوان بأحذية الرواد... " (ص ٢٦)

وينتهي عند : " ... وتسـاءل بينه وبين نفسه للمـرة الأخيرة : ترى هل تموت حـورية ؟ " (ص٣٠)

سمات المقطع الأخير :

● إبرازه كينونـة جديدة لشخصية " حورية " [كـان قد ألقى الضوء على الظاهر المقـــابـل لها في مقاطع سابقة وبالضبط في المقطع الثالث حيث قال : " كانت جدتـه تقول عن فتـاة كانت قد " سـوت الشين " في حيهم السابق . فـدخل بها أخوها الى حجرة تخزن فيها لحوم الضحايـا والأشياء النادرة الاستعمال ، وأعطاها

بصمت ، قطعة زرقاء بقدر الابهام .. وفي الصباح قالوا : يا للـه من فضلك ، ماتت حورية " .]

● واستخدامه لها كرمز مجسد للفتاة التي تحوم حولها الشبهات ، وبهذا نرى أن مكونات النص قد عملت على توليد مقومات سياقية كونت في تركيبها تشاكلا دلاليا متجانسا .

● كما أننا نلحظ أن هناك علاقة بين العنوان (هي التي تجوب الشوارع) بما هـــــوعنصر مواز للنص والعناصر التي أشرنا إليها في إيجاز وهي البنية التركيبية الوظيفية والكينونة والظاهر على المستوى الدلالي .



البنية اللغوية في نصوص
الخروج من الدائرة للشاعر/ خليفة الوقيان

(١)

الشاعر خليفة الوقيان شاعر يستروح من التراث أنسامه النقية ومن القرآن نفحاته العاطرة أضف إلى ذلك ملكته الفنية التي أمدته بالوعي اليقيني بأصول التجربة وطبائعها الشعرية الحديثة وأساليب التعبير عنها بفنية زاخرة مواكبة للحساسية المستحدثة والمعاصرة.. شاعر يحرك لك الذاكرة الموصلة للوجدان صور تطواف روح التراث في الملكات الشعرية. وصور عرائس المأثورات الشعبية العربية بوعي ملحوظ ودقة أداء.. شاعر يستلهم في الوقت الذي لا يعوّل فيه على قوتي الفعل ورد الفعل لدى «الأنا» الشاعرية بقدر ما هو يعوّل على الأخذ من المنتقيات التراثية ليقدمها للمتلقي في صورة عطاء يطلق عليه «الهدايا الوجدانية».. شاعر ورث من ميراث العرب العظيم أضخم إرث ولم يبخل به على متلقيه بل أخذ على عاتقه أن يمده بين الحين والحين بمقتنيات الإرث العظيم بتشكيل لغوي قائم على «الحوار الفني».

وتجربة شاعرنا الوقيان الكبرى التي تقتات منها عرائس شعره حتى الآن هي تجربة تعلقه الوجداني بالإنسان في كل مكان.. الإنسان المغترب عن وطنه والانسان المعاني للاغتراب المرير في وطنه وهذه التجربة يمدها شريانان حيويان ، شريان ينثال فيه تيارات من أمل يترقرق وشريان يموج فيه الكثير من آلام عذاب التردي الأعمى في مهمه التيه في كون ليس با لمأمول ووجود فقد معاني الوجود واغتراب الوقيان يرجع إلى إحساسه الحاد بأن الإنسان كل انسان مرصود من قوى الشر، وهذا من شأنه أن يزود طبعه الشاعري بانعكاسات غير مقصودة تأثر بها أاسلوب وسائله التعبيرية إذ اقترنت هذه التجربة بالإفضاء إلى الإنسانية المحبوبة بلغة هي مزيج من ابتهالات الصوفيين وتسابيح الزهاد وحديث الإنسان العربي المناضل من أجل فتح كل مستغلق في شتى المجالات.

(٢)

أصدر شاعرنا الوقيان ديوانه الأخير «الخروج من الدائرة» عام ١٩٨٨ وأصدر قبلا

«المبحرون مع الرياح» عام ١٩٧٤ ثم «تحولات الأزمنة» عام ١٩٨٣ وله أعمال شعرية متفرقة هنا وهناك أصدرها على صفحات الجرائد والمجلات قبل السبعينات ، بيد أن التصنيف التاريخي يحتم علينا اعتباره من جيل السبعينات من شعراء الحداثة العربية رغم تفوقه الملحوظ في قصائد النمط القديم من العمودي ورغم تباينه الشديد عن شعراء هذه الفترة من حيث قدرته الفنية والفكرية واستخداماته اللغوية. وبالنظر إلى عناوين أعماله نلحظ عمق تجربته وأصالتها من بداية ابحاره مع الرياح ثم رصده للتحولات الزمنية وإتمام ذلك بالخروج من الدائرة.. الدائرة التي اتسعت لتجربته واحتدمت فيها حيرته وشوقه إلى إماتة هذا الاحساس المرير بالاغتراب بين شجاعة اقتحامه لمراصد قوى الشر والعدوان وبين تجمله بالصدر وتظاهره بعدم اللامبالاة إلى أن يتمكن من رصد أبعاد عالمه المنشود.
من هنا يكون انتظار عودة المبحرين مع الرياح لإنقاذ ضحايا التحولات الزمنية ومساعدتهم على الخروج من الدائرة مشوبا بألوان متباينة من القلق النفسي.. إذن لا ريب في أن التجربة قد ازدادت اتساعا وعمقا في عمله الاخير «الخروج من الدائرة» الذي استوعب الوجود الشعري للشاعر ملقيا الضوء على أن الإنسان موجود طبيعي أوجدته السماء بصورة كلية غير قابلة للتجزئة وهو مقيد بوطنه وإنسانيته ولكل منهما حرمة يجب ألا تنتهك وهذا أوجد لدى الوقيان حالات الوجد والعشق والهيام فالشاعر يعشق وطنه في إنسانيته ويهيم بعروبته في شخصيته وتساوت بذلك لديه حالات الرضا والغضب فهو يغضب ليرضى في آونة وفي أخرى يرضى ليغضب وفي الحالتين يستمتع بإنسانيته ايما استمتاع ذلك أنه يثبت أنه موجود إنساني كونه هو وطنه، وعروبته هي دمه، وهو بهذا يرمز الى أسمى معاني العشق.

(٣)

هذه العجالة كان الغرض منها إلقاء الضوء على عناصر تجربة الوقيان والآن آن لنا أن نتساءل: ما هي الاسلوبية التي انتهجها الوقيان في أشكاله اللغوية التي تمخضت عن هذه التجربة؟
وقبل الإجابة عن هذا التساؤل لا بد أن أعلن أن هناك شاعرين: شاعر له مختبره الخاص وشاعر يعيش على مختبرات الآخرين فالشعر وجود لغوي لا بد له من مبدع

وهذا المبـدع لابد وان يكون مستلهما ولا يأتي إلهام بغير معـاناة والمعانـاة هي عنصر اشتعال لإتمام التجربـة ولقد سبق أن قلنا إن شاعرنـا يستروح نسائم التراث بملكة فنية ، ومن هنا يمكننا التأكيد على خصوصيته في إنتاج وانتقاء لغته الخاصة.

(٤)

وقبـل أن نعرض للسمات الأسـاسية لشعـر الوقيـان لا بـد أن نتأمـل هذه الأسطـر:
(مذبحة الفواكه) ص (٣٣, ٣٤, ٣٥, ٣٦, ٣٧, ٣٨)

يجيء سليمان
بعد وضوء صلاة العشاء
تعشعش فى ركبتيه
مواجع عصر من الغوص والقهر
والسفر المستديم
إليّ بشاي بلا سكر
وشربة ماء
لقد هدّني الضغط و«التنك»
والسكر الأزلي اللعين
ويأتي خليل
بأكياس فاكهة للصغار
ويبقى يراقب في صمته المئذنة
وحول المراجيح
يلتف جمع من الصبية المتعبين
يؤرقهم هاجس المدرسة
وتسعدهم لحظة مؤنسة
وتبقى النساء
تروح، وتجيء
تراقب أطفالها في حذر
تجمع أشياءها
الماء، البسط، والأطعمة

لقد هبط الليل
هيا إلى البيت
لا ، سوف نبقى قليلا

***

هنا يتضح للمتأمـل أن البنية الروائية هي الفاعلة فيما يمكـن تسميته بـ «المروريات الشعرية» التـي هي ـ غالبـا ـ من صنع الشـاعر ووضعه معتمدا فيهـا على أسلوبية الروائي كما يمكـن أن نطلق عليهـا أيضا «البنيـة الإخباريـة» وقد يتـوهـم البعـض انهاإخبارية كإخبـاريات وسائل الإعلام ولكنها من الخطـورة بمكان لاعتمادها على الفاعلية الدراميـة ذات الحس الشعري فالشاعر هنا يسرد كالراوي تمامـا فلا بد له إذن من أن يتبايـن مع الرواية وفي الـوقت نفسه هو يحرص عليهـا ولن يذعن لـه ما يريد إلا بعد أن ينتج لـه شكلا من الأشكال الشاعرية الموائمة ينفـي عن شاعريته الإخبارية النثرية وتكثر في قصائده من هـذا النوع عبارات أخرى زمـانية استهلالا وحشوا أخذت نمـط السرد التاريخي مثل: جئنا معـا حين اشتعال الماء والصلصال في الزمن الوليد (ص٧) ومثل: هذا زمـان تستفيق به البشارة (ص٤٢)، وهذا زمان تسقط الأوثان فيه (ص٤٤)، وهذا زمان تستفيق به الحجارة (ص٤٥) ومثل:

من عصر سومر وهو متقد
حرف يضيء وصارم عضب
(ص٥٠)

ومثل:

من عهد بابل لم يزل قبس
بيديك حين سراجهم يخبو
(ص٥٢)

ومثل:

كان لابد ـ في البدء ـ من وحي صنعاء (ص٥٧).

وأهمية هذا البناء اللغوي تتضح فيما يلي:

١ـــ اثارة التشـويق بـالسرد القصصي وهذا مـن شأنـه الحد من سـآمة روح الغنـاء المهيمنة على القصيدة.

٢ـ توظيف اللغة الشعرية في خدمة الدراما ولا سيما في العبارات الختامية كقوله: يجيء ـ يطل محمولا على اسم الله ـ جل الله ـ يرقى سدّة المنبر (ص٢٢،ص٢٣).
ولعل من أروع هذه المرويات الشعرية التي تولدها الأنا الشاعرية بقصد الاشتعال والرمزية الفنية المبتكرة لما يكابده من رؤى السقوط الإنساني... قصيدته «تعويذة في زمن الاحتضار» ص١٥ التي يخاطب فيها الإنسان المقهور مناديا إياه بمعنيين معنويين وهما الغضب المهجر، والألق المغيب... يقول:

تفجّر
أيها الغضب المهجّر
أيها الألق المغيب
في المدى المخنوق
في الأفق المعفّر

***

تفجّر إن دود الأرض يزحف
والدّبا المسعور يحصد حقلك
الأخضر

***

تفجّر
قد ذبحت الآن
مرات ومرات
تراودك الذئاب السود
تسرق منك نبض الروح

***

تفجّر
إن أفعى الدار تخرج
من شقوق ... صخور جدرانك
ثقوب عريشك القشيّ
نسيج لحافك الهشيّ

لا شك في التفاف العديد من المتلقين حولي اذا ارتأيت أن هذه القصيدة من أبرز التجارب للشاعر بل ومن أخطرها ولا سيما إذا نظرنا إليها من خلال منظور مستوى البناء الفني واللغوي وأنا إذا تأملتها من منظور فن النقد التطبيقي لتحليل أسسها البنائية وخصوصيات بنيتها اللغوية فلسوف أنشر أمامي العشرات من الأوراق ولهذا أرجأتها الى زمن أرجو أن يوافيني وأنا حي أرزق.

(٥)

ولعل أهم ظاهرة من الظواهر اللغوية عند الشاعر هي منبعه القرآني الذي يمد النص بالكثير من التضمينات القرآنية في شكل تحويلي إلي جمل قرآنية تعتبر لبنة ذات دلالة عميقة بمنأى بعيد عن السطحية وليس ذلك إلا لارتباطها بقواعدها الأصلية القديمة التي قويت جذورها وتعمقت في أرض ذاكرة المتلقي فانظر إليه كيف يقول:

إنها قرية فاسقة كان يأتي لها رزقها رغدا حينها أمرت مترفيها ثم شاع بها الفسق، حل العذاب نعى ربُّها بغتة مفسديها ، إن هذه الصور ستوقظ لدى المتلق صوتا يردد: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (الآية ١٦ من سورة الإسراء). وصوت ثان يقول: ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾. (الآية ٣٤ من سورة العنكبوت). وثالثا يصيح: ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا﴾. (الآيتان ٨ , ٩ من سورة الطلاق).

ومن الأسطر الشاعرية ذات التضمينات القرآنية أيضا قوله:

جاء الطوفان
وتفجرت الأرض عيوناً
كالبركان
وجبالا من موج
يغمر كل الوديان
كنعان الجانح يلقى السيل وحيداً
يطفو حيناً

يرسب حيناً
وتمر الفلك
فتحمل من كل زوجين اثنين
القوم، الخيل، الغزلان،الجرذان، ال...
وتشق إلى الجودى سبيلا
ويغيب في الموج الطامي
كنعان
ربِّ إن ابني من أهلي
لا جبل يعصم من أمر الرحمن

اذن لا شك في أن مثل هـذه الأسطر تعيد للمتلقى أصـداء ما كان يتلو فيقـول من جديد: ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينـا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون، ويصنع الفلـك وكلما مر عليه مـلأ من قومـه سخروا منه، قـال إن تسخروا منا فـإنا نسخـر منكم كما تسخـرون، فسـوف تعلمون مـن يأتيـه عـذاب يخزيه ويحل عليـه عذاب مقيـم، حتى اذا جاء أمـرنا وفار التنـور قلنا احمل فيها مـن كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبـق عليه القول ومن آمن ومـا آمن معه إلا قليل، وقـال اركبوا فيها بسم اللـه مجراها ومـرساها، إن ربي لغفـور رحيم وهـي تجري بهم في موج كـالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، قال سآوي إلى جبل يعصمني مـن الماء، قال لا عاصم اليـوم من أمر الله إلا مـن رحم، وحال بينهما الموج، فكان من المغرقين، وقيل يا أرض ابلعـي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستـوت على الجودي وقيل بعداً للقـوم الظالمين، ونادى نـوح ربه فقال رب أن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمـل غير صالح فلا تَسْألْنِ ما ليس لـك به علم إني أعظك ان تكون من الجاهلين﴾. (الآيات من ٣٧ حتى ٤٦ من سورة هود).
وكـذلك نـرى أن التضمينـات القرآنيـة كثيرة ولكنها بـأوجـه مستحدثـة للتضمين ومتبايـنـة مع مفهوم التضمين المتعارف عليـه في البلاغة التقليـدية القديمة، فـانظر إليه كيف ضمّـن معنى قوله تعالى : ﴿يـوم نقول لجهنم هل امتلأت فتقـول هل من مزيد﴾ ومعنـى قوله تعالى: ﴿ما يلفظ مـن قول إلا لديه رقيب عتيـد﴾ هذه الأسطر

الشعرية ومن نفس القصيدة:

في فمي جرعة الماء تنمو تزيد
وعلى جانبي لظي النار يصرخ هل من مزيد
نحن والصخر كنا الوقود
نحن والصخر نبقى الوقود
جل محصي الوجود
ما تلفظ من كلمة أو تزيد
فعليها رقيب عتيد...

وعلى هذا تضمنت «قصيدة تسابيح» آيات قرآنية من أكثر من سورة بأسلوب تمثيلي تصويري عـام ، ديدنه الحساسية الجديـدة كبعد مهم من أبعـاد المعاصرة وسنكتفي بما أوجزناه من هذه الظاهرة الى أن يتاح المقام لنـدخل إلى رحاب الشاعر بمزيد من الإسهاب.



الخيل عند العرب

حين نشر الأستاذ محمد الصالح الإبراهيم كتابه عن الخيل عند العرب راح أكثر

من متسائل يقول: [لم اختص الخيل دون غيرها من الحيوانات الصحراوية والجبلية؟]وأنا نفسي قد ألح على هذا السؤال فقمت من فوري أفتش عن الخيل في الكتاب الكريم وفي دواوين العرب وقلت: [هذه أولى الفوائد التي يقدمها الكاتب المقتدر لمتلقيه الواعي إذ يدفعه لما يعود عليه بأجل الفوائد من خلال البحث والتنقيب فيقرأ بالإضافة إلى كتابه أكثر من كتاب فكأن الكاتب يقدم بكتاب واحد جملة من أمهات الكتب].

والمهم أني وجدت في الكتاب الكريم أن اللّه عز وجل قد ذكر الخيل في أكثر من موضع وخصها في سورة العاديات بقوله:

﴿والعَاديات ضَبْحاً فَالمُورِيَاتِ قَدحاً، فَالمُغِيرَاتِ صُبْحاً، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً، فَوَسَطنَ بِهِ جَمْعاً﴾.

وبهذا تكشفت لي أسباب اختيار كاتبنا لموضوع الخيل وبهذا أيضا أستطيع أن أقول إنه قد تبين المدخل إلى كتابه من خلال هذين المنظورين :١ــ مكانة الخيل عند العرب.

٢ــ التمازج الوجودي بين الفارس وفرسه.

عرض الكتاب :

أولا : من الناحية الشكلية

يقع الكتاب في ٢٠٠ صفحة باستثناء ٢٠ صفحة خصصها كاتبنا للعناوين والفهارس . والكتاب جيد في تغليفه وفي نوع ورقه وفي طباعته ويكاد يكون خاليا تماما من الأخطاء المطبعية وعيوب الطباعة .

ثانيا : من ناحية المضمون

تضمن الكتاب تدجين الخيل ومكانتها عند العرب وسخاء العربي ودور الخيل في الحرب وهذا ما يخص المنظور الأول، أما المنظور الثاني فإنه خصه بذكر الفوارس : عنتر بن شداد ، لبيد بن ربيعة، النابغة الجعدي، عتيبة بن الحارث بن شهاب ،

عامـر بن الطفيل ، بسطام بـن قيس ، عمرو بن معـدي يكرب ، ربيعة بـن مكرم ، السليك بن السلكـة ، زيـد الخيل ، قيس بـن عاصم . ثـم جاء بمقـال عن الفـرّار ليختم به كتابه .

تدجين الخيل :

الدجين لغويا هو من دجن با لمكان يدجن دجونا أو من أدجن وألف المكان يدجن تدجينـا بمعنى أقام في بيتـه أو في مكانه وبـه سميت دواجن البيوت وهي مـا ألف البيت من الشـاة وغيرها والـواحـدة داجنة وقـد دجنت تدجـن وأدجنت مثله أمـا التدجين هنـا فكاتبنا يقصد بـه الترويض، ذلك أن الخيل كانت في البرية كـالغزال نـافـرة شـاردة تجري بعشـوائيـة إذا استنفـرت وتسكـن إن هي آمنت في الأمـاكن المعشـوشبة ولهذا ذكـر أن المؤرخين العـرب قـد أجمعوا على أن أول مـن ركـب الخيل سيـدنا إسماعيل بن ابـراهيم عليهما السـلام وأنها كانـت قبل ذلك وحشا لا تطـاق وهذا يـؤكد أنها قبل هـذا كانت حيوانـات سائبة يصيـدها الإنسان ليـأكل لحمها وأقـوى شـاهد على ذلـك أن بعض الشعـوب لا سيما الهنغـارية حتـى يومنـا هـذا تستسيغ لحومها ولذلك فهي تعلفهـا كما تعلف الماشية والضأن كما أن أشهر محلات الجزارة ببودابسـت وبوخـارست ووارسو هي محلات لبيـع لحوم الخيل . ولا شك في أن العرب قـد ساروا على طـريقة إسماعيل عليـه السلام في تـدجين الخيل لكنهم لم يستمرئوا لحمها كما كانت تفعل الشعـوب الأخرى بل استعملوها في الحرب بعد أن وثقوا من أنها وسيلة ممتازة للكـرّ والفرّ ليس لها مثيل وانتقل ذلك منهم الى الحيثيين والميسنيين والهكسوس ومن ثم أصبح للخيل مكانتها العظمى .

مكانة الخيل عند العرب

لقد تمكنـت الخيل من وجدان العـربي واستولت على مشـاعره وأحـاسيسه فـأولاها منزلة عـالية لا تدانيها منزلة ففـازت با لمكان الأسمي في نفسه فلا غـرابة إذن إن هو خـاطبها كما يخاطب أعـز أبنائه أو إن تـألم لمرض حلّ بها أو إن حزن لهلاكهـا أو إن فرح إن هي أتته بنتـاجها فالعربي وفرسـه وحدة روحية متكاملة بشطـريها هي تعرفه تماما وهو يعبئهـا في كيانه تقيه في الحروب بجملتها كما أنه يقيهـا بجسمه ويبذل لها

في الجذب قوت عياله ويؤثرها في البرد الشديد بلحافه وشاهد ذلك حب ثعلبة بن عمرو الشيباني المفرط لفرسه ولا سيما حين يقول :

وان عـــريبـــاً وان ســـاءني أحـب حبيب وأدنــى قــريـب
ســأجعـل نفسي لــــه جنـــة بشـــاكي الســلاح نهيك أريب

إذن فـ «عريب» وهـو اسم فرس ثعلبة أحب حبيب وأدنى قريب وها هـو قد فضله باسم التفضيل «أحب» على كل الأحبة وقربه باسم التفضيل «أدنى» على كل ما هو منه قريب ولم يكتف ثعلبـة بذلك بل تراءى له من شدة وجده بـ «عريب» فرسه أن يـرقى إلى أسمى معـاني التضحية بجعـل بدنـه وهـو وعاء نفسـه (فـالأبدان أوعيـة النفوس) جنة لوقـاية فرسه وهذا يؤكد بقوة وحـدة الترابط بين منظوري مكانة الخيل لدى العربي والتمازج الوجودي بينه وبين فرسه .

جود العرب :

الكرم صفة عـربية والجود جود عن طبع وهذا عادي لا يسترعي الانتبـاه اما إذا كان الجود ينظر إليه اللحز المشح على أنه بمقابل فهذا هو مـايسترعى تحديق النظر على أنه مخالف للعادة وهذه البراعة من كاتبنـا تجعل المتلقى حريصا على ألا يفوته حرف من حروف كلمات المقـال فماذا فعل الأستاذ محمـد الصالح عنـدما تصدى للكتـابة عن السخـاء العـربى؟ كانـت غايتـه القصـوى وهو يسترجـع التراث هى ألا يمل متلقيه ممـا هو معاد وان يكـون تشويقه هـو حاصل محصل ولما لم يأت التشـويق من غير القص وهـو هنـا قـوة تبصير من الكـاتب النـاقـل فقد رأى كـاتبنـا أن يسـوق القصص نثرا وشعرا من أجل هـذه الغاية، أذكر منها قصة حميـد الأرقط مع ضيوفه: منى حميد بضيوف فـاستقبلهم كما يستقبلهم كل عربى رغم بخله وحرصـه على قوته وقوت عيـاله، وقـدم لهم ما عنـده من تمر وهـو يظن أنهم سيأكلون بعضـه ولكنهم التهموه التهـام طفيلى يترصد الموائد والـولائم وكوموا لـه نوى كثيرا ذلك على الـرغم من أنهم كانوا لايلفظون كل النوى بل كانـوا يزدردون بعضه مع نواه فماذا كان حال الرجل مع أولئك الذين لم يسمعوا عن الشبع إلا سماعا... قال فيهم بعدما رحلوا ما كشف تلك الحال من أبيات تقول

لا مرحبا بوجوه القوم إذ رحلوا كأنهم إذا أناخوا بى الشياطين
يسطرون لنا الأخبار إذ نزلوا وكل ماسطروا للفم تمكين
ولو تحررت حيث العصم عاقلة أو حيث تلحس عن أولادها العين
ظننت لاتنتهى عنا ضيافتهم حتى تكون ومبدانا البساتين
أرض تحم بها العقبان نابتة من حيث ينبت فى الصيف العراجين
باتوا وجلتنا الشهريز بينهم كأن أظفارهم فيها سكاكين
فأصبحوا والنوى عالى معرسهم وليس كل النوى يلقى المساكين

الخيل فى الحرب

قد ذكرنا أن العربى لم يول شيئا من الدواجن اهتمامه بقدر ما أولى به الخيل ذلك أنه فطن إلى أنها أهم عدة فى الحروب وأقوى قوة فيها ونذكر على سبيل المثال الحارث بن عباد الذى دفع ظلم تغلب وبغيها عنه وعن قومه بانتصاره عليهم فكيف انتصر الحارث وأرجح كفة بكر فى ميزان تلك الحرب الشعواء التى ذكرتها كل كتب التاريخ؟ لقد نظر الحارث إلى أهم عدة فى الحرب ألا وهى الخيل فتعهدها ورعاها ولم يتكاسل عن تمرينها والاطلاع على جميع شؤونها لتكمل رياضتها ويستوي مرانها لتصبح مهيأة للغزو وبذلك أثبت الحارث أنه قائد محنك لا يريد حرب تغلب إلا بعد أن تأخذ قبيلته الأهبة الكاملة والاستعداد التام ولما تم له ذلك صرح قائلا إن حرب وائل بدأت الآن وصرح مزهوا بـ «قصيدته» التي استهلها قائلا :

كل شىء مصيره للزوال غير ربى وصالح الأعمال

إلى أن قال كثائر يغلى من شدة الهيجان :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني ليس قولي يراد لكن فعالي
قربا مربط النعامة مني جد نوح النساء بالأعوال
قربا مربط النعامة مني شاب رأسي وانكرتني الغوالي

قــربــا مــربـط النعـــامـــة مني للسري والغـــــدو والاصـــــال
قــربــا مــربـط النعـــامـــة مني طـــال ليلى على الليـــالي الطـــوال
قــربــا مــربـط النعـــامـــة مني لاعتنـــاق الأبطـــال بـــالأبطـــال

وهنا نتسـاءل أكان الحارث بن عباد وهو الـذي بقي مع نحو مائة بيت ممن لم تفرسهم تلك الحرب الضروس بمستطيـع أن يرد على المهلهـل بهذه القصيدة لـولا ثقتـه في قـوة قومه واستعدادهم وحسن مران خيولهم ؟
لا ولكن الحارث بخبرة الواعـي المحنك قد أدرك أن تغلب قـد حاربت عشرين عـاما وليس من شك في أن خيولهم قد تعبت من كثـرة كرها وفرها ولم يتعهدوها بـالرعاية لأن نشوة النصر جعلتهم يغفلون عن ذلك وهنا بانت له الثغرة التي يستطيع من خلالها أن ينفذ إلى تغلب ليجدع أنوف شيوخها .
والآن اسأل كـاتبنـا ما هـو هـدفك من هـذا الاسترجـاع التراثي فيجيبني من خـلال الصفحات : اننـا في صراع أبدى مع اعداء العـروبة والإسـلام في كل مكان ولعلي بهذا الاسترجاع أكون قد كشفت لشبابنا أن الخيل كـانت عدة حرب الفارس العربي وهو لم يكن باستطاعته استخدامها والانتصار بها على خصومه الا بعد ان يصيروا إياها في وحدة متـلازمة فعلى كل مقاتل عـربي أن ينظر إلى سلاحـه على أنه أحد مكونـاته أو وسيلة من وسائل الحفاظ على وجوده .



التجربة البشرية في المجموعة الشعرية
فرار الحلم

الـدكتور عبـدالله العتيبي له قاموسه الخاص، وللغته الشعرية مذاق فريد، ومن ثـم كان ديـدني هو التـأني في قراءتـه بغرض الحصـول على أطول زمـن للاستمتـاع بكلمات وجدت طريقها سهلة إلى وجداني . وبهدف التعرف على « تجربته البشرية » ذلـك أنها محتواه البشري الـذي يحمـل انفعالاتـه الشعـرية في صـورتيهـا الخياليـة والموسيقيـة ، وهي التـي ستضيء لنـا الطريـق لتفهـم تجربته الشعـرية أي وجـوده الشعري .

إن الوجود الشعري لا يمكننـا التعرف عليه لدى أي شاعر إلا عـن طريق اللغة الشعريـة القائمة على جـوانب ثلاثة هـي والصورة الشعريـة بمكوناتها وأبعـادها ، الصورة الموسيقيـة بأنغـامها وإيقاعـاتها ، وأطرها التركيبيـة والتشكيلية، والتجـربة البشرية كموقف إنساني .

سأدع الكـلام عن الجانبين الأول والثاني إلى أن يتـاح لي الوقت إن كـان مقدرا لي ما أبتغى لاستكشاف الوجود الشعري لشاعرنا العتيبي بأسلوب استقصائي .

بوتقة الانفعالات

أما في هـذا المقال سوف أعول بشـيء من التركيز على الجانب الثـالـث (التجربة البشرية) مـن لغة العتيبي الشعـرية . قد يتساءل المتلقـي عن معنى هـذا المصطلح الجديد في لغـة النقد الحديـث فأخبره بـأنه ليـس جديـدا كل الجدة فقـد يجده عند بعـض النقاد تحت اسـم (التجربـة الـذاتية) التـي تفسر على أنها مضمون العمـل الشعري بما يحمل مـن زخم الأفكار والقضايا والمواقف وبما يسلطـه من أضواء على الرؤى الشعرية سواء أكانت هذه الـرؤى ينظر إليها من منظور خاص أم عام . جملة القول إنها بـوتقة الانفعـالات الشعريـة في صورتيهـا الخياليـة والموسيقية تصعـدها حرارة الذات إلى ذروتها في لحظة الإشباع .

إن اللغة الشعرية كما هو معروف عنها تتضمن وحدة التمازج بين تصاوير (الأنا)

والصور الشعرية والموسيقية وهذا التمازج هو دليلنا في النهاية إلى الاحساس بالتجربة الشعرية كعمل له طبيعته الفنية ويستمد تأثيره من طاقات اللغة الدلالية وانعكاساتها الإيحائية وقوتها التعبيرية وأجوائها الموسيقية .

ونحن إذا نظرنا إليها من منظور تاريخي فسوف نلحظ تباينا واضحا في مجالات تناولها لا لشيء سوى أن مفهوم الشعر يتباين وفقا للإطار الحضاري لكل عصر ، وسنجد أن الكلاسيكيين كان جل همهم هو التعبير عن الحياة العامة الظاهرة والاعتناء بتسجيل كل صغيرة وكبيرة فيها .. ولم يهتم سوى القليل منهم بالذات وخصوصية الحياة ولهم نماذج قليلة متناثرة هنا وهناك .. تلك القلة اعتبرها النقاد آنذاك من الخارجين على المفهوم الشعري للقصيدة العربية وحين أفل نجم الكلاسيكيين أضاء مكانه نجم المازني وشكري والعقاد حتى صالح جودت ومحمود حسن اسماعيل وأحمد رامي وعلي محمود طه وعرفوا بالرومانسيين لاعتنائهم بالشخصية الذاتية في التعبير عن مشاعرها وأحاسيسها الخاصة ووجدانها كبعد رئيسي يتحكم في سيكلوجيا الإنسان . لقد عاينوا الحياة وأدركوا أنها مشكلة في كل وجه من وجوهها فساعدهم ذلك على التعبير عن حرمان الحب وعزلة الفرد عن المجتمع ومن ثم امتلأت أشعارهم بالقلق الوجداني فخرجت عرائسها للبحث عن الأمان في أحضان الطبيعة .. وظل الرومانسيون يهيمنون على الذوق الشعري العربي إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية التي دهمت الرومانسيين وهم في حالات من الانتشاء برومانسيتهم الحالمة الهاربة من الواقع إلى شواطىء الأحلام الهادئة .

الذات والمجتمع

كانت حوادث الحرب العالمية الثانية هي دخل وحدات (تفكير) الواقع العربي وكان خرجها عبارة عن ثورات عديدة اجتماعية وسياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية اتحدت في وجه الشاعر ليكون على وعي أكثر بقضيته التي وهبها عمره ألا وهي قضية «الفن» ووجد الشاعر نفسه مدفوعا إلى الانغماس الشديد في واقع مجتمعه ليبهرنا بالعبارات الفنية التي هي حصيلة الدمج الإبداعي بين «الأنا» والمجتمع أي الوعي الذاتي والوعي الجماعي .

يقول الباحث «انطانيوس ميخائيل» في كتابه «دراسات في الشعر العربي الحديث» صفحة ١٠ : «بانتهاء الحرب الثانية حاول الشعر العربي الحديث أن يكون إيقاعا للبعث الثوري في شتى المجالات الإنسانية وتفجيرا لرموز حضارتها وإنسانيتها، وتجليا واضحا لحركة هذه الثورات وتناقضاتها ، واندفاعها الصارخ العنيف للتحقق والاستمرار».

ويقول الأستاذ «عصام محفوظ» في كتابه «دفتر الثقافة العربية الحديثة» ص ١٧ :

«بانتهاء الحرب العالمية الثانية أصبحت الصفة الرئيسية التي تلتصق بالشعر كونه شعرا ثوريا في شقيه السلبي والإيجابي . وأنه يحمل هما جماليا ، وهما حياتيا»..

ويقول الدكتور «السعيد الورقي» في كتابه «لغة الشعر العربي الحديث» ص ٢٦١ :

«بانتهاء الحرب الثانية تكشفت للشاعر موضوعات جديدة ضمن رؤيته الشعرية ، نتيجة لمعيشته المتعمقة لوجوده الإنساني الشامل ، حيث لم يعد يقنع بالوجود المحلي الذي ينتمي إليه انتماء مباشرا . فقد أدت ظروف الحرب وما نتج عنها ، وسهولة الاتصال بالعالم، وشيوع الحضارة والمعارف الإنسانية وسهولة تحصيلها إلى أن أصبح إنسان هذا العصر إنسانا لا يعي كل محتويات عصره فحسب ، بل كل المنجزات البشرية على مستوياتها الاجتماعية والتاريخية والعلمية والسياسية والفنية»..

من هذا نرى أن معايشة الشاعر لعصره ونتيجة لأصالته الشعرية فإنه يبذل المحاولة إثر المحاولة ليتفهم طبيعة هذا العصر وحضارته ومثله وتقاليد أفراده وقيمهم الفردية والأسرية والجماعية . وبالتالي لا نجد وجها لأية غرابة إن تعددت لديه وجوه الرؤية الشعرية فاشتملت على مساحات رحيبة في القصيدة العصرية مكنتها من أن تحقق استقلالها ، مرتكزة على ما أمدتها إياه أطر الحياة العربية الحديثة الفكرية والفنية والدينية والاجتماعية والسياسية .. هذه الأطر التي كانت نعم العون للشاعر العربي على اكتشاف ذاته العربية . الذات القادرة على الوقوف أمام نفسها وأمام ما يكتنفها من الأجواء العالمية. وهنا يبرز الموقف الاجتماعي كشكل من أشكال التجربة البشرية في القصيدة الحديثة مؤزرا بالموقف الذاتي المتمخض عن مصادمات حركات داخل الإنسان بالفعل الحركي لما يدور بخارجه. إن إنسان اليوم متحرر من العقل الجماعي ومن ثم يرى الطريق أمامه مفتوحا ليجد

ذاتــه، بيد أن هــذه الذات تعــاني من ذبـذبـات النظام الخارجـي واهتزازات القيـم والمعايير الكـلاسيكية فـأدى ذلك إلى تـوليد مشـاعر ذاتيـة كالحزن وعـدم الانتماء والحسية الجمالية تقف جنبا إلى جنب بحذاء الموقف الاجتماعي .

وهم الثراء

بعد هـذا العرض التـاريخي الموجز للتجـربة البشرية كبعـد ثالـث من أبعـاد اللغة الشعـرية استطيـع أن أصنف قصـائد مزار الحلـم لشاعـرنا الـدكتور العتيبـي على مستويين : المستوى الاجتماعي والمستوى الذاتي .
فبالأمـس القريب دهـم الكويت غـول مخيف سمي بسـوق المناخ زينت شيـاطينه للطيبين مـن الكادحين وهـم الثـراء في هالات مـن البرق الخلب فـانبرى شـاعرنـا يتساءل:

من أي ليل قد أتى؟ من أي دهليز تسرّب؟
من أي أفقٍ كالغبار أتى وفي فمنا ترسب ؟

ثم يبدأ محاصرته لهذا الوهم ليكشف دوره وفعله في النفوس قائلا :

سكن العيون فكان من
أحلامها أدنى وأقـربْ
أذكى سماديرَ النفوس
فطاف مشرقها وغـرّبْ
وعد الحيارى أنجما
في الليل والسُّمّارَ كوكـبْ
والعاجزين إرادةً
أقوى من الدنيا وأصلبْ
جعل الشموس قلائداً
لنسائهم والأفق ملعــب

ولم تغب عن شاعرنا طبيعة أمزجة معارفه وأهل وطنه فصورها كما يلي:

والناسَ في بلدي يهزهمُ الربيعُ إذا توَثّبْ

ثم ركز على الفاجعة بقوله:

والحالمون الطيبون أضاعهم ناب ومخلبْ

مذ جاءهم من صير الأحلام ممكنة «ليكسبْ»

رهن النجوم لكي ترى الأفلاكُ هينة كمطلبْ

ثم يذكر وقع المفاجأة الأليم بهذا التصوير :

يبست غصون الأمنيات بلحظة : وانسلّ ثعلب !!

قالوا ، وصاحوا،وادعوا ،والسرّ ـ لو يدرون ـ أعجب !!

ويستغرب من الذين توشحوا بالصمت إزاء تلك المأساة قائلا :

والصامتونَ المدركونَ، سكوتهم أدهى وأغرب !!

ثم يبدأ في الترنم حبا في وطنه :

وطني وقومي إن لي من حبكم زاداً ومشربْ

ويذرف دمعة رثاء على من استنام لزيف شياطين الـوهم الزائف مدفوعا إلى هلاكه بطمعه:

أبكـي على من ضيعته الريـح والطمـع المركـبْ

ثم يجد نفسه في وضع المتسائل المنكر سائلا قومه :

قولوا أجيبوا سادتي ، أرجوكم فالعقلُ متعــبْ

العيب في المرآة أم فينا ؟ يكاد العقل يذهــبْ

ويأتي بمأثورة فريدة تناسب مقام الكلام :

مَنْ حار ما بين السراب وبين ماء النهر يتعبْ !!

ثم يستنكر ثانية في تساؤله :

يا سادتي الأخيار هل ترضون آن الدار تصْلبْ ؟

من أجل مندفعين كالتيار كالقدر المُصَوَّبْ!!

من كـل من باع الكويـت وصار للدينـار يَنسَبْ !

لقتادة نبتـت هنا وعـروقُها في البُعـدِ تشربْ ؟

قولـوا أجيبوني ـ بحق الأرض ـــ كاد العقل يـذهـب !!

هل نحـز م الأوطان كـي يمضي بها نفر مـدرّبْ ؟
لـو يملكون لحوّلـوا الأوطـان «مُقْفَلَةً» ومكتَـبْ !!
ولضاربوا حتى ـ بعين الشمس ـ حيث الدفء يطلبْ

الخاطف والمخطوف

إلى هنا أتسـاءل : أكان لشـاعرنا العتيبـي أن يحقق مثل هـذه الرؤى الشعـرية إذا لم يكن متوخيا زيادة احتكاكه بمشكـلات الحياة التي يعيشها ومدركا لخطورة دوره في مواجهة هـذه المشكلات والتزامه بواقعـه وقضايا شعبه ؟ وقبل أن نجيـب عن هذا التساؤل لنقـرأ معا هذه البرقيـة : في شهر أبريـل ١٩٨٨ اختطف الإرهابيـون طائرة ركاب كـويتية هي (الجابـرية) وقتلوا اثنين مـن الركاب الأبـرياء ، واحتجزوا بـاقي الركاب مـدة عشرين يوما فحـركت هذه المأساة غير الإنسـانية شاعرنـا ليعقد هذه المقارنة بين الخاطف والمخطوف بفكر متحضر واقعي فقال :

يا عدو البشريّةْ.. يا صنيع الهمجيّةْ.
يا بقايا آدميٍّ
لفظته الآدميّةْ
خاطفي .. يا أيها المخطوف من كل مزيّةْ
يا أداة الموت .. يا طعنة حقد تتريةْ
لست حراً .. أنت مخطوف معي في «الجابرية»
إنما واقعنا مختلف
فأنا روحُ على القيد عصيه .. بينما أنت طليق
موثَقُ .. قيدت روحك أغلال شقيه
محنتي بعد قليل تنتهي..
أو أزفُّ الروح للمجد .. هديةْ
بينما أنت .. ستبقى حاملاً.. لعنةَ التاريخِ..
عارَ الأبديةْ..
خاطفي .. يا أيها المخطوف من دنيا البريةْ
أنت يا مسكين لا تعرفني..
فأنا زهرة الشوك ونيران الحميةْ..

فالكويتيون في يوم الفدى..
يُرخصون الروح للدار الأبيّة..
خاطفي يا أيها المخطوف من دنيا البرية
أنا أدري مصدر الداءِ .. وللقول بقيه..!!
قال الشاعر هذا الكلام ليطلعنا على أن هذا الموقف الجدلي ، لم يتمخض إلا عن موقف اجتماعي أخذ شكل الثورة المتحمسة الانفعالية على أعداء الإنسانية .

الذاتي والموضوعي

ثم ننتقل إلى موقف آخر نستطيع أن نطلق عليه الموقف الذاتي لأنه في الواقع تعبير عن الذات أكثر من كونه تعبيراً عن الواقع رغم مايتضمنه من وجهات نظر خاصة للذات من الوجود الواقعي . إن هذا الجليّ ساطع في شعر العتيبي فلنقرأ له مثلاً قصيدة صنعاء .. هذه القصيدة وإن كانت من شعر المناسبات [قيلت هذه القصيدة أثناء الأسبوع الثقافي الكويتي الذي أقيم في اليمن] إلا أنها تمثل ذاته المتسامية المحبة التي تتخذ من أي معادل موضوعي مجالا لبث الشحنة العاطفية الذاتية:

صنعاء والحب والتاريخ والسفرُ
وألفُ ألفِ زمان فيك يختصر
جئناك نلتمس الرجعيّ لصورتنا
لماتعدّدت الأشكال والصورُ
نشكو «لعيبان» دهرًا راح يقذفنا
في كل منحدر يتلوه منحدر
مضيّعون وفينا كل هادية
وظامئون وفينا النهر والمطر
نفرّ من ذاتنا في كل آونة
وإن فقدنا الخُطى صحنا هو القدر

والنماذج كثيرة ، والتجربة البشرية تمد القصائد بالعديد من الرؤى الشعرية مؤكدة

أن شاعـرنا العتيبـي يجمع بين أصـالة الخلق وأصـالة الشعـر وبين فيض العـاطفة وفيض الموهبة ، وبين شمـم الإنسان ووداعة الشاعـر الفنان والكلام عن مثـل هذا الشاعر ليـس له نهاية فهو لم ينظم شعـرا فحسب وإنما يجسد ملكة ويبلـور طاقة ، ويوقـع على وتر الألحان ، حيـاة شعرية مضيئـة بنفسه وشعـوره لما لها من سمات تهز الوجدان وتثير العواطف وتفتح أمام المتلقي أبواب الإلهام .



سليمان الشطي .. وفنه القصصي المتميز
تنويعات حول
رجل من الرف العالي

● يحتل الدكتور سليمان الشطي مقاما محمودا في مجال التحولات الحديثة التي هيمنت ولم تزل على هذا العصر الذي صح أن ننعته عن جدارة قائلين : «إنه عصر التحديث في كل شيء»

والشطي بمساره الثقافي الطليعي قد أضاء مقامه بالعديد من الأضواء في حقل المعرفة الأدبية في الكويت وبهذا استطاع أن يعايش التطور العام للبنية الثقافية وقد أختير ليرأس هيئة تحرير «مجلة البيان» مجلة رابطة أدباء الكويت وأمام كل هذا قد وجد نفسه بصدد كتابات نقدية وترجمات كثيرة متميزة وانفتاح مميز على حقول الدرس والبحوث الجامعية فماذا يفعل إزاء هذا الكلام «الكم والكيف»؟

لقد وجد الفرصة متاحة ليضع بصمات في غاية الأهمية في التكوين الفكري والأدبي للمثقفين من أكاديميين وغيرهم في الوقت الذي لم ينس فيه الأجيال الناشئة..

أضف إلى هذا أنه استطاع أن يحدث تغيرات جذرية تتفاعل مع العصر بهدف مواكبته ولم يغب عن باله أنه «إطار سيرورة الثقافة في الكويت الحديثة».. إطار يتطلب آفاقا ليست من النوع المألوف ومن ثم فقد خرج إلينا بإبداعه بحداثة جديدة في أدب القصة القصيرة، فوجدنا بين أيدينا مجموعة تضمنت أربع قصص هي :

* خدر من مساحة وهمية « القصة الأولى ٣٠ صفحة».
* رجل من الرف العالي «القصة الثانية ٣٢ صفحة».
* وجهان في عتمة «القصة الثالثة ٤٤ صفحة».
* صوت الليل «القصة الرابعة ٩ صفحات».

وقد تميزت بأنها طالت بعض الشيء لتوهم بأنها تصنيف روائي من النوع القصير، ولكن الحقيقة غير ذلك فالقصص الأربع عناصرها الفنية متكاملة تماما وإن كانت ثمة ملاحظات فمرد ذلك هو قلم المبدع ذاته الذي شف عن تواجد

مـاهو نـادر وشـائق، ألا وهو اجتماع قـدرتين في كل الشخـوص المعنيـة بالصيغـة الدرامية وهما الإبداع القصصي وفي الـوقت نفسه نقده، ومن هنا يصـح لنا أن نطلق على الشطي : «المبدع الناقد» أو «الناقد المبدع».

أولى القصص

بعد هـذه الإلمامة السريعة وغير المكثفة أدخـل إلى تجربة الشطي القصصيـة المتميزة بالجديد والغريب فى أسلوب القص، وأبدأ بأولى القصص وهي:

* خدر من مساحة وهمية:

بطل هذه القصة يشم رائحة بخور الموتى الراحلين بأسلوب الاغتيال .. تتجسد الرائحة فتصير قاتـلا يعيش فى خواء البطل بنفس ملامـح البطل ذاته .. وعلى هذا نستطيع أن نقول إن البطـل يرصد قاتله فى مـرآة نفسه، ودالة ذلك هو مـا استهل به الشطى قصته قائلا :

«ها هو اسم قاتلي..» (ص ٩)

وكان الاسم عبارة عن الحروف الأولى لاسم البطل ذاته «عبدالحميد»

وبهذا الاستهلال تبـدأ القصة ويمسـك الشطى كشـاف الإضاءة ويسلطـه على البطل فنـراه ويده تـرتعش.. تخفـق فى العثور على مـا تريـده من الأشيـاء.. وأخيرا يتمكن من فك «كرمشة» الورقة المدون فيهـا اسم القاتل عبدالحميد... وتزداد كمية الضوء على فم البطل وهو يقول: «أقول لكم هاهو اسم قاتلي»

رائحة منذرة بـالموت تنبعث من المجهول فتشهـق أخت عبدالحميد عنـدما تقرأ الاسم الأول لأخيها فى الـورقة المكرمشة فـالقصة تدور فى دائرة الحلم أو الكـابوس وقد أراد الشطى أن ينبهنا إلى ذلك حين قال واصفا تلك الشخصية:

« كان مفخرة لهم، هو الاسـم الأبرز والأشهر كم مرة أطلت صـورته من صحيفة أو تليفزيون، واسمه الذى يتردد بين الأفواه بفخر.. » (ص١١).

مفكر أو مبدع

صحيح أن العـائشين فى دوائر الأحلام والكـوابيس هـم المسلوبـون من كينـونة واقعهم فى لحظات استغراقـاتهم وهذه دالة من الشطى ترينا بطلـه فهو إما أن يكون

«مفكرا أو مبـدعا وجـدانيا» وفعلا قـد بدا لنا أن الشخصيـة المرتكزة عليهـا أضواء كاتبنا هى مفكـر ومؤرخ معني بالثوارت وإصلاح الأمـة.. ولقد اعتراه وقت كان فى حالـة استرجاع تراثـى فقد شهد مقتل عمـر بن الخطاب رضـى الله عنه والطـريقة التى اغتيل بها الإمام علي واطلـع على حوادث الاغتيال التى يزخر بها التـاريخ ومن هنا استطاعت أن تسكن صاحبنا هواجس اغتياله وأنه هو الذى سيغتال نفسه بعد ما بـوغت بـالإحباط البـاعث على العـدم، فسبل الإصـلاح وعرة وعسيرة وليسـت ميسرة لنوعية كنوعيته.. إذن فهو لايصلـح للعمل الثوري بهدف الإصلاح وعلى هذا برزت له هذه المقولة : «لم أستطع أن أفكر إذن فأنا غير موجود » .

في هـذه اللحظـة دوَّن تفكيره في الانتحـار على أنه اغتيـال وأن قـاتلـه يعيـش بـداخله ويحمـل نفـس اسمـه فى الورقـة «المكـرمشـة» التى أهمل الطبيـب النفسي وجودها وانشغل بمسودات المريـض فزمن كتابة هذه الورقة هـو نفس الزمن الذى ازدوجت فيه شخصية البطل.

لقد استغل الشطى إغفال الطبيب سبب العلة لينهي قصته قائلا :

«لقد سقطت كلمات مؤرخ فاشل.. عليـك أن تنقذ نفسك ياعبدالحميد..»(ص ٣٨)

معطيا للمتلقـي حرية التفكير ليضـع مايـراه ضروريا لإنهاء القصة وهـذا هو سر فنية القصة القصيرة .

الجمع والإبراز

القصة الثانية كما أسلفنا معنونة باسـم رجل من الرف العالى ولقد استخدم الشطى فى هـذه القصة أسلـوب الجمع بين العنـاصر المختلفـة والإبراز لكيفيـة تجعل مـن المألوف غريبا ومن الغـريب مألوفا فشخصية بطل القصة وهـو :« عبدالله الداير » شخصية مـرموقـة ومألـوفة جدا تعـرف كيف تعشـق وتهوى وكيف تـؤثر فى أسماع الآخريـن فاذا بـدت هذه الشخصية معلقـة بميزان خشبى بـوضع منحـن والرأس يتدلى إلى أسفل يطلب مـن أمه عشر روبيات وينذرها إذا هى لم تفعـل فإنه سيرمى بنفسه، فهذا وضـع غير مألوف بل غريـب كل الغرابة وهذه الطـريقة تتطلب كثيرا من «الشطـى» أن يدخـل مختبره ليخرج منه بـأفكار جـديدة، صحيـح أن شخصية

عبدالله الداير تشابهت مع شخصية «أبى زيد السروجي» بطل مقامات الحريري فى قليل من الوجوه لكنها تباينت معها فى العديد الذى نفى عنه أن يكون قد استلهمها تراثيا أو اقتبسها فالشخصية ممعنة فى الغرابة والأدهى من ذلك أن أمه هي الأخرى مفرطة فى الغرابة.. هذه الأم سيموت ابنها أمام عينيها ورغم ذلك فانها تماطله فى مده بالعشر روبيات.

وواضح أن المألوف من أي أم هو حنانها والغريب قسوتها.. وقد أراد الشطى أن يريح ذهن متلقيه بايراد علة تلك القساوة حين قال: «وانحدر الوعيد والتهديد عند الأم إلى أولى درجات الاستعطاف وهذه حالة نادرة عند تلك الأم الحديدية التى توزع أبناؤها فكانوا أنماطا متفاوته أعلاها قمة الذكاء والتشوق إلى الأعلى وأدناها بله يضرب به المثل الضاحك والساخط أيضا وتتدرج البقية بين هذين وكانت عاطفتها أقوى عند الأدنى وقسوتها ظاهرة على الأعلى ولما كان عبدالله الداير وسطا جاءت عاطفتها إزاءه كذلك..» (ص٤٤)

أبعاد المشكلة

وبمسايرة الشطى فى تطوحاته فى بقية صفحات هذه القصة فقد نلاحظ عليه أنه يمارس العصف الذهنى بأسلوب فردي على النحو التالي:

* أولاً يرسم لنفسه أبعاد المشكلة ويسبر غور كل بعد بالأسلوب التحليلي ليتأكد من انطوائها على عناصرها الأولية.
* ثانيا يقوم بعملية التبويب كجدول أعمال يعرضه على بنات أفكاره في جلسة العصف الذهني التي سيجلسها مع نفسه.
* ثالثا يتحرر من المشكلة باسترخائه من أجل تصور الحلول.
* رابعا يقيم نتاجه على عدة أسس منها الابتكار في جلسة ثانية ان لم تكن جاءت بها الجلسة الأولى النظر الى النتاج من منظور الأفكار والمعلومات.

ومن هنا نلتمس له العذر في كبر مساحة النص ونشيد بروعة أدائه في التكثيف الحدثي.. ذلك أنه قد استخدم طريقة ابداعية فردية وليس عن طريقة إبداعية جماعية.

السرد الروائي

ولن نـأخذ في الاعتبار «نظـرية القيمة الثابتـة» التي تسند إلى كـل شكل تعبيري «قيمـة جمالية» محددة وسنكتفـي بنظريـة المقابـلات القائمـة على رصد التـوازن في الأسلوب مـن خلال الإدراك المتمثل والعـلامات اللغـوية لطريقتـه المنعكسة وغير المنعكسة، ففـي القصصة الثالثـة وهي المعنونـة بـ «وجهان في عتمـة» يستمر السرد الروائي حتى يصل الى هذه الفقرة :

«مع الفجـر تدب الحيـاة في بيت الفقير أولا تحسها بـا لماء المنهمر مـن الميزاب.. لكل مـن الغنى والفقير ميزاب يعتلى جدار المنـزل.. متقابلان.. يكادان يتـلامسان ولكن ميـزاب الفقير مهشم منهـك استوى دون طلاء ولا زركشـة تفيض الميـاه من جوانبـه قبل أن تصل إلى المصـب ومع ذلك كان يسيـل مدرارا لا يكاد يتـوقف إلا ليبتدىء.. أما الآخر فقد كان ميزابه جديـدا نافرا يطلى كل عام ويقوّم حتى يستوي ومع ذلك لا يجاري الأول وغلب عليه الجفاف والسكون» (ص ٧٩)

هذه الفقرة من قصـة «وجهان في عتمة» مثل جيد للإدراك المتمثـل وهو نوع من الأساليب الأدبيـة يعبر فيه المؤلف عن إدراكات الشخصية للعـالم الخارجي بشكل مباشر كما تحدث في الوعي بدلا من أن يصف هو هذا العالم.

وبـاستخدام هـذا الأسلوب يتجنـب المؤلف التقـرير غير المبـاشر للإدراكـات فيستطيع أن يصـوغ بالألفاظ الإدراكـات دون أن ينطوي على أن الشخصيـة نفسها قد صاغتهـا.. ولما كانت الإدراكات مـن مشكلات المحاكاة فـانها ليست لفظية أو تحتوي حتى على إمكانية كونها لفظية.

الإقتباس المباشر

وهذا الاعتبار له أهميتـه عندما نترجمه إلى مشكلة لغوية فـالإدراكات لا يمكن أن تقتبس اقتباسا مباشرا من الوعي والدليل على ذلك مايلي:

«مع الفجر تدب الحياة الحقيقية في بيت الفقير أولا..»

هذه الجملة يمكن أن تفسر ككلام عن إدراك ولكنها ليست نقلا لهذا الإدراك.

«تحسها بالماء المنهمر من الميزاب»
أما هذه الجملة فهي تقرير عن إدراك.
«ميزاب الغني لا يجاري ميزاب الفقير رغم الاعتناء بتجديده ونظافته فغلب عليه الجفاف والسكون»
هنا نرى أن عبارة (فغلب عليه الجفاف والسكون) قد ساعدت على الإدراك المتمثل، وأنا أتفق مع أحد النقاد في قوله بخصوص هذا الأسلوب النقدي :
«الكلام الذي هو لفظي يحدث بشكل طبيعي في صورة اقتباس مباشر.. أما الفكر فبرغم كونه غير لفظي فهو يبدو ممكنا مثل الكلام فعندما ينظر إليه على أنه كلام أو تواصل ذاتي أو مونولوج داخلي قابلا للحدوث في شكل اقتباس مباشر ويمكن أيضاً أن نعبر عن الفكر في أسلوب الكلام والفكر المتمثل بدرجة كبيرة من الصفة المحاكية.»
أتفق معه لأن كلا من الكلام والفكر يمكن تقريرهما بشكل غير مباشر في جمل «أن» ومن أجل تمثل إدراكات الشخصية فإن اللغة تقدم فى شكلها المحاكى المحدود اختيارات أقل من تلك التى تقدمها فى تمثل كلام الشخصية وفكرها ، ففى فقرة السرد الروائى السالفة، أجاد كاتبنا الشطى أيما إجادة فى هذا النوع من الأسلوب .. فالمتلقى سوف يدرك أن العطاء المشترك عامر فى فراش الفقير وقفز فى فراش الغنى، رغم التفوق فى الجمال والمال ودالة ذلك هي رمزية الميزاب .. ثم إن الشطي عقب بفقرة كشفت عن أنه ألمعي يجيد فن القص حين أردف الفقرة التي خبرنا بها الإدراك المتمثل بهذه السردية الرائعة :

(والجارتان صديقتان «يقصد زوجة الغني وزوجة الفقير» تجمع بينهما تحية الصباح .. وهي صداقة الفقيرة للغنية .. وتسقط الحواجز حينما يكون الحديث عن لحظات الليل المتوترة حينئذ تقترب الرؤوس ويكثر التغاضب مع الرغبة الجياشة .. وتداري زوج الغني أشياء كثيرة ولكنها تثار حينما ترى الماء الممزوج بالطين والقطرات .. نشع باق بين خروم محززة ، يستبد بها شوق حينما ترى الكتفين العريضتين تلجان داخل البيت وتلجأ إلى الحديث الفكه ، فوحده يفتح هذا الموضوع المحبب ..)
هنا وضحت أبعاد الصورة ونطق المشهد بما كان مخفيا وراء الستور .. فماذا أقول

وبماذا أعقب وأنا يبهرني إبداع فيسلمني إلى إبداع آخر .. لن أقول ولن أعقب بشيء بل سأدخل في صمت ناطق إلى آخر قصص المجموعة منقبا عن العلامات اللغوية للإدراك المتمثل .

صوت الليل

يقول بحث عن اللغة والفن ، والذي انفردت بنشره مجلة النقد الأدبي «فصول» المصرية في عددها الأول خريف ١٩٨٤ ص ١٤٣ :

«يكشف الإدراك المتمثل عن كثير من العلامات اللغوية لأسلوب الكلام والفكر المتمثل فضمير الغائب بمثابة إشارة مشتركة بينهما إلى وعي الشخصية ولما كانت الشخصية لا تظهر عادة في إدراكها الخاص للعالم الخارجي فإن ضمائر الغائب البسيطة «هو هي» لا تتردد كثيرا ، على حين أن ضمائر الملكية تتردد كثيرا ويحتمل أن يرد ضمير الغائب جمعا دون أن يعني ذلك أن أصحاب الوعي كلهم يدركون شيئا واحدا في الوقت نفسه وربما كان الوعي عاما أو حتى متخيلا» .

فإذا طبقنا هذا الكلام على نص صوت الليل للشطي سنلاحظ ما يلي :

١ـ استهل القصة بفعل ماض «انتفض» والفاعل مستتر تقديره هو .

٢ـ عطف بفعل ماض ثان «ألقى» ص١٢٣ ، والفاعل هو هو .

٣ـ عطف بفعل ماض ثالث «كان» ص١٢٣ ، ونفس اسمها المعبر عنه بالضمير هو .

٤ـ زامن بين الماضي والحاضر في هذه العبارة :

«كان في أول لحظات خدر النوم عندما اخترق أذنه صوت جرس الباب يهشم صمت الليل ..» ص١٢٣

وفي هذه العبارة :

«إذن هو الإزعاج الذي حاول أن يتجنبه حينما اختار صوتا رقيقا مداعبا ، ولكن ها هي ردة الفعل القوية تثير كل جزء في بدنه» ص١٢٣

وعلى حد قول الناقد نجد التزامن بين علامات الزمن الماضي والزمن الحاضر يحدث في الإدراك المتمثل برغم أنه ربما لا يحدث بالدرجة نفسها في أسلوب الكلام والفكر المتمثل .. كما أنه من المهم في الإدراك المتمثل أن يرد الزمن الماضي مع

ظروف مكـانية معينـة تحدد الوصـف القصصي في عالم وعـي الشخصية .. ويظهـر الماضي المستمر وهو شكل خاص بالتزامـن في أمثلة الإدراك المتمثل وهو ما لحظناه في العبارة :«اخترق أذنه صوت جرس الباب يهشم صمت الليل».

مكونات الإدراك

ويـؤكد المهتمـون بالنقـد القصصي الحديـث أن وجود شكـل الفعل المستمـر ضروري لكي يعد نصا من النصوص ضمن أسلوب الإدراك المتمثل ، وفي رأيهم أن هذا الفعل يساعد على وضع الإنسان في وسط العملية الإدراكية .

ومن مكونات الإدراك المتمثل أيضا هو ما نستشفه مما يلي:

في ص١٢٣ ، ص١٢٤ نقرأ للشطي ما يلي :

«أحدهم سيمـوت .. دب في ركبتيه تيار خوف سـار .. أمسك بالسماعة ــ من .. من أنت .. ماذا تريد ؟ صوت جريح متألم يسري من أذنه إلى كل أطراف جسده ـ افتحوا البـاب سأموت .. آه .. يا نـاس .. آه وسنان في عالم خدر بين حلـم اليقظة وأول النوم ودغدغته .. سرح وراء الصور التي يستحضرهـا من لحظات يومه يضيف إليها الكثير .. يجملهـا بخيال ممتد حتـى يتلاشى مـع السبات .. صورة تحيـط به : المجلس الكبير حيث الأصوات المتقاطعة والتـي لا يسيطر عليها إلا المنطق الحكم .. حديث لا ينتهـي حول وسائل الخدمة الاجتماعية .. يمغنط الأنظـار إليه، حينئذ تبرز قامته»

واضح أن كثيرا من الجمل غير قابـل للتضمين لكنها تتسم بتركيباتها التعبيرية، وعلى هذا نـرى أن جمل الإدراك المتمثل يمكن أن تتكـون من خيوط مـن التركيبات المتعلقة ببعضهـا البعض أو التعبيرات التـي تؤدي أحيـانا الى ذروة وهـذا ما بـرهن عليه الشطي في ص ١٢٧ بهذه الفقرة :

«تضخم ذهنه بأفكار تلح عليه ، حقا هي مكيدة .. فعلا .. لماذا ؟.. لا .. هذه محاولة لاختطافـه ، تذكر جهوده الطويلـة ، مواقفه التي تميـل أحيانا إلى الحدة حين تفرضها حمى الجموع المتراصة .. هجم عليه خـاطر لموقف قديم حينما تصلب وقال كلاما خطراً مع شكه ببعض الحاضرين إنها عيـون ناقلة أخبار .. رغم هذا فقد تخلى

عن حذره دفعته حماسة متوقدة فتجاوز أكثر المتعاقلين».

تعبيرات دفعت الى الذروة وهـي هنا هي حد تجاوز أكثر المتعـاقلين رغـم وجود العيون الناقلة للأخبار .

لقد سلـك الشطي في مجموعتـه مسلك كاتـرين مـانسفيلد وجيمس جـويس وجـويس كـاري واورانس وفيرجينيـا وولـف .. وتميز قلمـه بسماته الشرقيـة كما أن الإدراك المتمثل عنصر مهـم جدا في الأساليب الـروائية وهؤلاء الـذين ذكرناهـم ما هـم إلا صناع روايـة ورغم ذلـك استحدثـه الدكتـور سليمان الشطي فـزخرت بـه قصصه .



لون قصصي جديد في مجموعة الخيول الجامحة

لا جدال في أن المنهج الشكلي، هو أعظم المناهج النقدية تأثيراً في عصرنا الحالي، ولا مبالغة إذا نحن قلنا إنه قد استولى على حماس الغالبية من نقادنا القياديين، وهو يدل في الحقيقة على أنه المنهج الذي يغلب التفكير فيه على الناقد ـ بصورة طبيعية ـ حين يتكلم عن النقد المعاصر ...

إن العمل الأدبي يعيش بطريقة خاصة به، وبنوعية حياة خاصة، وبمفهوم عن الوحدة العضوية مقتضاه أن «الكل» عبارة عن اشتمال متناسق لكل الأجزاء ومن ثم فهو ينادي ـ بالضرورة ـ بمدخل نقدي يعنى بفاعلية العناصر المختلفة وهي تعمل مع بعضها البعض لتشكل معنى إجمالياً متوحداً .. وفيما يتصل بهذا يمكن أن نضع تأملات «يحيى الربيعان» أمام منظوري العرض واللغة كعنصرين ضروريين من عناصر البناء.

تأملات أدبية

قد سجلت هذه التأملات تطورا ملحوظاً فيما يختص بطريقة العرض تختلف بعض الاختلاف عن طريقة عرض القصص القصيرة، وقد أدرك كاتبنا هذا الذي نلحظه عليه وبنفس طريقة إدراكنا حيث قال في مقدمة كتابه: «هذه الأحواض المتواضعة التي لا تتجاوز مساحة القصة القصيرة تتماثل معها كذلك في نكهتها وإن لم تكن هي المقصودة في حد ذاتها، بل هي تأملات أدبية ...»

هذا التطور يتمركز في أن التأملات قد نفضت عن نفسها أهم سمة لها وهي حشدها للوقائع التي يلزمها السرد السريع اللاهث، واتبعت أسلوبية جديدة في العرض تعتمد على إلقاء الضوء على مرحلية الحدث، أو تقسيمه إلى مراحل مما يقرّبها بصورة مباشرة إلى حقل الفن القصصي متنائياً بها عن ميدان اللقطات الصحفية.. فعلينا إذن على ضوء ملاحظاتنا هذه أن نقرأ بعض النماذج لنتعرف على منهجية العرض: ففي أولى التأملات وهي بعنوان «مجتمع العشش» يستهلها كاتبنا هكذا: «وسيم، ولكنه لا يستحم إلا نادراً، يعمل صباحاً ويعمل مساءً ... ويعمل

ليلاً إذا واتته الفرصة .. ظاهرة يطلق عليها العارفون بأمور النفس، الانسحاب أو الهروب، أو الانتحار البطيء.
يعود إلى عشته الصغيرة .. ويرمي جسده المنهار على السرير القذر .. فينام .. دون أن يشعر بمن حوله .. العشة لها جدران من طوب وجدران من صفيح .. أما السقف فمن صفيح الاسبست الذي يتحول في الشتاء إلى ميدان تتعارك فوقه وتتصارخ القطط .. أو تتزاوج وتتكاثر تحت أكداس العفش القديم المتآكل .

تقع العشة إلى جوار القصر .. ومع انبلاج كل فجر يستيقظ الرجل على أصوات المشاحنات في العشة المجاورة للقصر، الكل يسمع الشجار الذي تتخلله الشتائم .. ولكنهم لا يستغربون .. حيث أصبح الشجار ظاهرة مألوفة في مجتمع العشش ... الزوج يتشاجر مع زوجته في الصباح أو في المساء .. والمرأة تتشاجر مع جاراتها خلال النهار، والأطفال يتشاجرون، ويتشاجون فتسيل الدماء.

هناك آلاف الأسباب والهموم والإحباطات التي ينفسون عنها بالشجار .. أو يسقطونها على بعضهم البعض فتزيد من تأجج مشاعر السخط في نفوس الناقمين. الزوج يعود مكدوداً من العمل، ويخرج مشتت البال من شجار العشة .. والزوجة تخرج مثقلة بأعباء البيت والأطفال .. وتعود مسحوقة نفسياً وعصبياً من جراء بعض الجولات الحرة أو المرة، سمّها كما شئت.

ولا فرق بين القاطنين في جوف هذه العشش والقاطنين فوقها إلا في الصفاء والنعيم الذي ترفل به القطط ولا يلقاه الآدميون».

ما معنى الزواج؟

وفي تأمله في حياة النساء اللائي بلا عائل قدم يحيى الربيعان الشخصية المعنية بتأمله على هذا النحو :

«قذفت بالمجلة التي كانت تتصفحها ... ورجعت بظهرها إلى الكرسي ثم قامت متثاقلة تمشي بخطى وئيدة مكبلة وسط الشقة الضيقة .. والألم يعصرها ويحز في نفسها .. ثم عادت وارتمت فوق أول مقعد أمامها واحتضنت وجهها الناعم

الجميل بكفيها وانخرطت في بكاء مرير .

ما معنى الزواج؟ .. وما معنى أن يترك الرجل زوجته للذئاب ... ويسافر؟ أي مخلوق مجرد من المشاعر والأحاسيس هذا الزوج؟ أهذا هو الحلم الذي وعدتني به، عش جميل وحياة هنيئة؟ ألهذا الحد يصل بك حبك لنفسك؟

ما العمل الذي يستدعي وجودك بعيداً وحدك دوني؟ .. وما نفع المستقبل إن لم أكن أنا جزء منه؟ ..

وأي نجاح هذا الذي تظفر به دون قلب وابتسامة إلى جانبك؟

هكذا بكل بساطة تحزم حقائبك... وتصفع كياني وأنوثتي وتسافر وحدك.. متعللاً بضرورات العمل؟

تقول لي تصرفي.. أنت موظفة هنا.. أما وظيفتي فتستدعي الإقامة هناك.. أتتركني وحدي وتذهب بعيداً هناك.. وتقول:

مئات النساء يعملن هنا بلا عائل !!

ألا تخشى على لحمي من وحوش الظلام؟

تدعي بأنك سوف تحضر كلما أمكن ذلك.

وهل تغني الزيارات الخاطفة لشابة مثلي؟..

وهل تخفف من الفراغ والوحدة والحاجة القاسية؟

هل يكفي مرتبي الضئيل لأن أعيش بدون عائل؟

تعرفين ظروفي وطبيعة عملي وطموحي.. كما أن نجاحي نجاح لك.

وهل فكرت في العيون التي ستحاصر زوجتك الوحيدة.. وهل تعرف أن سمعتي هي سمعتك وأن سقوطي هو سقوط لكل طموحاتك؟

إنني أثق بك.. فلا تبالغي كثيراً في الأمر .

وأنا لا أثق فيما تقول.. إنه موت الضمير ودفن الرأس في الرمال.

لقد تراكمت عليّ الديون من بعدك.. فمرتبي لا يكفي لشراء فستان..وبحثت عن عمل إضافي.. لكن أتدري ما نتيجة بحث سيدة عن عمل بإلحاح؟ أتدري ما الثمن الذي تدفعه امرأة جميلة؟

إنني أهنئك على طموحك... وأزيدك طمأنينة بأن زوجتك دفعت الثمن مرة بعد مرة أيها الزوج المغادر إلى بلاد الغربة.

آه.. لم يبق إلا أن تدفع الثمن أنت..

مسحت دموعها بأطراف غلالتها، ونهضت بعصبية وتحدٍ، وراحت تكتب وتكتب..

والجهات المسؤولة تحقق..

والزوجة تطلب الطلاق».

الكاتب وشخصياته

هذان النصان يوضحان أن طريقة عرض المتأمل قد توافقت مع منهج الحدث، وبتأملنا نحن فإننا نلحظ على السرد التأملي أنه قد طرأ عليه تطور ملحوظ من حيث اجتهاد صاحب التأملات في إخفاء نفسه وعدم تذكيرنا بحضوره وهذا هو عين ما يطالب به النقاد كتاب القصة والمؤلفين الروائيين ليرفعوا أيديهم عن شخوصهم المعنية بتصعيد الحدث.. صحيح أن السرد التأملي في مجتمع العشش قد اعتمد على استهلال من جهة كاتبنا بقوله: «وسيم، ولكنه لا يستحم إلا نادراً... يعمل صباحاً... ويعمل مساءً.. ويعمل ليلاً إذا واتته الفرصة...».

لكنه لم يطلعنا بصورة مباشرة على الشخصية المركزية المعنية بتأمله.. بيد أن السرد التأملي في تأملات أخريات يتجه مباشرة نحو الشخصية المركزية دون اعتماد على أي استهلال أو تمهيد من جهة كاتبنا «فنساء بلا عائل» تبدأ بالتركيز على شخصية البطلة الضائعة (التي تركها زوجها وسافر) منذ الكلمة الأولى: «قذفت بالمجلة التي كانت تتصفحها... ورجعت بظهرها إلى الكرسي... ».

فالسرد في الحالتين ــ أي في حالة اللجوء إلى استهلال، وفي حالة التخلي عنه ـ إنما بين لنا أن الكاتب قد أخفى نفسه وراء شخوصه، فبدت كما لو كانت تتحرك بذاتية واستقلال..

ومن ناحية أخرى فإن النصين اللذين عرضناهما على الرغم من قلة سطورهما

إلا أنهما يشيران إلى أن السرد التأملي قد ملك إمكانية مرحلية نتيجة تقسيم الحدث إلى مراحل مترابطة مما أتاح لكاتبنا فرصة التأني أمام كل جزئية بقصد تحليلها، واستظهار دلالتها، وعقد صلة بين الجزئيات المتباينة بهدف تجسيد التأمل في صورته الكلية، ففي النص الأول تريث كاتبنا أمام مجتمع العشش، وبدأ بسرد تأملاته في تأن ملحوظ فلم يقتصر على الإشارة إلى قذارة مجتمع العشش بل ربط بينه وبين قذارة الشخصية المركزية رغم ما وصفها به من الوسامة، وسلّط الضوء على معاناته حيث وفّى هذه النقاط حقها ثم قارن بينها وبين الصفاء والنعيم الذي ترفل به القطط ولا يلقاه الآدميون.

وبالمثل رأينا أن سرد الكاتب لجزئيات «نساء بلا عائل» قد جنح أيضاً إلى التريث إذ وجدناه يقف بنا على أزمة الزوجة التي انزلقت، وبحث أسباب معاناتها، وعلة رفضها الحفاظ على سمعة وشرف الزوج الذي تركها وحيدة في مواجهة ذئاب الظلام.. وهنا يتضح أن التأني في سرد التأملات قد أتاح لكاتبنا الانزلاق إلى داخل الشخصية ليصف شعورها... ولهذا أستطيع أن أقول إن تأملات الربيعان ما هي إلا تجريب جديد في حقل القصة القصيرة.. أقرّ النقاد في مصر ما هو مثله لقصاص مصري هو «محمد المخزنجي» في مجموعته القصصية «رشق السكين».

ثانيا: لغة التأملات

إن من يقرأ في تأملات الربيعان فسوف يلحظ أنها لم يشع فيها من حيث الجملة والعبارة الوصفية أية سلبيات لغوية.. تلك التي تصيب اللغة مثل: «الأكلشيهات المحفوظة» و «السجع اللفظي» و «السجع الذهني» و «النغمة الخطابية» كما أنها قد خلت من المفردات العامية هذا لو استثنينا كلمة «طايح» على بالرغم من قاموسيتها ولكن تناول الألسنة لها أكسبها صفة العامية.. تلك الكلمة نطقت بها زوجة الرجل الذي أحيل إلى التقاعد فلم يجد له وسيلة لإشغال وقت فراغه إلا في مساعدة زوجه في شؤونها المنزلية.. أو في الجلوس إلى صديقاتها ومجاراتهن في

أحاديثهن الأنثوية مما أدى بالزوجة إلى أن تردد بينها وبين نفسها: [آه، على حظي «الطايح»] ومع ذلك هذه الكلمة العامية استدعتها الضرورة الفنّية للنص.

ويلحظ أيضا على النصوص خلّوها من الألفاظ الأجنبية التي يلجأ إليها بعض الكتّاب بضرورة وبغير ضرورة... ولهذا يمكننا القول بإزاء ما نلاحظه من توظيف الصياغة القادرة على التعبير عن الحالات النفسية، المتباينة للشخوص القصصية المرصودة من منظور تأملات كاتبنا.. إنه قد عمد إلى البحث والتنقيب عن الألفاظ الدالّة، والتراكيب الموحية، لوعيه بضرورة هذا البحث... ذلك أنه مهما كان الشيء الذي يجد الكاتب نفسه بصدد التعبير عنه فإن هناك كلمة واحدة تعبّر عنه وفعلاً واحداً يوحي به وصفة واحدة تحدده، ولهذا يترتب على الكاتب أن يطيل البحث والتنقيب حتى يعثر على هذه الكلمة وذاك الفعل وتلك الصفة.. بالضبط كما نوه عن ذلك الدكتور الباحث «محمد يوسف نجم» في كتابه «فن القصة» صفحة ١١٤.

ثالثا: الحوار

يلحظ المتلقي أن الربيعان قد عني بتوظيف الحوار كعنصر فعال في أغلب تأملاته، لكن بوعي وذكاء ودراية، فلم يثبت أن شكل العبارة الحوارية قد اتسم بسلبية «التطويل» المخلّ بوحدة الحدث مما نشأ عنه وضوح المعنى الكلّي للموقف التأملي على نحو ما وجدناه في أغلب التأملات.. كما يلحظ أنه استخدم الفصحى لغة للتخاطب والتحاور معتمداً على عنصرين مهمين جداً من عناصر الحوار هما: طاقة العبارة الحوارية، واللغة التي تجري على ألسنة الشخصيات المختلفة، فعلى الرغم من الفصحى التي سادت المجموعة بأكملها إلا أن المتلقي يستطيع تبين درجة الشخصية الاجتماعية ومستواها الثقافي من طريقة التحاور ـ ولنقرأ على سبيل المثال هذا الحوار في ص ٨٩، ٩٠:

ـ يا أبو فلان.. أين وصل ابنك في دراسته؟

ويجيب بكل اعتزاز:

ـ في الجامعة..

ولأنه لا يعرف اسم الجامعة التي يدرس بها ولده.. يقول:

ـ جامعة أمريكا...

فعلى ضوء هـذا يمكننا القـول إن الربيعـان لم يعمد إلى إنطـاق شخصياتـه على اختلاف مستـوياتها التي عـرضنا لها والتي لم يسمـح ضيق المقام بـأن نشير إليها.. باللغة الفصحى إلا لأنه يدرك تماماً أنه يعمـل في نطاق الواقعية الفنية ويعي ما هو المعنـى الحقيقـي للعمـل الأدبي أو الفنـي وهـا نحـن رأينـا أن فصحـى حـوار الشخصيـات لم يكـن فيهـا تغـريـب ولا غمـوض، ولا إخـلال يعـوق تصـاعـد الأحداث.. كما أنها نقية تمامـاً من شوائب التفلسف التي من شـأنها إيقاع التصادم بين المتلقي وكاتبه..

إذن فعلى المناهضين لاستخدام الفصحى في الحوارات الشخصية أن يتريثوا قبل إعـلان هجومهـم متأملين الفصحـى وهي تستخـدم الاستخدام الأمثـل من قبـل الربيعان الذي استطاع أن يبرز درجات الشخصيات المتحاورة الاجتماعية والثقافية بدون اللجوء إلى العامية.



مشكلة إغتراب المرأة في المجموعة القصصية لا يصلح الحب

في دنيا الأساطير القديمة أسطورتان مشهورتان هما:

أسطورة (ميداس) الذي تفانى في عشق الذهب فتوسل الى الساحرة شاكيا إليها عشقه فأجابته فصار كل ما يلمسه ذهبا حتى ابنته الوحيدة حيث قبلها قبلة أبوية حانية تحولت هي الأخرى إلى تمثال من الذهب.. ففجع.. وهكذا قضى على الملك المسكين عشقه للذهب فوقع في حيرة أبدية..

وأسطورة «سيزيف» المسكين الذي قضت عليه الآلهة بالشقاء الأبدي حين حكمت عليه بأن يرفع كتلة صخرية ضخمة من أقسى الجلاميد على كتفه ويصعد بها إلى إحدى القمم الشاهقة، فإذا أوشك على بلوغها انحدرت الكتلة إلى أسفل لتستقر عند قدم الجبل فيهبط ثانية ليرفعها من جديد وهكذا دواليك!..

واليوم طلعت علينا القاصة «ليلى العثمان» بأسطورة رمزية جديدة تضمنتها مجموعتها القصصية «لايصلح للحب».. وهي أسطورة «محيسن الأعور» الذي حكم عليه عشقه لـ «أمونة» بأن يأكل الزجاج بعد طحنه وعجنه بالتمر ففعل، وهكذا قضي عليه بالموت الأبدي..

فهل كتبت الحياة على الإنسان العربي أن يقيد نفسه بنفسه تحت اسم العرف والتقاليد، الأمر الذي دفع (محيسن) إلى أن يحجم عن التصريح بحبه لفاتنته (أمونة) فمات.. النتيجة الحتمية هي موت محيسن !! ومن يدري ماذا سيكون حال أمونة عندما تعلم بموته من أجلها!!..

كان الكويتي كأي إنسان آخر يخاف عل أثناه ولا يتغافل عنها لحظة فقديما كان يتركها ويرحل إلى الغوص والسفر. وحديثا أصبح من الضروري إرسالها إلى الخارج لتستنير - في أرض الله الواسعة - بالعلم، فيجب عليه إنشاؤها تنشئة لا تشذ عن الأصول والتقاليد فصار كل كويتي يودع أنثاه المسافرة للحصول على المزيد من

العلم يبتهل إلى اللّه أن يحفظها وفي المطار يدس في جيبها أو في حقيبتها آية الكرسي والآيات السبع المنجيات ، ويذكرها بالأصول والتقاليد وهذا ماترفضه كاتبتنا القصصية « ليلى العثمان» وتتمرد عليه قائلة:(حرروني وأنزعوا عني قيدي فأنا مسافرة أحمل معي وعيي وعقلي وثقافتي لأتدرج في ساحة الحياة) والحرية التي تنشدها القاصة وهي من حقها وكل صاحب فكر وقلم يقف معها مسانداً لها فى تمردها هى الحب الجميل أسمى شيء خلقه الله، فالله أحب نبيه فجعله منه قاب قوسين أو أدنى وبالحب جعل الله الزهرة تبتسم لشعاع الشمس ..و..و.. الخ. أعلنت ليلى عن تمردها واضحا وسافرا في قصة (دقات المطر) ثاني قصص المجموعة.. بطلة القصة وهي شخصيتها المحورية ، مسافرة لطلب العلم في باريس .. أخوها يودعها في المطار .. يدور بينهما هذا الحوار :

ـ ذهبت لمزيد من العلوم .. عيشي هناك ـ استفيدي من وقتك . واستمتعي بقدر ما تسمح لك به الحدود المرسومة . تذكري دائما أننا شرقيون !!.. عرب.. ولنا عادات وتقاليد ..

ـ وإن أحببت فرنسيا فماذا أفعل ؟هل أتزوجه ؟ ..

ـ لا أتصور أنك ترتكبين حماقة كهذه ، أنت تعرفين الأصول .. وتقاليدنا .. وتصيح الفتاة ..

القيد نفسه .. يلفه أخي ساخنا حول عنقي .. حتي وأنا أحمل وعيي وعقلي وثقافتي لأتدرج في ساحة الحياة، أبحث عن موطىء أكبر يتسع لكل الأحلام والأماني والأمل في أن يخفق قلبي مرة واحدة بحرية .. بشيء اسمه الحب .. كلمة لا يعترفون بها وكثيرا ما يقفون في وجهها كالسد المنيع ، واستمرت القصة بكل طاقاتها على هذا النسق .. تحاول البطلة فيها أن تتملص من الروح السوداوية ، والمرارة النفسية والنظرة العابسة إلى وجودها الأنثوي .. وبفلسفة غريبة اتخذت من إيقاع زخات المطر على مساحة من الزجاج إيذانا ببدء التمرد فتقرر خوض تجربة حب مع الشاب العربي الذي قابلها في أحد مقاهي باريس معلنة في عزم وإصرار :

« قررت من اللحظة أن أمسح كل شيء باضوه في ذاكرتي لا أريده أن يفقس فيها ويتزايد . قررت ان افتح فجوة يطل منها النور ليضيء كل الظلمة التي تقيد الخطوة إلى المستقبل . وأكملت الطريق .. وصوت المطر .. يدق في قلبي فرحاً ».

إن ليلى العثمان استطاعت أن تمتلك ناصيـة العناصر الفنية في فنها القصصي عن جدارة وبذكـاء خارق ، وقد بدا هذا جلياً عنـدما التقطت موروثا شعبيـا من كتاب (أيوب حسين) [مع ذكرياتنا الكويتية] . جاء في قصتها « الكبسة » ثالث قصص المجموعة ، فتصورته عفنا ران طويلاً على عقـول الساذجات وهي تريد مسحه لأنه يعوق مسيرتها التقدمية نحو تحرير الأنثى الخليجية مـن القيود الرجعية التي مازالت موروثا بغيضا مـن عصور التخلف يتوارى تحت اسم الأصول والتقـاليد والعرف .. ففي قصة (الكبسـة) والكبسة هي أن تفاجىء نفسـاء وأنت بوضع قد يـؤثر عليها وعلى مولـودها .. وهـذه الظاهـرة موجـودة في كثير من البـلاد الأخرى فـالنفساء لا تسمح لأحد أن يدخل عليها وبيده لحم من عند الجزار، أو يكون حالقا ذقنه حديثا أو لأنثى لم تتطهـر بعد من عـادتها الشهرية، خـوفا على حليب ثـديها وعلى احتقان وجه المولود.. هذا الموروث مهيمن على ساحة المنطقة بأكملها وله أصول قديمة ... (عائشة) هي الشخصيـة المحورية في قصة الكبسة عاقـر منذ تسع سنوات.. تحب زوجها « خالـد » جدا وخالد يحبها بجنون بـدليل أنه ظل صابرا على عـدم الذرية تسع سنوات ورغم ذلك فإن عائشة خـائفة والوساوس تجتاحها .. هل سيطلقها ؟ هل سيأتي إليهـا بضرة ؟.. هل ..؟.. إن حماتها أم خالد تشعـر بها وبلهفة ابنها على الـولد فماذا تفعـل ؟ اصطحبتهـا لزيـارة «أم الشيبة » وأم الشيبـة امـرأة معروفـة لم تقصدها واحدة وخاب أملها .. دلتهما أم الشيبـة على «أم دهاش » الدلالة البدوية التي رحبـت بفكرة زيارة عائشـة لامرأة نفساء بشرط أن تكون المرأة غير معـروفة لا لعائشـة ولا لخالتها « أم خالـد » لأن إلقاء الضرر على غير المعارف حـلال أما على المعارف فهـو عين الحرام .. من أين استقـت ليلى هذا القـول المأثور .. لا أدري .. المهم أن أم دهـاش جاءت بعـد ذلك بأيـام واصطحبت عائشـة إلى نفساء تـدعى فاطمة غير معـروفة لـ (عائشة) بقصـد زيارتها حسب الاتفاق وكـان هذا المشهد كما جاء على لسان القـاصة : دخلت أم دهاش .. تتبعهـا عائشة بخطى مـرتجفة .. رحبت أم فاطمة بالدلالة بحرارة تعودتها .. ومدت أطراف أصابعها إلى عائشة بينما انطلق سؤال من عينيها لأم دهاش « من هذه ؟ »..
وضحت أم دهاش حيث فهمت سر النظرة :

قـابلتهـا في السوق .. تبحـث عني .. لها عنـدي حـاجات .. طلبـت منهـا أن

ترافقني لأطمئن عليكم مادمت قريبة من البيت ..

واستدارت لعائشة لتؤكد :

ـ حبيبة .. وبنت ناس :

رحبت أم فاطمة ببنت الناس :

ـ ياهلا .. ومرحبا .. تفضلا ..

ولكن شكـا لأح من عينيها واشتعـل وسواس حـارق في فؤادها .. فتعـوذت من الشيطان ثلاثا ..

ثم تمت كبسـة الوالدة وتقاطـر الماء من شعر عائشـة كما أوصتها الدلالة بـذلك على الوالدة وسحبت شهيقا عميقا .. بعد ذلك مات المولود ..

إن القارىء المتعجـل سيفهم أن المولود قـد مات من كبسـة عائشة لأمـه بيد أن القارىء المتمهل سيفطن إلى أن القاصة قد ألقـت الضوء على حالة المولود الصحية قبل زيـارة الدلالة برفقـة عائشة في هـذا المشهد : تحسست فاطمـة رأس الطفل.. دافئا لا يـزال .. ارتعش قلبهـا .. سمت بـالله ثلاثـا .. غطت سريـره بطرحـة من الشـاش الأبيض.. واستلقـت على ظهرهـا . وفي نفسها أمنيـة كبيرة أن يحفظ اللـه طفلها ..

مـن الغرفـة تفوح رائحـة « النفاس » حلبـة .. رشاد .. و « حسـو » وجسد لـن يستحـم قبل الأربعين .. رائحـة حموضة تفـوح من ثـوب فاطمـة التي در حليـب صدرها فبللـه.. أمها تروح وتجيء في الغرفة تـرتب المطارح والمسانـد.. قبل أن يأتي الزوار.. والمهنئون حين أكملت عملها التفتت إلى ابنتها:

ـ هل أرضعت الطفل؟ ..

ـ حاولت للمرة الثالثة ولم يقبل.

ـ ألا تزال حرارته مرتفعة؟! ..

ـ نعم.. وقد أفرغ كل الحليب الذي رضعه هذا الفجر..

إذن فليسقط اعتقاد الكبسة من قاموس ومعتقدات ليلى العثمان الشعبية وعائشة لن تجنـي من وراء كبستهـا لفاطمـة غير مزيـد من العقـم.. هكذا أرادت القـاصة لتـوضح لنـا أن مـوروث المعتقدات الشعبيـة ما هـو إلا إرث عصـور متخلفة كـان يخنقها الجهل والمفاهيم الخاطئة..

ما مـن أحد ينكـر أن الفن اختيـار من الواقـع لا بد أن تكـون له دلالـة. ورؤية الفنـان هي التـي تحكم هـذا الاختيار، وعلى الفنـان الحق أن يعبر دائما عن التحـام مشكلة الذات بمشكلـة المجتمع ومشكلة الإنسان في سعيه الـدائم نحو الأفضل، وعليـه أيضا سبر غـور الحقائق الفـردية ليرى مـا وراءهـا من صـور يوميـة شاملـة للصراع الاجتماعي، وهو في ذلك كله وفي كثير سواه مطالب بأن تكون رؤيته للواقع واضحـة وعميقة وذات أبعـاد متكاملـة لا يشـوبها نقص أو خلـل. فإلى أي مـدى استطاعت ليلى العثمان أن تنهض برسالـة الأديب على النحو الذي نرتضيه؟ إن ليلى تركز انتبـاهها على « مشكلة الحب» وأنها بذلـك التركيز تدل على موقـف محدد من الواقع. وهـو موقف مملوء بـالخصومة والحب يصدر عـن رؤية عميقة شاملـة وتحلم بعالم بغير قيود، الأنثـى فيه تستطيع أن تحب فتاها بغير إحراج وفتـاها لا يتكتم على حبـه إياهـا فتكـون النتيجـة أنها تفلت مـن يـده لرجـل آخـر لا تحبـه وهنا تكمـن المشكلة.. الـزوج مفروض على الأنثـى بحكم التقاليـد وحقها في رفضـه مسلوب.. يسلبه الأب الصـارم.. الأب الخاضع لتقـاليد المجتمع الصـارمة. أو تكـون النتيجة انفجارا مـروعا لعاطفة بـاتت لا تطيق الكبـت فعجزت عن امتلاك زمـامها في أول خلوة حب فأثمر اللقاء بين العاشقين عن نمـو بذرة حرام لا تجنيها عند يناعها غير يد الموت كما جاء في قصة «ويبقى الصوت حياً» ..

ـ القصة الـرابعة في المجموعة ـ تلـك القصة التي أبدعـت فيها ليلى أيما إبداع.. بناء متشـابك مع المضمون في وحـدة موضوعية شبيهـة بوحدة القصيدة.. فـالقصة هي مسارات أحداث محورية وثـانوية، الثانوية تخدم المحورية بفنيـة صانع متمكن من صنعته.. الحدث الأساسي فيها هو البطلة الخاطئـة التي غسلت عارها بموتها.. دخلت به ليلى على قارئها بثمانية أسطر تقول فيها:

«قلبي على طوير خضر
شالوه من ايدي
ما شافته العين لا
وما رضعه دويدي

عيني عماها ملحها
والنار على خديدي
اصرخ وجمر في الحشا..
وينه ثرى وليدي.. »

فهي تمهل قارئها في القراءة ليشهد الروعة الإبداعية في صوت يئن بهذه الأبيات ليروع حيا بأكمله رجالا ونساء وأطفالاً. الكل خائف على شرفه.. انتشر الهلع والخوف.. ثم انكشف اللثام عن ثمرة الخطيئة والصوت الحزين ما زال يندب المولود المسكين..إنهم ما زالوا يفتشون فيما بينهم عن صاحبة العار. والأبيات الحزينة ما زالت تسري في الأفئدة والقلوب وفي النهاية رأوها عند المكان الذي أخذوا منه ثمرة السفاح وواروها التراب.. لم تجد وليدها في المكان.. روعت القلوب بنحيبها.. ثم لعبت القاصة المبدعة بالشعاع الأخير وأجادت اللعب به حين سلطته على ضحية حبها وتحدت في الحضور من يستطيع أن يتبين ملامحها ويتعرف عليها من هي؟ وتنتمي إلى أية عائلة من العائلات؟..

ولها الحق كل الحق في ذلك فمن يستطيع أن يرى خوفه مجسدا ويتعرف عليه.. المرأة الخاطئة انكفأت على ثرى مولودها المسفوح تشمه ولم يستطع أي من الحضور أن يرى وجهها ثم ماتت متشحة.. بعارها وبسرها.. هل اكتفت كاتبتنا القصصية بذلك؟ لا.. إن مهمة ليلى هي الكشف عن الجاني الحقيقي المتستر وراء الطهر والعفاف والتقوى والدين فقالت: «.. كان النهار قد شعشع.. جدائل باهتة بلون الوجوه.. ونواح النسوة.. يتقاطر.. كل تقف في مكانها تغطي صفحة الوجه (ببوشية) سوداء رطبة. لم تعد واحدة تبحث بين الفوج عن شبر تطل منه لتعرف وجه المرأة. كان الحزن قد تدفق إلى صدورهن ..فهات فيها الفضول ..ماذا يهم أن يعرف وجه المرأة؟ كان الغضب يلازم أنات البكاء.. يود لو يصرخ في وجوه الرجال المتحلقين.. أن يشير بالأصابع. أن ينفلت كما تنفلت أنات المرأة : وكما انفلتت جدائلها السوداء تتعفر بتراب الأرض.. بملحها الذي رش على جثة الطفل.. وكانت العيون تتساءل: أين ذلك الرجل الذي شاركها الفعل وزرع البذرة؟؟ لماذا لا يأتي كما جاءت!؟ .. ولا يبكي كما بكت.. ويتمزق كما تمزقت جوارحها؟؟ لكن الغضب لا يخرج.. والصرخة حبيسة تخشى الانفلات لترتاح من

ثقل سنوات الصمت..»..

***

على القاص والقاصة أن يولّدا دراما مأساوية من الأمور الصغيرة، هكذا يقول النقاد.. وأنهما لا يفعلان ذلك بفعل السحر أو التنويم المغناطيسي، وإنما يفعلانه لأنهما يستطيعان أن يكشفا بهذه الأمور الصغيرة اللثام عن حقائق قد نتغافل عنها أو نتجاهلها أو تمر على أذهاننا وأمام أعيننا دون أن نلتفت لها أو نعيرها جانبا من انتباهنا.إن أخطر المشكلات وأعقدها على حسب ما أعتقد هي التي تأصلت في حياتنا حتى صارت من أساسيات هذه الحياة.. وما من مشكلة أخطر من التي بعثت البنت الخليجية كي تغترب عن وطنها في وطنها وتحيا بين أبيها وإخوتها منطوية بأفكارها شريدة غريبة.. ولقد ألف الأب رؤية ابنته وهي زائغة بعينيها تشطح بفكرها فيما يجذرها هو منه بالضبط كما يألف منظراً يراه كل يوم فيحسه قريبا منه وهو في الحقيقة قريب.. وهنا يأتي دور القصاص المبدع فيلتقط لحظة من لحظات هذه المشكلة. أو صورة من صورها، ويحللها بطريقته الخاصة ويصوغها صياغة فنية ــ فمن المؤكد أنه سيكشف بها لا عن طبيعة اللحظة وحدها، بل عن طبيعة المشكلة التي تنتمي إليها هذه اللحظة، إذن فمهمته رفع ستار الألفة وأغطية العادة كي يتمكن من تعرية الأشياء وتمييزها، فنتعرف نحن على حقيقة المشكلة وأبعادها ونفطن إلى حجمها، وهنا ندرك أنها مأساة وليست أمرا تافها لا ننتبه إليه أو يستحق منا الاهتمام، وهذا هو عين ما فعلته ليلى العثمان في كل قصص مجموعتها «لا يصلح للحب» ومجموعاتها الأربع السابقة: امرأة في إناء ــ الرحيل ـ في الليل تأتي العيون ـ الحب له صور..

إن من قرأ باكورة انتاجها القصصي قال عنها إنها واعدة. وها هي قد حققت ما فاق نبوءته وصارت رائدة إذ أخذت على عاتقها الرقي بالقصة القصيرة في الكويت والصعود بها فساهمت بذلك في إشراق وجه الثقافة الأدبية الكويتية بأكبر نصيب..



الوصايا في الأدب العربي القديم

مما لا شك فيه أن ثنائية «العقل والنقل» ثنائية إشكالية بالمعنى الحاد لمفهوم الإشكالية ونظرا لأهميتها في استرجاع التراث فانها استعيدت في الفكر العربي الحديث منذ بدايات القرن التاسع عشر واليوم تطلع علينا الدكتورة سهام الفريح بإنارة جديدة لجوانب مهمة في تاريخية الفكر المعني بفلسفة الاخلاق والاجتماع تشمل ثلاثة عصور ابتداء من العصر الجاهلي ثم الإسلامي والأموي في تصنيف واحد، وانتهاء بالعصر العباسي وضمت تلك الثنائية «ثنائية العقل والنقل» في كتاب سمته «الوصايا في الأدب العربي القديم» والدكتورة سهام من أبرز الأقلام في التحرك الادبي في الكويت أضف إلى ذلك اهتماماتها الاكاديمية حيث إنها تعمل أستاذة في كلية الآداب بجامعة الكويت.

والكتاب من اصدارات «مكتبة المعلا بالكويت في طبعته الأولى لعام ١٩٨٨ م ويقع في ١٧١ صفحة من القطع الكبير هذا باستثناء ٢٢ صفحة خصصتها للعناوين والمقدمة ولإثبات المصادر والمراجع والفهرس.

الورق ابيض فاخر والغلاف ملون مصقول ومطرّز بوصية لقمان لابنه كما جاء في القرآن الكريم، والكتابة المطبعية مقروءة وخالية تماما من الأخطاء. يتضمن الكتاب استرجاعا تراثيا يطلعنا على كيف كان العرب القدامى يهتمون بالوصية اهتماما كبيراً لما لها من دلالات نفسية واجتماعية وفكرية وينظرون اليها على انها ثمرة فكرية يكتسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية وكاتبتنا بهذا تستعرض تاريخية العقل في الفكر الفلسفي المعني بالأخلاق وعلم الاجتماع بهدف إثارة هذه الجوانب الفكرية للباحثين والدارسين في عصور ما قبل وبعد الإسلام حتى العصر العباسي دون أن تنسى أو تتغافل عن ذكر أقدم وصية في تاريخ الإنسانية ألا وهي وصية آدم عليه السلام لبنيه.. تلك الوصية التي قال لهم فيها « يابني إن الله منزل على أهل الارض عذابا فليكن جسدي معكم في المغارة، حتى إذا هبطتم بي فابعثوا بي وادفنوني بأرض الشام».

بيد أنها تنصلت من اعتبار تلك الوصية من الوثائق الصحيحة متذرعة لذلك بسببين في منتهي الاهمية أولهما:أنها تعتبر القرآن الكريم دستورها الأول وهو لم يثبت

مثل ذلك القـول. وثانيهما ان البعد الزمنـي بيننا وبين الآمم البائدة بعـدٌ شاسع، كما ان لغة ولهجات تلـك الأمم مجهولة تماما بـالنسبة لأي باحث أو دارس ومـن ثم فقد نقلت الوصيةـ وصية ادّم ـ لتؤكد الحرص على الإيصـاء من جـانب، والحرص على التنفيذ مهما صادف الموصى إليه من مشاق ومعاناة.

ثم بـدأت فى تصنيف وصايـا العصر الجاهلى تصنيفا تنازليـا مبتدئه بوصـايا حكماء العـرب ومعمـريهم مبرزة « أكثـم بـن صيفـي » أشهـر حكـام العـرب في الجاهليـة وحكمائهم وخطبائهم وقـد قيل إن الآية التي تقول:(ومن يخرج مـن بيته مهاجرا إلى الله ورسـوله ثم يدركـه الموت فقد وقع أجـره على الله) قد نـزلت فيه ومن تبعـه من اصحابه.

ولمن يطلب المزيد عـن أكثم بن صيفي فهـو كما جاء في « سرح العيون » لابن نبـاتة المصري تحقيق « محمدأبو الفضل ابراهيم» أكثـم بن صيفي بن رياح التميمي،أشهر حكام العرب في الجاهلية وحكمائهم وخطبائهـم، أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ،وراسله، واختلف في إسلامه، والأكثـر على صحته حكى الهجيمي: أن أكثم بـن صيفي لما بلغـه مبعث النبـي صلى الله عليـه وسلم قـال لقومـه: احملوني إليـه، فقالـوا: لا والله، وأنت سـن من أسنان العرب ، قـال: فليأته أحـدكم فليسألـه عن ربّه، وعما أمـره به. فـأتى حبيش بـم أكثم فقـال: يا محمد ، بـم بعثك ربـك؟ قال: بعثني بأن أكسر الأوثـان، قال : بم أمرك؟ قـال : ﴿إن الله يأمر بـالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكـر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾.. فانصرف حبيش إلى أبيه، فأخبره بكلام رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، وتلا عليه الآية الشريفة، فجعل يرددها ويقول:إن هذا لـرب كريم ، يأمر بمحاسن الاخلاق، وينهى عـن مساوئهـا، ثم جمع إليه بنـي تميم وقام فيهـم خطيبا وعمـره إذ ذاك مائة وتسعون سنة وفي ذلك يقول:

وإن امـرأ قـد عـاش تسعين حجـة   إلي مـائة لم يسـأم العيش جـاهـل

ثم قال : يا بنـي تميم ، لا تحضروا إليَّ سفيها ،فإن السفيه يوهن من فـوقه ويثبِّط من دونه ـ أي يهلكه ـ ولا خير فيمن لا عقل له .إن ابني شاهد هذا الرجل الذي بمكة وشافهه ، وهـو يأمر بمحاسن الاخلاق ويـدعو إلى توحيد الله عـز وجل ، وخلع الأوثان . وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضـل فيما يدعو إليه ، وأن أحق الناس

بمعاونته لأنتم ، فإن كان الذي يدعو اليه حقا فهو لكم ، وإن كان باطلا كنتم أحق من كتم وستر . وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى ان يكون له ، فسمى ابنه محمدا ، فكونوا في أمره أولا ، ولا تكونوا آخرا وأتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين . والله ان هذا الذي يدعو اليه لو لم يكن دينا لكان في اخلاق العرب حسنا ، فأطيعوا أمرى فمن سبق فاز ، ومن تأخر ندم . فقام مالك بن نويرة وقال : لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء . فقال أكثم : ويل للشجي من الخلي ، لهفي على أمر لم أدركه ولم يسبقني . ثم رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق وبعث بإسلامه على من أسلم ممن كان معه .

وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية، وهي : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ نزلت في أكثم ومن تبعه من أصحابه وقال قوم آخرون :خرج مهاجرا ولم يسلم .

وكان من أفصح خطباء العرب وجمع من كلامه شيء كثير ،ومما صحّ من أمثاله ـ على مارواه ابن دُريد عن أبي حاتم قوله : يابني تميم لايفوتكم وعظي إن فاتكم الدهر بي. يابني تميم،إن مصارع الألباب تحت ظلال الطمع، ومن سلك الجدد أمن العثار، ولن يعدم الحسود ان يتعب فكره ولا يجاوز ضرّه نفسه،والسكوت عن الأحمق جوابُه.

ومن أمثاله: « أشبع جارك، وأجع فارك» يعني لا تدخر شيئا يأكله الفأر، او يعني بالفأر الفضل في الجسد، أي لا تسمن وجارُك جائع.

ومن أمثاله أيضا: لا تهرف بما لا تعرف.

***

وعلى غرار هذا أسهبت كاتبتنا في النقل عن هذا الحكيم المعمر ومن ضمن ما نقلت من كتب الأدب خطبته أمام كسرى وهنا وجدت الفرصة متاحة لتنظر إلى مجموع وصايا وخطب أكثم ابن صيفى من منظور عقلاني لتتم لها ثنائية «العقل والنقل» فقالت في صفحة ٢١ من كتابها: وعلى الرغم من أن كتب الأدب قد أوردت النص السابق «تقصد خطبته أمام كسرى» في باب الخطب فإننا لانستبعد أن يكون مركبا من عدد من الوصايا التي قيلت في مواطن مختلفة، فليس فيه « تقصد النص الخطابي» وحدة الموضوع التي تحكم اتجاه الخطبة، وليس فيه مراعاة

مقتضي الحال إذا كـان قد قيـل بين يدي كسرى كما تـزعـم الروايـات « وهذه لفتـة عقلانية ذكية مـن الكاتبة». ولهذا لا نجد فرقا بين تركيب وأهـداف هذه الخطبة وما ستـذكر بعـدها مـن وصايـا. ثم جـاءت بعد ذلـك بشخصية يضرب بها المثـل فى البلاغة والحكمة والموعظـة الحسنة ألا وهو قس بن ساعدة الأيـادي الذى قال عنه صاحـب الأغاني: هو خطيـب العرب وشاعـرها وهو مـن المعمرين هـو الآخر ولا يفوت القـارىء أن اهتمام الاستاذة بـالمعمرين لم يصـدر إلا بعد نظـر وذكاء وإلمام بالعلـوم الإنسانية منقطـع النظير فالوصـايا في مجموعهـا هي حصيلة تجارب عـامة ترجع كما تقول كاتبتنا إلى الخبرات المتنوعة التي عـاشها صاحبها . ففيها جانب من خبرة السلطان أو القريـب من السلطان وجانب من خبرة المحـارب ولكن الجانب الاكثر أهمية هـو ما ينتمي إلى تجربة العمر الطـويل، وما يترتب على معـايشة ألوان الحياة وتقلبـاتها من الزهـد فيها، والإيمان بـأنها حياة محدودة. ولم يفت الـدكتورة أن تأتي بعـد «قس»بـ «الافوه الاودي» ونقلـت عنه بعض مـا وصى به ثـم علقت على بناء وصاياه اللغـوي بقولها: عباراتها تتصف بالسلاسة والمرونـة والبعد عن التكلف والتعقيد وكـانت قد ذكـرت له هذه الـوصية : « عليكم بتقـوى الله وصلة الـرحم، وحسن التعـزي عن الدنيا بـالصبر.. وتفقدوا حالاتكم بـا لمعرفة لحقوق اعـلامكم فانهم بكم عزوا. وانتم بهم اعز منكم بغيرهم . كـونوا من الفتن على حذر ولا تأمنوا على أحسابكـم ولا تشركوهم في سرّكـم ، فإنهم كالضـأن في رعيتها، كلامهـم ذعر، وفعلهـم عسر الى أن قال في آخـر الـوصية: واشنـأوا البغـي، فإنـه المرعـى الوخيـم واستصلحوا الخلل وتحاموا الذل، اللهم عليك بأهل الحسد للنعم»

واضح أن الهدف من الوصية هو طلب التقـوى وصلة القربى، والتحلي بالأدب هذا ما ذكـرته الـدكتورة، ثـم استقصت مواضـع السجع في هـذه الوصيـة فلم تجد غير كـلامهم ذعـر، وفعلهم عسر وكـذلك في المواضـع التي قـال فيها: لا تطمئنـوا إلى أجسـامهـم، واستوحشـوا مـن عقـولهم، ولا تثقوا بناحيتهم... وبانتهاء الكلام عن «الأفوه الأودي » تكون قد أغلقت الحلقة التي تصدّرت بها تسلسلها التنازلي يلي ذلك الحلقة الثـانية وهي وصايـا الآباء للأبناء أي انتقلـت من وعّاظ الأسرة الكبيرة (القبيلـة أو العشيرة) الى وعّـاظ الأسرة الصغيرة (التـي قـوامهـا الـزوجـان والأولاد فذكرت وصية ذي الاصبع العدواني لابنه وهي مـزيج من النثر والشعر في بناء واحد

أذكر ما اشتهر منه وتضمنته هذه الأبيات:

أأسيد ان مالا ملكت
فسر به سيراً جميلا
آخي الكرام إن استطعت
إلى إخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وان
شربوا به السم الثميلا
أهن اللئام ولا تكن
لإخائهم جملا ذلولا

هذا هـو النقل عن ذي الإصبع العـدواني ولكي تتم الثنـائيه، ثنائية العقـل والنقل، فإن الكاتبـة قد بحثت لعقلها عن أكثـر من مكان في النص الموصـى به، وهذا جلي ساطـع في قولها: إن هـذه الوصيـة في سياسة القبيلـة وسياسـة الأسرة التي هـي نواة القبيلة أو الوحدة الأسـاسية فيها. لم يعن بتجربته كـوالد، أو محارب، أو مدبر للمال أو الثروة، وإنما اهتم بجانب واحد أساسي هو «العلاقة» وإعطائها صدر الحديث، والاستمرار في اكتشـاف طبقاتها، وما ينبغي أن يبـذل في سبيلها من تضحيـة نفسية وماليـة، وعن الـدور الذي لعبه الشعـر حين امتزج بنثـر النص في وحـدة مكتملة وجـدت نفسها مضطـرة إلى أن تنظـر إلى أبيات ذي الإصبـع العـدواني من منظـور الناقـد الشعري وفعلا أجادت النظـر حيث قالـت: ولابد أن نلاحظ أن الشعـر قد أخذ مكـانه في هـذه الوصيـة، وهو شعـر أقرب إلى النظـم،إنه يـردد المقولـة نفسها موزونة مقفاة، فعمل الخيال فيه محدود أو معدوم، والطـابع الفكري هو الغالـب، بل لعله العنصر الوحيد الذي يعطي هذا الشعر ما له من قيمة.

ولما أمعنت النظر في الوصية ككل تجلت لها اللمسـة الصادقة في المقدمة كما وجدتها في إشارات أخرى تـدل على صفاء الفكر وصحة الفطرة ودقة الملاحظـة، مثل ذلك المبدأ الـداعي إلى إكرام الصغـار واتخاذه سبيلا إلى مـودة الكبار، وفي الوقـت نفسه تبرز الدكتـورة سيكولوجية في منتهـي الأهمية أتى بها العدواني في وصيتـه لابنه ألا وهي التنشئة على الحب وحـب من ؟ حب الشخص الـذي غذاهم من كـرمه وقت كانوا أطفالا ... هذا الحبّ الذي صفة الخلـود تعتبر صفة ناقصة في حقه إذا وصف

بها.
إن الإثارة التي تضيفها الـدكتورة على النصوص التراثية المنقولة تسـاعدنا كثيراً على تفهم ما تحويه الوصايا من القيم القبلية وتسـاعدنا أكثر على تفهم إشكالية ثنائية « العقل والنقل».

وبخصوص تعامل الدكتورة مع الرمـز وأنه لم يخدعها مهما بلغ من غموض نذكر لها الآتي : لقد أتـت بأكثـم بن صيفي مـرة أخرى تحت رقم (٢) في بنـد وصايـا الآباء للأبناء ونقلـت عنه هذه الوصية : يا بنـي قد أتت على مائتا سنة، واني مـزودكم من نفسي، عليكم بالبر فانه ينمي العدد وكفـوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه ،أن قول الحق لم يدع لي صديقـا، وأنه لا ينفع من الجزع التبكي... ثم قـال : ولقد رأيت جبلا مطلا تزايله حجارته،إلى أن قال: لا تمنعكم مساوىء رجل من ذكر محاسنه.
تقول الدكتورة بخصوص رمز الجبل : إن الجبل مـن العبارة السابقة هو أكثم نفسه، فعـوامل التغيير تكتسـح كـل شيء: الإنسان والجماد، وإذا كـان الجبـل قد تقلقـل وتفتت فما بالنا بالانسان!! إنه يضرب هذا المثـل التصويري المعادل لشخصه وكأنه يضع أمـام أبنائه مـا يغيب عن بـال الكثيرين إنهم ليسـوا مخلديـن ،وكل كمال إلى نقص، وعليهـم ان يضعوا ذلك في اعتبار سلوكهم.

ثم نقلت كاتبتنا وصية «سعد العشيرة» لبنيه لما حضرتـه الوفاة ولم تغفل عن كل من وصية المنذر لابنه النعمان والحارث بـن كعب لبنيه وكذلك مالـك بن المنذر وعمرو بن الغوث وقيس بن معديكرب، كما أنها فطنت بـذكاء إلى وصية المنذر لتميزها عن غيرها بشيء من الخصـوصية فقد كانت وصية ملك لـولي عهده وليست مجرد وصية أب لولـده. ولهذا ظهرت منهـا الدعوة الصريحة إلى ريـاضة النفـس وترقيـة الشعور وتربية الفكر، وكلها عدة السلطان، وأداة قيادة الراعـي لرعيته وبالنقل عن قيس بن معديكـرب تكون كاتبتنـا قد أغلقت الحلقة الثـانية في تسلسلها التنـازلي... بقيت الحلقة الثالثة وهى التى اختصت بذكـر وصـايا النساء لبناتهن، فنقلت عنهن أشهر وصايـا عرفها التـاريخ ألا وهي وصيـة أمانة بنـت الحارث زوج عوف بن محلـم بن ذهل بن شيبان تلـك التي أوصت بها ابنتها يوم حُملت الى زوجهـا الحارث بن عمرو ملك كندة وكـان لها بوصيتها ما كانت تـرجوه منها فقد حظيت ابنتهـا لدى زوجها وغلبت على أمره حين أخذت بوصية أمها.

نرجع إلى ثنائية العقل والنقل وهي فيها يتمركز في بؤرة الرؤية التحليلية للوصية حين نظرت إليها الأستاذة من منظورها العقلاني واستطاعت بذلك أن تؤكدأن الوصية تعد من أفضل الوصايا وأكملها في موضوعها وعلّلت لهذا اليقين بأن الوصية صدرت من امرأة ذات مكانة وشرف، وقد نعمت بحظ وافر من الحياة، وكذلك عروس ابنتها فهو من ملوك كندة.

كما أن منظورها العقلاني قد مكنها من كشف أن الأم تعرض لابنتها وجوب الوصية « أي بنية إن الوصية لو تركت لعقل وأدب، أو مكرمة فحسب لتركت ذلك منك ولكن الوصية تذكرة للعاقل، ومنبهة للغافل» أي أن الوصية واجبة لذي العقل والأدب وذي المكرمة والنسب وليست للغافل أو واهن العقل أو قليل النسب.

ثم تذكرها بأنها تاركة قرناءها في الكنف الذي احتواها إلى قرين آخر وكنف آخر وهي إن أرادت أن تزيل عنها غربة الدار، وأن تخلق الألفة بينها وبين قرينها فعليها أن تتحلى بهذا الخلق وتتبع هذه الوصايا:

«أي بنيه، انك قد فارقت الحواء الذي منه خرجت، والوكر الذي منه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكاً، واحفظي عني خلالاً عشراً تكن لك دركاً وذكراً».

ففي الوصيتين الأولى والثانية تطالبها بالتحلي بالقناعة وترويض نفسها الطاعة... ففي الأولى راحة القلب، وفي الثانية رأفة الرب. «فأما الأولى والثانية: فالمعاشرة له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة، فان في القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب».

وفي الثالثة والرابعة توصيها بالعناية بمظهرها وزينتها بأبسط المواد وأيسرها حصولا وهو الماء، وهو أطيب الطيب المفقود والكحل وهو أحسن الحسن الموجود.

وأما الثالثة والرابعة: فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا طيب الريح، واعلمي أي بنية، أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود».

أما الوصايا الست الباقية فهي تدور في مجملها حول رعاية الزوج والعناية به، وذلك في مراقبة ساعة طعامه وساعة نومه، وكذلك الاحتفاظ بماله ورعاية أهله والعناية بهم، وألا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً.

وهكذا نجد ثنـائية العقل والنقل نـاطقة في كل ثنايـا الكتاب وعلى نحو ما عـرضنا وذكرنا، قس في القسمين اللـذين لم نشر إليهما بل تركناهما لك أيها القـارىء الكريم ليكون لك النصيـب الأكبر في هذه الثمرة التي جلبتهـا لنا الدكتورة سهـام الفريح من أربـاض ورياض التـاريخ وقـدمتها لنـا في كتاب « الـوصايـا في الأدب العربي القديم».



الغربة والجراح والحب
دراسة في البنية الموضوعية في المجموعة القصصية
جراح في العيون

لا شك في أن أي ناقد تصادفه معاناة من نوع معين وهذه المعاناة متشعبة الفروع وذات موضوع شائك ومعقد.

فماذا أبغي من وراء هذا الاستهلال؟ أنا لا أبغي هنا أكثر مما يبغيه أي ناقد يعنى بالاتجاهات النقدية الحديثة إذا هو ينظر إلى النص على أنه محور أو نقطة ارتكاز ينطلق منها ثم سرعان ما يعود إليها. وعلى هذا لا ينفرد المؤلف بالإبداع ذلك أن علاقته بالنص تنتهي تماما عندما يضع آخر كلمة فيه. بعد ذلك ينفض يديه منه تماما إذا لم يعد له فيه زمن بل الزمن بعد ذلك هو زمن المتلقي.

ويجب أن نعرف أن التلقي والاستقبال له شخصان أحدهما جل همه ينصب على متعته الوقتية وتسلية السريع، وهذا لا يعنينا في شيء. أما الآخر وهو الذي نعنيه لا تهمه المتعة والوقتية بقدر ما يهمه اندماجه بالنص وتوحده معه، يحاور فيه روح كاتبه ـ روحه المبدعة ـ وهو في هذه الحالة يكون كمبدع النص من حيث إن عاملهما المشترك الأعلى هو المعاناة ولا يتم له هذا إلا إذا كان مهيئا للتلقي بإضاءة ثقافية تساعده على تنوير جوانب النص ... وهنا نستطيع أن نقر بأن المتلقي الناقد هو الذي يقوم بعمليتي القراءة والكتابة في آن واحد، أو آن بعد آن، وعلى ذلك يكون هو أكثر أنواع المتلقين معاناة ... تلك التي تلازمه وهو يحاول استخلاص شعور المبدع معرضا نفسه للصدمات الشعورية في أغلب الأحوال ... تلك التي بمجرد أن يستشفها تتلاحق عليه.

إذن فمن الطبيعي جدا أن نشير إلى أن نوعية النص هي التي تحدد نوعية معاناة المتلقي .. أنا لا أقصد نوعية الجنس الأدبي سواء أكان شعرا أم نثرا، إنما الذي أقصده هو ما يكمن بالنص من إيحاء، أو ما يعلن عنه صراحة. فالنص ينظر إليه النقاد المعنيون بالحداثة والمعاصرة على أنه أحد تصنيفين : صريح أو إيحائي.

فالصريح ينقل الى متلقيه تكوينات لفظية جلية للذهن والوجدان معا ليست بحاجة الى أن توحي أو تكشف أو تعني، وليست لها أبعاد غير التي وصلت بها الى متلقيها، ونحن لا نعول هنا على المعنى الذي تبثه هذه التكوينات اللفظية في

الذهن، ذلك أن مثل هذا المعنى لا يعـول عليه كثيرا من رجال النقد الحديث بقدر ما هـم يعولون على إثبـات وجود الأنا في النص الإبـداعي أي الوجـود الإنساني في النص : ذلـك أن «الأنا» كما يزعم «اشتراوس» هـي طفل الفلسفة المدلـل الذي لا يحتمل ، وأنـا أقول هي طفـل الإبداع المدلل في معاصرتنـا هذه لما هو مبـدع. هلت لتحتل مكان الصـدارة فوق خشبة المسرح الإبداعـي فوقفت بذلـك حجر عثرة في وجه كل عمل جدي نتيجة لرغبتها المستمـرة في الاستئثار وحدها بكل انتباه ... من هذا نرى أنـه ليس مهما للنص المبدع أن يعني بقـدر ما هو مهم لأن يكـون وهو لن يكون إلا إذا ثبتت وجود الأنا فيه وهذا هو جوهر ما يعول عليه النقاد المعاصرون.

والنص الإيحائي هـو النص المتسم بـزخم الـرمز والمفردات ذات الدلالات التي من شـأنها أن تتيح مكـانا للمتلقـي داخل النـص فيجد حـريته في التجـول داخل النـص محللا وكـاشفا ومستنبطـاً. ومـا على المبدع هنـا شيء سوى أن يضغـط على مفاتيـح الإثارة ليرى المتلقـي جوانب النـص ومبدع هذا النـوع من النصـوص هو شخـص يحترم عقلية متلقيـه بخـلاف مبدع النـص الصريح الـذي يقـوم بتوجيـه متلقيه من خلال نصـه إلى المعنى الذي يريده ولايترك له حريـة الحركة داخل نصه. كذلك مؤلف النص الايحائى يتفاعل مـع متلقيه لافتراضه أنه يمتلك قدرة تفكيك النص وحل شفراته ورموزه وإعادة تركيبه مرة أخرى .. أي يفترض فيه أنه على علم بمقولة " جاك لاكان ": "أنا أفكر حيث لا أوجد. وبالتالي فإنني موجود حيث لا أفكـر .. أجـل، فإنـه هيهـات لي أن أوجـد حيـث لا أكـون سوى مجرد ألعـوبـة في فكري. " وأنه يستـوعبها تمام الاستيعاب وعلى ذلك يكون النص الإيحائي قـد تم له الانفصال عن مبدعه ليتكلم هو متيحا لكلامه الانسجام مع رغبات المتلقي.

وهكذا أحكمت أواصر العلاقة الوطيدة بين النص ومتلقيه.

يقول الـدكتور محمود الحسيني وهـو من ألمع النقاد البنيويين: [النص هو الذي يحدد نوعية القارىء المستقبل له. وإذا كان من مثل نوضح به هذه العلاقة المشتركة بين النص والمؤلف والقارىء ، نقول إن مؤلـف النص المستغلق على قارئه يقصد به النص الصريـح أشبه ببعـض شركات صنـاعة السـاعات التـي تعمد الى أن تقـدم للمستهلك سـاعات جاهـزة مصمتة مستغلقـة لا يصلح معها " حـل ولا ربط " فإذا مـا أصابها الخلـل وتوقفت عـن العمل ألقى بها المستهلـك بعيدا وبحـث عن

غيرها بعـد أن يكون قـد تعود على مثل هـذا النوع مـن الساعـات الجاهزة المريحة.. ومؤلـف النص المفتـوح يقصد بـه النص الايحائي أشبـه بالشركـات التي تقـدم إلى الناس سـاعات " مفتوحـة " معدة للفك والإصـلاح والربط مـرة أخرى تاركـة له فرصة الـوقوف على ما في داخل السـاعة من عالم معقـد مدهش ، وفرصـة الكشف والتغيير والتبديل والإضافة ربما..] .

نفهم مـن هذا أنـه لم تعد مهمة المتلقـي ملازمـة النص من خارجه، وإنما أصبح كـل شغله منصبـا على الكشف على أبعـاده الداخليـة ودراسة هـل كل النصـوص معدة لهذا النوع من الاستقبال المجهد الذي يعانيه المتلقي؟ قائلا : هناك نوعان من الاستقبال أحدهما، يستقبله المتلقـي بوعي شاعري والآخر يتسـم بالإسقاط لاعتماد متلقيه على قراءة الشرح..وفي رأيي أن مجموعة ليلى محمد صالح " جراح في العيون " التي نحن بصدد تفكيكهـا الآن تصلح لأن يكون متلقيها صاحب وعـي شاعري ، ذلك أنها أتاحت له فـرصة المشاركة الفعالة في تلقي الصدمـات الشعورية المنطلقة من العملية الإبداعية.

لقد قرأت لليلى صالح في مجموعتها " جراح في العيون " قراءة انطباعية سريعة تم تركتها لانشغالي بـوضع مخططات مشروعات أدبية انتويـت القيام بها ولم أكد أجهز نفسي لما انتويتـه وعزمت على القيـام به حتى ألحت علي شخـوص القاصة المبـدعة لأن أقرأها ثـانية ومعنى أني أقرأ ثانية هـو أن أجهز نفسي لمعاناة الناقـد وفعلا قرأتها بإمعان قـراءة متأنية بهدف اكتشافهـا وهذه القراءة الثانيـة سرعان ماأتبعتها بثـالثة بعد أن قررت مـواجهة المبدعة كشأن النـاقد الذي يتحدى مبدعـه وهذا لا يتم إلا بالتوحد والمعـايشة للنصوص ومعنى التوحد ومعايشة النـص هو أني أكتب ولكني سألـت نفسي كيف تكون الكتابـة هذه المرة وأي منهج أتبعه .. انها المجموعة الأولى للكاتبة كما علمنا من قولها :

«هـذه القصـص تمثـل بـدايـة البـدايـة .. انها المرحلـة الأولى مـن تجربتـي القصصية..».

فهل أدخـل إليها مـن المنظور الكـلاسيكي في النقـد؟ وهل هـذا يغنى المتلقـي المولع بكل ما هو حديث؟ إن المجموعة تغـري بمغامرة نقدية تتطلب حضور ذهن الناقد الحذر ذي الرؤيـة .. ومن ثم سرعان ما ازدحمت شخوص المجمـوعة لتصبح

علي بالدخول إلى مبدعتها من المنظور البنيوي..

إن معنى المغامرة هـو أن تحقق ما تريد وليكن بعد ذلك مـا يكون .. المهم هو أن تنفـض عن نفسـك ما ازدحمت بـه من انعكـاسـات ولهذا قررت الـدخول في هـذه التجربة دخـولا مشروعا من بابها الـرئيسي وأنا على ثقة من أن المتلقـي سيلتمس لي العذر في إرهاقـه و إزعاجه وضجره لما سوف يجده مـن أنني جرفته معـى إلى البنيوية بمفهـومها البسيـط وليس بمفهـومها الضخـم القـائم على منهـج معد ومـدروس تقتضيه طبيعـة النص وتقـوم على الإحصائيـات والجداول الكثيرة لتحليل مفـردات اللغة والـوقوف على أفـراد « العائلـة اللغويـة الواحـدة » على حد قـول « الدكتـور عبدالكـريم حسن » عندمـا كان غارقا في شعـر «السياب» يتلمس فيه الموضـوعية البنيوية والهدف من كـل هذا العناء هو تحديد الاتجاهات التـي تشكل البنى الكلية للنص.

إن منهجاً كهـذا يحتاج الى طول أنـاة وبعد زمن قـد يمتد إلى سنوات ولـن يكون منهجي وأنا أعايـش ليلى في نصوصها كما أن المنهج الكلاسيكي لـن يكون منهجي هو الآخـر بل سيكـون أمامي منظـوران أحدهما بنيـوي والآخر جمالي ليخفـف من تعقيد الأول وبهذا ستكون حدود مغامرتي النقدية على النحو التالي:

النصوص التي بين يدي هي نصوص المجموعـة القصصية للكاتبة والقاصة ليلى محمد صالح والتي تحمل عنوان «جـراح في العيون» ونفس العنوان هو عنوان القصة الثـانية في المجمـوعة .. وتضـم هذه المجمـوعـة اثنتي عشرة قصـة، تتفاوت عـدد صفحاتها ما بين الصفحات الثلاث والصفحات العشر، وتجنبـا للإطالة في تصنيف هذه القصـص سأضع للمتلقـي هذا الجدول التوضيحـي التالي كي يستقـرىء هو ويخرج منه بما يريد :

عدد الصفحات	٣	٥	٧	٨	١٠	
عدد القصص	١	٥	٤	١	١	١٢ قصة
العدد الاجمالي للصفحات	٣	٢٥	٢٨	٨	١٠	٧٤ صفحة

نموذج رقم (١)

ملحوظتان :ـ

- (الأولى) : كل من القصص التاسعة والعاشرة والحادية عشرة بالمجموعة وعناوينها: (الرسالة والجماجم) ، (٧٦ علامة استفهام) ، (لحظة لقاء وسط أصوات ترتفع) : كتبت التاسعة والعاشرة في أربع صفحات وثلاثة أسطر في الصفحة التالية لكننا اعتبرناها صفحة واحدة كذلك القصة الحادية عشرة كتبت في ست صفحات وثلاثة أسطر في الصفحة التالية وهي الأخرى اعتبرناها صفحة واحدة.
- (الثانية) : يلاحظ أن متوسط عدد صفحات القصة الواحدة ست صفحات تقريبا وذلك إذا قسمنا العدد الإجمالي للصفحات على عدد القصص.

***

ولكي نتعرف على جيل القاصة لأن العرف النقدي جرى على أن كل ما يقال عن المبدع يقال عن أبناء جيله مع الاحتفاظ له بصياغته الخاصة من حيث الشكل الفني وتكويناته اللغوية من منظور التأمل الإبداعي رأينا إثبات هذا الجدول الموضح لتواريخ نشر قصص المجموعة مع مراعاة أننا أخذنا في ترتيبها الشكل التصاعدي :

القصة	١٢	١١	٨،١٠	٩	٦	٧	٤	٥،٢	١	٣
تاريخ النشر	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٣	١٩٨٥

نموذج رقم (٢)

ملاحظات :ـ

- الكاتبة أصدرت اثنتي عشرة قصة على مدى عشرة أعوام وفي هذا دليل على أنها لم تتفرغ تفرغا كاملا لممارسة هذا اللون الإبداعي.
- من الجدول تبين أنها أصدرت في كل عام قصة ابتداء من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٥ باستثناء عام ١٩٧٦ الذي أصدرت فيه قصتين كذلك عام ١٩٨١.

- لم يصدر لها شيء من هذا الفن في عامي ١٩٨٢ ، ١٩٨٤.

- الكاتبة من جيلي السبعينيات والثمانينيات.
- كما يلاحظ أن قصص هذه المجموعة جعلتها الفواصل الزمنية المتباعدة بينها تمثل مرحلتين مختلفتين من مراحل نمو الكاتبة الفني: مرحلة أولى يمكن أن نطلق عليها مرحلة التكوين وتتمثل في قصص السبعينيات حيث محاولات التبلور الأولى والتي أخبرت عن مرحلة ستأتي بعد وهي قصص الثمانينيات التي تخلصت فيها من خلخلة السياق النصي كأن تسهب في سياق يحتاج الى التكثيف مما يصيب القصة بالترهل والتزيد أو تختزل في وقت يحتاج فيه السياق إلى الإسهاب مما يصيب القصة بالابتسار ومن ثم فقد يعترض مسار السياق بعض السرديات المباشرة.

ولنبدأ الآن في الدخول الى ليلى من المنظور البنيوي، وتتمثل خطوتنا الأولى هذه في علم إحصاء كامل للمفردات التي وردت في قصصها بقصد ما يسمى بـ «الغربلة».. وفي احصائنا سنعتمد على إحصاء الجذر اللغوي للعائلة اللغوية الواحدة بمعنى أننا عندما نتعرض لمفردة بقصد الاحصاء فإننا نحصى جميع اشتقاقاتها في كل الجذور اللغوية التابعة لها فعلى سبيل المثال عندما نحصى مفردة «الحب» فإننا نقوم بإحصاء صيغها الفعلية والاسمية مثل: الحب بضم الحاء - الحب بكسر الحاء - محب - محبوب على غير قياس - محب بضم الميم وفتح الحاء على القياس - وحبه - يحبه - وحببته - وأحببته - واستحبه - وأحبه .. ثم ننتقل الى إحصاء مرادفات هذه المفردة بجميع صيغها مثل : الوجد - الود - العشق - التوله- الهيام - التدله - عدم التصبر من شدة الوجد - عدم الجلد على حرقة الوجد - يتعشق - يتودد - يتحرق عشقا - يتلظى شوقا.

ثم ننتقل في خطوة تالية إلى المفردات ذات القرابة مثل : الشجى - الأرق - من حر الأشواق - التوحد - التجرد في العشق - المزج الجسدي مع التهويمات الروحية. ثم نرصد ملاحظاتنا على هذه الخطوة من البحث إن كانت لنا هنالك ملاحظات ولا نكتمها، فمثلا لاحظنا على هذه الخطوة من البحث عدة نقاط يجب التنويه عنها قبل أن ننتقل إلى الخطوة التالية :

● رأينا أن عملية تحليل المفردات عملية مرهقة تستهلك الجهد والوقت كما سبق أن أشرنا إلى ذلك مما يضطر بعض الدارسين لمثل هذه الإحصائيات إلى استخدام «الكمبيوتر» ، ولهذا رأينا أن نركز على مفردات العائلة اللغوية الواحدة دون الالتفات الى كثير من المفردات التي كان من الواجب إحصاؤها ثم أغفلناها تجنبا للإطالة واكتفاء بالأهم.

● كما نلفت نظر متلقينا إلى ما هو متباين بين المفردة النصية والمفردة المعجمية فالنصية هي التي نعول عليها في هذه الدراسة ولتوضيح ذلك نورد هذا المثل عندما تناولنا مفردة الحب مثلا تناولنا معها مفردة الحنان ثم أغفلناها في قصص أخرى لأنها لا تخدم النص الواقع قيد الرصد من منظور الحب كفتاة مثلا اسمها «حنان» أو حنان الأم لرضيعها لأنه نوع من الأمومة الحانية ومن ثم فهو يخدم هنا نصية الأمومة ولا يخدم نصية العشق بين الفتاة وفتاها، وعلى هذا يرى المتلقي أننا في إحصائنا نعتمد على المفردات النصية التي تخدم العائلة اللغوية الواحدة ..

التحديق في الذاكرة

قد يكون تخير القاصة ليلى لمفردة «الصمت» التي استهلت بها قصتها الأولى «التحديق في الذاكرة» سببا فنيا وجيها لإشاعة جو الغربة في المجموعة من البداية للنهاية، وهل هناك صمت أبلغ في معناه من صمت المغترب؟! وقد يكون التحديق في الذاكرة واجهة لمجموعتها هي رؤيتها لها على أنها من أجود قصص المجموعة والدليل على ذلك أنها من انتاج الثمانينيات وقبلها قصص من السبعينيات كان من الأحرى لها أن تتصدر المجموعة إذا أخذت في ترتيبها حسب النسق التصاعدي ولكنها آثرت هذه القصة .. وقد يكون تفضيلها لمفردة «الصمت» على غيرها واختيارها لها لتستهل بها البداية لأسباب موضوعية كأن تكون فعلا موجها لما يأتي بعد ذلك من مفردات أو مفتاحا من مفاتيح أفعال القصة المحركة [من الطبيعي جدا أن يصدر ذلك لا شعوريا من القاصة ولاسيما وهي في حالة تعرضها للصدمات الشعورية المتباينة] وسواء أكان السبب هذا أم ذاك فإننا نرى أن هذه المفردة على الرغم من ورودها ثماني مرات في هذه القصة وهي: [أصغت الى الصمت وأيقنت أنها وحيدة .. من الحركة الدائبة إلى السكون

القاتل .. من الفرح الطاغي الى الصمت الباكي.. لحظات الصمت الكبرى تحاصرها.. بابتسامة صامتة تعتذر للممرضات.. كل ليلة حين تضمها غرفتها الصامتة.. يرقص الصمت برقة متناهية.. كان الصمت يهذي بينهما..] فإنها تتميز بخصوصية لدى القاصة تجعل منها فعلا مضيئا.. ويؤيد ذلك أن ليلى استهلت بها أولى قصصها..

تبدأ ليلى السطور الأولى من القصة الأولى في المجموعة: [أصغت إلى الصمت وأيقنت أنها وحيدة – المكان بارد.. البرد يتسرب إلى جسدها من أهداب الليل والريح.. حاورت الغيوم.. حاورها الصقيع.. احتمت بالحلم..] . وهكذا تصبح مفردة الصمت وما يكتنفها من غموض وأعاصير تموج بأعماق الشخصية المحورية وتهاجم الأنا لديها من جميع الجوانب هي أول مفردة في المجموعة تلح على كاتبتنا منذ البداية . وللصمت عند ليلى قيمة ولا تتفوق عليها لغة.. إن نظرة عين ناعسة تتغلف في صمتها إلى الحبيب الولهان لأبلغ عن مكنونها من جميع كلمات قواميس العشق والهيام.. كذلك لا شيء أبلغ من الصمت في إعلانه عن حرقة وأشواق والتهاب المغترب.

لقد تفوقت ليلى في جعلها الصمت لغة حاورت بها الغيوم وحاورها بها الصقيع ومن ثم هربت مما يحاصر خارجها إلى دنيا الحلم .للصمت قيمة مقدسة عند ليلى محمد صالح ، من أجل ذلك نراها تحتفظ بمدلول المفردة تراثيا ونصيا ومعجميا فتنقلها مجردة تارة ثم تحركها مجسدة تارة أخرى والدليل جلي ساطع في قصتها الثانية «جراح في العيون » في:[بعد فترة صمت أخرج من جيبه ورقة مطوية ..«اللفظة هنا معجمية» ثم قالت: أغمض عينيه على صمت الجراح «لفظة مجسدة نصية»] .

جراح في العيون

تشكل الجراح أول موضوع رئيسي في شبكة العلاقات الموضوعية لدى القاصة والجراح عندها فعل مرتبط بصمت الغربة الذي يعني أن تلوذ الأنا بأعماقها ولذلك يشتد إلحاح عندها على غرس بذور الحب في أكثر من قصة بل في كل

قصصها تقريبا إذا عنينا بالتجريد والمجاز . والحب كصورة من صور النقاء الإنساني وسموه على المرتبة الحيوانية تبقى بالنسبة لها بمثابة حلم من الأحلام إن لم تستطع تحقيقها في الحقيقة فقد تغترب لتحققه أو كحد أدنى بحسب الافتراضية المنطقية فإنها تحققه في دنيا نفسها أو في مملكتها الخاصة ، وهنا سيكون الصمت من أبرز سماتها بطل قصة جراح في العيون يتحرك .. لكنه لاحظ أن الصمت يعانق سواد الليل في هدأة غريبة، .. وفي نهاية القصة يغمض ذات البطل عينيه على صمت الجراح ثم يروح من جديد يحلم بعطر شعر البطلة المبخر وبابتسامتها المدهشة ـ أي البطلة ـ وبعذوبة اللحظات التي كانت تمنحها له من قبل بلا تحفظ ... وأنا أتساءل : هل كان البطل يستطيع أن يمارس هذا الحلم بدون التحديق فى الذاكرة؟ الاجابة بالطبع لا ـ إذن الكاتبة قد أبدعت عن اقتدار حين ربطت قصتها الأولى التحديق في الذاكرة بقصتها الثانية جراح في العيون برباط الصمت الذي هو في الواقع ليس الصمت الذي نكشف عنه على صفحات المعجم .. !

بقيت قصص عشر بالعبور إليها فإننا سوف نستطيع أن نكشف عن الغربة والجراح والحب وأن نحصي مفردات عائلاتها اللغوية بشيء من الاسهاب مع كتابة بعض المعادلات السيكولوجية الخاصة بالوجدانيات زيادة في تأكيد الروابط ولقد أرجأنا هذه الدراسة التحليلية للبنى الموضوعية الى زمن آخر وظروف أخرى تكون مواتية.



الأسلوب الشعري في المجموعة القصصية
رجل من الرف العالي

عندما أقول إن الدكتور سليمان الشطي له الباع الطويل في مضمار «السردية الشاعرية» ذلك المصطلح الذي أطلق عليه بعض النقاد اسم «القصة القصيدة» فإن ذلك يعني الكشف عن الحدود القائمة بين كل ما هو أدبي .. فهل هي كما هي عليه من حيث صرامتها وتحديدها وقطعها أو أنها امتزجت بعد سقوطها وصار امتزاجها ملحوظا لكل منظور راصد؟ فقد أصبح الكل يعرف أن الشعر قد اقتحم المسرح . ومسرحيات سوفوكليس ويوريبيد وراسين وبخيت سرور وأمل دنقل وصلاح عبدالصبور وغيرهم أكبر شاهد علي ذلك .
والملاحم الشعرية هي الدليل الأقوي على ما نقول . كذلك احتواء القصة على سطور شعرية سواء أكانت بأسلوب تحليلي أم بأسلوب سردي . وهنا قد يسأل سائل : «هل بقي ثمة خلاف بين السردية والشاعرية ؟ » فنجيب بأن الخلاف جلي واضح فيما إذا كانت السردية تفضل انتهاج السطر الشعري وفي الأسطر الشعرية ذاتها إذا كانت الأخيرة منغومة بالرنات الإيقاعية الملحوظة فتوحي بأن هذا قد كتب بغرض الشعر في الوقت الذي تتميز به السردية ـ الشاعرية بجنوحها الشديد إلى السرد الروائي .

هذه الإجابة قد لا تحدث لدي المتسائل أي اقناع ، فلي وله أكبر عذر في هذا لأن السردية ـ الشاعرية والشاعرية نفسها قد امتزجا لدرجة أن الخيط الواهي الفاصل بينهما لايكاد يرى إلا من منظور النقد التحليلي القائم علي الجداول الإحصائية والرسوم البيانية . وقد وصف الأستاذ إدوار الخراط هذه الكتابة بالكتابة عبر النوعية؟ الكتابة التي تشتمل على الأنواع التقليدية ، إذ تشتمل عليها وتحتويها في داخلها، وتتجاوزها لتخرج عنها، بحيث تصبح الكتابة الجديدة في الوقت نفسه، قصة شعرية تستفيد من منجزات الفنون الأخرى من تصوير ونحت وسينما .
وواضح أن هذا ليس سهلا إذا ما أردنا تطويع القلم لخطة من أجل المتلقي، ذلك أن هناك قيودا صارمة بين ما هو عشوائي قائم على التخبط وما هو حر يتيح «للأنا» الانطلاق.

ما أوردناه لا يتنافى مع تجليات سليمان الشطي الفعلية ذلك أنه يفتح نصوصه القصصية لأجل تعدد الدلالات، أو لأجل تعدد السؤالات. وهو لا يقر ما يريد سرديا مباشرا ذلك أنه يحرك قبلا «الأنا» الشاعرة لتأتي الألفاظ بيقين شعري له مذاق خاص .. هذا اليقين ذو السمت الناتج عن رؤية من منظور عقلاني، أو منظور وجداني ، انظر إلى ما يقوله في أولى قصص مجموعته « رجل من الرف العالي» القصة المعنونة بـ« خدر من مساحة وهمية »: (ص ٢٠):

«صحراء منبسطة تغطيها عتمة أول المساء، الحلقة الكبيرة تهمهم وقد تلاقى ظلام الرؤوس مع الصحراء .. بقية من اصفرار يعصب جبين الأفق، حديث ممتد، أجساد تنحنى ثم تجسد متممة بقية الصلاة.»

وإني لأسألك: هل هذه الكتابة تماثل ما اعتدناه من كتابة قصصية معتادة ومتوقعة.. إن وصفه التمهيدي للحدث يقترب بشكل أو بآخر من أساليب الكتابة الشعرية في الوقت نفسه يتباين مع كل قاص قد عني قبله بمنهج السردية الشاعرية بطول النفس وتركه الأحداث تتصاعد من نفسها وتتكثف زمانيا ومكانيا في اللحظة المناسبة دون أدنى تدخل منه فإن ثبت أن هناك تكثيفا من نوع معين فمعنى ذلك أن التكوين قد تطلب هذه الضرورة.

ومن ثم فقد أتفق مع إدوار الخراط في أن هذا هو عين ما تحاوله تلك اللغة/ الكتابة ـ الاشكالية الأكثر إثارة في سعيها للخروج من أسر التقريرية، وأحادية الدلالة ووعائيتها المظنونة بها.

يقول الشطي في صفحة ٢٠ من صفحات المجموعة:

[تخافتت الأصوات ـ شبحة أمامي عيونه تخترق الظلام الزاحف ـ أحسست أن هدوءهم يناقض الصخب الحي الذي كان يميزنا، ولكنهم ها هم يكادون لا يتنفسون.]

وفي صفحة (٢١) :

[وبدأت نبرة هادئة تبرز وترتفع .. وأحسست أن أذني مقصودة ..... وتمتمت ...... حاولت أن أقضي على حشرجة معترضة لأظهر بمظهر الطرف المفاوض ـ وأحسست بذكاء خاطر يتحرك في داخلي...]

هو بهذا يـدع للمتلقي حريته في عبـور النص وفي الاتصال به وبسـؤاله أجاب: بأن متلقي اليوم ليـس كمتلقي الأمس [يقصد متلقي الأنماط التقليديـة البعيد كل بعـد عما حدث اليـوم مـن تطورات] فمتلقـي اليوم قـد صـار حتما عليه استرجـاع اللحظات الأولى التي داهمت المبدع بمعنى أنه لا بد أن يشـاركه ببذل طاقة توازي طاقتـه فإن لم تكـن لحظات التلقي بنفـس طاقة لحظـات الإبداع الأولى فـلا فائدة حينئذ في الاتصـال بين الاثنين ـ المبدع والمتلقي وكـاتبنا يعرف ذلك جيـدا ويعرف حق المتلقـي عليه فترك له مسـاحات بها يتمكن من الاتصـال به فانظـر في صفحة (٢٢) واقرأ:

[هـأ نذا أفضـل نفسي عنهم.. عـن النبض الـذي ظللـت مؤمنـا به حتـى تلك اللحظة. هـذا الحديث الـواضح الهادىء يغيظنـي، عيناه لا تـزالان تشقان الظـلام الزاحـف .. لحظتئذ تـذكرت عينيهـا وطريقتهـا في الكلام ... حين كـانت الجمـوع الصاخبـة تهدر وتزمجر، وكنـت يومهـا لسانا منهمـرا يقطر حماسـا، صدقنـي لم أكن أعرف مـن أين تـأتي الكلمات، ولكن اللحظات المحشـودة تخلق مـالا نتوقـع، لقد استسلمت لي العقول والأجساد]

والآن وبعد قراءة هذه الأسطر ألســت معي في أنها ألفاظ في شوق حار لإحداث التعددية؟

أليست الكثافة الدلالية شرط أولى لحيويتها؟

أليس وجودها مرتهن بقدرتها على الاستمرار في الإحالة؟

أليست مهيأة بصفة دائمة لقبول الصياغات المتوالدة؟ ..

أراني بإزائهـا أدنو بقـدر ما أنأى ... أدنـو من الصميـم بقدر هـروبي البعيد من الهش المتسم بـالسطحية والظاهريـة، وأراني أخرج من عـزلتي الفكرية وانطلـق مع النص في رحب مترام مداه.

عنـدما قـرأت عن «عبـدالحميد» بطـل القصـة على الفور تفـاعلت معـه بحب وحدب وشغف وهالني من أخته شهقاتها وهي تئن من تفجعها على الحال التي آل إليها، وهنا هاجمني فجأة السؤال الملح: لماذا سكنـت عبدالحميد هواجس اغتياله؟ ولماذا لم يرحني المؤلف بتدخل بسيط منه بغرض التكثيف؟ لماذا لم يفعل الشطي كما

فعل غيره فجاءت قصصهم عبارة عن شذرات في قصاصات؟ ألم يعلم أن حياتنا العصرية قد اتسمت بالعديد من الإيقاعات السريعة الضاغطة؟ ورغم هذا دعاني الى الإخلاد الى مطولاته عن طيب خاطر وتشوق واستمتاع، بل ما كنت لأنتهي إلا لأبدأ القراءة من جديد. وهنا أريد أن أقول إن هذا الحجم المطول إن لم يكن كاتبه قادرا على نفي سآمة المتلقي بالشذرات القصصية ذلك أن هذا المضمار يتطلب طاقة من الطاقات العليا من النوع الذي إذا تمكن من الجسد فإنه ينفي عنه ترابيته ويمنحه حرية غير منقوصة فيتيح للمبدع التقاط خامته المزجاة لعلمه بأنها مقسومة له هو وليس لغيره وأنه هو الذي سيعطيها شكلها ويملي عليها وجوده فتظهر مادة وشكلا روحا وجسدا وهذا هو المعنى الأصح للامتزاج الكامل.

*** القصة الثانية « رجل من الرف العالي »**

نلحظ على نص هذه القصة ما يلي:

* تنويعاته متعددة

* ليست له مغلفات

* يقوم على أساس محوري قوامه:

هل من المتاح لبطل القصة «عبدالله الداير» استعادة وضعه الذي كان عليه في وقت من الأوقات من علو كعبه على أقرانه ومكانته الاجتماعية المرموقة وأدبياته ذات البريق؟

* إنها القصة التي كشفت لنا بأسلوب واضح عن عناصر «الحساسية الجديدة» ألا وهي:

* التداخل الزمني

* احتضان الواقع للحلم

* الرؤى الشاعرية

* السردية الشاعرية

*غموض التساؤلات

* التحرر من النسق

* التحليل الشخصي
* التحليل الحدثي

ـ تجاوزت السردية الشاعرية ـ أو الكتابة عبر النوعية على حد وصف إدوار الخراط مرحلة الحساسية الجديدة بعد أن استوعبت انجازاتها وأصبح من المحتم على المبدع أن يخفي فاعليته إن كان سيتكلم بالسردية الشاعرية ويضع مهمة إظهارها على عاتق المتلقي وهذا هو ما حدا بالشطي ليقول:

(حجر يرمي بنفسه في الساكن فتنبض الحياة في الذرات ...
(وهبطت في ماض بقيت منه خطرات يلمع هو فيها ...
(الضجيج المفاجىء أخرس همهمات المغرب العادية ...
(حبست الأنفاس ...
(تلاشى ثغاء الأغنام الآتية من رحلتها اليومية ...
(تسمرنا ...
(كل غلام تسمر حول سخلته وقفل ذلك الدرب الضيق ...
(جمدت الحركة الشكلية ...
(خرست رغبة الكلام المعهودة قبل الاستسلام لليل هادىء ...
(لم تكتمل بعد ابتهالات رجل يسبل كمه على كوعه الذي انحدر منه ماء الوضوء ...
(سكنت ضربات أواني الحليب المألوفة في مثل هذا الوقت ...
(استطاع عبدالله الداير أن يغير طبيعة ذلك المساء ...

إذن هو استغل فاعليته بأسلوب يحرك المتلقي من السطح إلى العمق متيحا له مساحات مضيئة يطل منها على نواة أو محورية العمق الحاملة لكل الهيكل القصصي.

وهنا يبقى السؤال هو السؤال : بماذا تميز الشطي على قرنائه من كتاب السردية الشاعرية ؟

فإذا كانت الإجابة ملحة فلن أجيب بغير هذا :

قال كاتبنا الشطي في ص ٢٨ من صفحات مجموعته وفي السطر قبل الأخير : «

يا عتمـة الليل المتبقيـة متى تنقشعين »، والإجـابة مـوزعة كلماتها على حـروف هذه الكلمات بأسلوب غير مرتب.

فما عليك أيها المتلقي المثقف الواعي سوى إعادة ترتيبها وواضح أنك فعلا تريد أن تعرف مميزات الشطـي على أقرانه من كتـاب الحساسية الجديدة وأنـك شاركتني لحظات متعبة بلذاذة في هذه السياحة الأدبية.



الواقعية الجمالية في المجموعة القصصية
الطيران بجناح واحد

قد توحي القاصة «وفاء الحمدان» بما لها من مرايا عاكسة لظلال الواقع أنها تنتمي إلى المدرسة الواقعية المجردة. فالمجموعة التي نحن بصدد قراءتها والمعنونة بـ «الطيران بجناح واحد» تتضمن قصصها تصعيدالحدث بشكل واقعي صرف، بالإضافة إلى الشخوص التي سمتها بأسماء مستمدة من أرض الواقع - كذلك المنغصات الحياتية هي نفسها المنغصات التي تحفل بها الحياة اليومية - زد على ذلك الأشياء الزمانية والمكانية التي أصرت على أن تجعلها عناوين لبعض قصصها مثل:

(وضاع الأمس - انتظار النبوءة - عندما تغفو الأيام - الغوص إلى الأعماق - الغد يأتي أمس - القلب في الجهة اليسرى - مواسم الجفاف - تحت حد السكين - خطوة على الطريق الأخرى ...).

بيد أننا لو أمعنا في الغوص إلى العمق لنسبر غور الكاتبة لبدا لنا أن وفاء بمنأى صعب المنال عن تيارات الواقعية المجردة التي تستكمل الحدث وتتم شرائط «الحكاية» وتخلي المضمون من الغموض وترسم الشخوص وتعفيها من التأثير الذي يبدو غير فعال وتحدد معالم الأمكنة ... كل هذا بعدت عنه وفاء وتصيدت فقط من أرض الواقع ما هو مجرد عناصر أو مشخصات وجرتها الى «الأستوديو» الكائن بأعماقها الداخلية لتخرجها «الأنا» الى المتلقي منتقاة من الشوائب الخارجية ومشعة بأشعة شمس الذات ويعينها على ذلك رصيدها الممتاز من ثقافة الذكريات.

***

إن قصص وفاء الحمدان في مجموعتها الطيران بجناح واحد قد يلحظ عليها المتلقي عدم إسرافها في استخدامها للواقع، ويجد أنها تتعامل مع عناصره بقدر، ولا تأخذ منهإلا الذي تحتاجه القوالب النفسية ليصهر جيدا في فرن الوجدان ثم تكشف عنه للمتلقي وهي مجسدة تماما للحالة النفسية بإحساس مترجم بلغة خالية من الهمهمات.

لقد قيدتنا وفاء فلم نستطع مساءلتها عن الحدث «المنطقي» أو عن اشتقاقها من لغة القدماء ما استطاعت أن تتمرد به على الذي ألفناه واعتدنا من لغة الحديث، أو عن تحديها للعرف البشري في استخدام اللغة كأسرع «وسيلة» للاتصال.

قيدتنا وفاء وفي الوقت ذاته فتحت لنا كل المزاليج التي على البوابات الأربع لدنياها الداخلية لنستطيع أن نفحص الوجدان لديها، ونكشف عن طبيعته، ونتبين إن كان هناك توحد مع الذات أم لا، أو إن كان للوجدان عناصر تصنيف أم لا.

والشواهد على ما نقول كثيرة ، ولعل أكثر عناوين قصص المجموعة هو المتاح لنشهد به الآن اكتنازا لعامل الوقت ، أو طالما هو ميسر فلماذا لا نأخذ به ؟

إن بعض العناوين تتوارد حول : ردة فعل ـ والغد يأتي أمس ، والطيران بجناح واحد ، وخطوة على الطريقة الآخر ـ فمن البديهي أن يدخل فى روعنا أننا سنرى حدثاً سوف ينمو ويتصاعد بردة الفعل ، ورؤية مستقبلية أدمجت فى رؤى طواها الماضي ، ومشهدا مؤثرا لطائر يطير بجناح واحد ، ولقطة معبرة ومشجعة لعبور الطريق المعاكس . إذن نحن بإزاء رؤى من الصعب تبين حدودها لأنها أدمجت بعناصر الذات كما أنه من الصعب الحكم عليها بأنها واقعية لأنها ليست من الواقع بقدر ما هى من دنيا الذات.

***

أما عنوان المجموعة " الطيران بجناح واحد " فهو عنوان القصة قبل الأخيرة فى المجموعة اختارته إشارة منها بأن البداية لديها تماثل النهاية والبداية المتقنة بالجودة لابد وأن تماثلها نهاية بنفس المواصفات ومن ثم انتقت العنوان بذكاء ليكون هوية التعرف على سمات قصص المجموعة، إن " الأنا " التى تكشف المؤلفة عن أبعادها ليست " أنا " مائتة سمتها السكون ، بل هى بحر مكتنف بغموض العمق وما يطويه العباب وفى الوقت نفسه كثير زبد الموج من حدة الاضطراب .

موج الانعكاسات الضوئية المتباينة للشرائح الهلامية التى تنضم وتتداخل فى أحايين تعكيرها وتتمدد وتكشف عن انبساطها فى أوقات صفوها ولعل البطل " ماجد " بطل قصة الطيران بجناح واحد يوحى بذلك حين يشعر بأنه ينكمش فى دنيا النغم عندما تغرز قدماه فى رمال لايستطيع قياس عمقها ، وتتشنج أصابعه على وتر مبتور وتتمازج ألوان الحياة فى أعماقه بشكل عشوائي منفر ، فى الوقت الذى

يشجعه صديقه "عدنان" على التمدد والانبساط بتلحين بعض الأشعار.
ويحاول ماجد ويبدأ بعزف لحن متقطع ... هو يعرف جيدا أنه لن ينجز شيئا، والنتيجة هي أن يظل على حالة من الانكماش في أي فن من الفنون طالما لم يهيىء لنفسه فرصة إنبات ريش الجناح الآخر فالطائر في أجواء مجالي الفنون لابد وأن يكون له جناحان قويان.

ونفس الانكماش يحدث لبطل أولى قصص المجموعة المعنونة بـ" ردة فعل " على هيئة أضواء لونية متداخلة تفزع المرئيات من أمام ناظريه لتحيلها إلى ضباب تبرز منه مطارق جهنمية تدق على خلايا عقله فتطير أفكاره وتشتتها حين توهم بأن زوجته تفكر في ابن عمها " ناصر " العائد من أمريكا حاملا شهادة " الدكتوراه " .....

" حاول جاهدا التذكر .. (أي ماجد وهو الشخصية المحورية في القصة يحاول تذكر إجابات لأسئلة عن الدوافع التي أجبرت زوجته صفية على إحالة جنتها الزوجية الى جحيم لايطاق) . لا شيء غير عادي وصفية ذات شخصية قوية متزنة لا تتأثر بسهولة، وفجأة خطر أمامه خاطر غريب لم يلحظه من قبل، في يوم الجمعة الماضي ذهبت زوجته مع أختها لزيارة منزل ابن عمها ناصر بمناسبة عودته من أمريكا بعد حصوله على شهادة الدكتوراه ... آه ... إشارة ضوئية حمراء تضيىء في عقله " ... ابن العم هذا حدثته كثيرا عن رغبته في خطبتها لولا الخلافات القديمة بين والدها وعمها ... وها هو قد عاد فيتغير بعودته سلوك صفية الزوجة المثالية برقتها وجمالها، وإدارتها الممتازة للمنزل، وتربية الأولاد فعمدت إلى تدمير نفسيته وتحطيم نفسية الأولاد والخدم ... ومن هذا نرى أن بحث البطل عن أسباب المسببات ما هو إلا محاولة منه للخروج من دائرة الانكماش التي أفحم نفسه في فراغها.

ونفس الشيء يحدث للبطلة " دلال " بطلة قصة " الغد يأتي أمس " عندما تجمدت الفرشاة في يدها وهي تسترجع تاريخ شخوص صورة العائلة عائلتها ـ محدثة نفسها في مشهد مسرحي " مونولوج " حزين فحواه : إن نفس الشخوص

الذين كانوا ينعمون بظل سقف واحد ونبع حنـان واحد باتوا اليوم يلتقون كالغرباء فى ردهات المنزل ، أو ربما فى مـوقف السيارات وإذا ما التقوا كانـت هموم كل منهم ومتاعبـه الخاصة تحول دون إحساسـه بالآخـرين كما كانـوا فى الماضي ... ربما تجمع بينهم الملامح المتشـابهة ، والاسم الواحد ، ولكن دروب الحياة أخذتهم وعبثت بهم أيما عبث .

والبطلـة دلال تريـد أن تتملص مـن شبكة الانكماش هـذه ليحدث لها التمـدد الذى بـاتت فى مسيس الحاجـة إليه فماذا تفعـل ؟ فكرت فى إقامـة معرض لأعمالها التشكيلية ، وأعلمت أفراد العائلة فردا فـردا بيوم الافتتاح وعولت بشدة على صورة العائلـة ... إن تمددها يتـوقف على التقـاط صورة مماثلة فى زمـن يتبايـن مع زمـن الصورة الأولى ... فهـل ستنجح وتحقق ما تـرجوه من التملص مـن قيد الانكماش، هذا هو مضمون القصة .

قاموس " وفاء الحمدان " :

ومعجـم وفـاء المتضمــن لمفـردات لغتهـا فى القـص يـدور حـول : الجحيـم ـ الأعصاب ـ الغضـب ـ السخط ـ الظلال ــ الهدوء ـ النعيـم ـ الوداعـة ـ الصوت ـ الهامس ــ الصراخ ـ الألم ـ الـدموع ـ الانهيـار ـ القوة ــ التحمل ـ الصبر ــ الهموم ـ المتاعب ـ الكآبة ــ التوتر ـ العصاب الرهيب ـ الرقة ــ الجمال ـ المثالية ـ المتطلبات الحياتيـة ـ الخلافات ــ الحب القديم ــ الأضواء ـ الألـوان ـ المرئيات ــ الضباب ـ المطارق الجهنمية ـ الخيبة ـ الفشل ـ الذهول ـ الصمت ـ الشك ـ الغيرة ..... .

صورها اللغوية التى تتكرر من قصة إلى أخرى هى :

كل المرئيات تشابكـت فى ذهنه حتى باتت تعجزه عن الرؤيـة السليمة ـ أحست برعشة قوية تجتاح كيانها جعلتها تنتفض كالمريضة ـ التفتت إليه عيناها تسبحان ، تغوصان ، تغـرقان فى عينيه ـ فى عينيه جحـافل من يعل لا تشرق له شمـس ـ جاءه صوتها من قاع بئر ـ عيون يرتسم فيها الوهن والألم فى أشد صورة ..... .

وألوان وفـاء هى درجات مـن اللون الرمـادي كما يتضح فى : الأضواء التـى تفزع المرئيـات ، وأضواء الإحســاس بـالخيبة والفشـل ، والأضواء البـاعثـة على الذهـول الإحباطـي ، والأضواء الدافعة الى التـواري فى سجن خلف أسوار الصمـت الناجمة عن احتدام ثورة الشك ..... .

ودرجات مـن اللون الوردي كما هـو بين فى : لون ابتسـامته يتسع ليضـيء وجهه وهو يهم بـالخروج لموعد عقـد القران .. أضـواء بيت الـزوجية البـادي كجنة وارفـة الظلال ـ أضواء تنعكس على وجهها ليصفها الكل بأنها مخلوقة وديعة ـ أضواء تشع من الصوت الهامس ..... .

ووفاء تجيـد التعامل مـع هذه الألوان بـإتقان لا لشـيء سوى مواءمـة التقلبات النفسية لدى الشخوص . وهذا يجعلنا نقرر : أن معجـم وفاء الحمدان قد مكنها من إحالة مجمـوعتها كلها إلى بناء لغوي متـوائم مع أمزجة الشخصيـات وفى هذا دليل على أن وفاء تستغرق تماما فى تجربتها بها تكشفه لنا وقـد امتاحته من ينبوعها الداخلي وبهذا برئت من المحاكاة والتقليد أو الاقتباس .



العناصر الجوهرية في المجموعة الشعرية
من حدائق اللهب

إن كا نت قراءتنا هـذه قد فرقت في معالجتها النتاج الشعري بين مـا هو فني وما هو مطـروح لهموم الواقـع فهناك من يستميـح لنا العـذر ، ذلك أن تجربة الشـاعرة النفسية فريدة ، وتناولها لقضايا الإنسانية هو تناول إبداعي .

***

من أهـم العناصر الجوهريـة فى الفن هو العنصر المعنـى بإعـادة ترتيب الـواقع وشاعرتنـا صادقة من منظـور فنى فى تناول هذا الواقـع وإحساسها به لـه من القوة التى جعلته يجتاز مضيـق المباشرة وبالتالى انفسحت على عالم غنـي بجمالياته ومن ثم تميـزت مساحة الإبداع بـرحابتها وتحركت عنـاصر الواقع لتدلي بـأنها قادرة على صنع علاقاتها مع الـدوافع الإنسانية المتعلقة بـ" الأنا" المتأثرة بأيـديولوجية رجل الوقت سواء أكان معالجا سياسيا أم اجتماعيا .

فى قصيدة" رسـالة" تـوضح الشاعـرة قضيتها فى تحد صـارخ ، وما رأت أنها فى مسيس الحاجة للاقتباس لأنها فى عجلة من أمرها اقتبست من كتاب الله الكريم ، فى الوقت الـذى لم تغفل فيه عن الجوانـب الجمالية للعلاقة بين الألفـاظ المشحونة بالغضب ، وبين معطياتها الوجدانية بل إن القصيـدة وهى الجزء الثانى من الرسالة التى أرسلتهـا إلى أم كانـت ابنتها فى الطائرة الجابـرية التـى خطفها أعـوان صدام حسين فى شهر أبريل من عام ١٩٨٨ ورغم ذلـك عنونتها بما يناسب اقتباسها بهذا العنوان : " من سورة النذر" .

وأفعمتها بالإشـارات التى تجعل العمل الفنى ملتصقـا بالواقع وحـركته فطبيعة تركيب القصيـدة وقدرة الشاعرة على الادماج والتجميـع وتكثيف المعنى فى كلمات تقذف بالشرر وهى تضىء جوانب تجربة المعاناة :

تبت يد الباغي وتب
لم يغن عنه دينه الذى اكتسب

فى جيده حبل المسد
يمور فى بطن الوقد
يصلى لظاها للأبد

***

قد نجد للمباشرة ظلالا فى أجواء هذه القصيدة وعلى الرغم من أنها قد تكون مطلوبة فى حد ذاتها عندما يحاول الشاعر أن يعبر عن قضية الحرية بمفرداتها البسيطة وعمق الإحساس السائد بالقهر من خلال
كلماته الراجحة كأنها حجارة من سجيل ، حيث يساوي بين مرارة الضعف الإنساني أمام القهر الشيطاني وبين ما يمنحه الموقف الصلب من إعلاء لقيم نبيلة حاول المختطفون امتهانها إلا أن هذه الظلال سرعان ما اختفت فى مناطق عديدة تنجح خلالها الشاعرة فى طرح مأساتها بأدوات اكتملت من حيث إنها اقتبست روح تجربتها من خلال تصوير مكثف برموز تصدر همسات إيحائية مسموعة فى وضوح بهدف تشكيل صورة نهائية كلية ، ولعل القهر الإرهابي يطغى كثيرا على حس الشاعرة فى رؤيتها الفنية كما سنرى فى قصيدتها (رسالة) (الجزء الأول) والتى تبدأ أبياتها الأولى مخاطبة أمها فى شجن عميق ثم ما تلبث أن تتحول إلى شادية تعد بالانفلات من أهوال البرابرة الغزاة لتعود إليها بسمة نوارة أو وردة رفرافة فى بيرق .. المهم أنها ستعود أكانت حية أم ميتة :
من هسيس الصمت في «كبسولة » الموتى
ومن فرن الفضاء اللاسع الفوار
من نزف الهلاك الأسود السيال في روحى
ومن حولي فحيح الزيف أكتب :
لك يا أمي الحبيبة
قبلاتي، وندى حبى
بجفن الغيمة المزرقة الأنفاس
هل جاءت إليك
هل تراها أمطرت زهر اشتياقي في يديك ؟

لم أكن أدري بأن الوحش بالمرصاد يحصى خطواتي
آه ، ما أصدق حدس الأمهات
آه ، ما أصدق حدس الأمهات
غير أني سوف آتي

***

يا أمي ... سآتي :
بسمة نوارة
أو وردة رفرافة في بيرق
تروي لسمع الأرض
أهوال البرابرة الغزاة .

***

لا شك في أن الصورة [.. أو وردة رفـرافة في بيرق] صورة جيدة التركيـب .. عميقة المغزى قادرة على تهيئـة جو نفسي متماسك يمنح للـرموز القدرة على كشف رحـابة المعنى .

***

والقارىء للـديوان يمكنـه أن يميز شاعـرتنا بـأنها أقدر الشعـراء الواقعيين على إعطـاء موقـف عقائدي محدد ، فمـن البدايـة نرى أنفسنـا أمام شـاعرة تتحسـس أوضاع البشرية ومنغصاتها وما تتمخض عنه من مأساة إنسانية هائلة :

كونان من غرابة جئنا معا
من فورة السكون
من تفجر البروق
كونان من تمرد

وتقف شاعرتنا من تمردها على مأساة وجودها في قلق لما ينتج عن هذا التمرد من نكبات إنسانية :

حملتها في احتضار الليل أنفاس الرياح
واغتراب اللحظة الطفلة في تيه الأسى
تسكب الآهة
تجتر النواح
ترتدي الوحدة
تحبو وجلا فوق وهج الشجو
تسقيها عصير الصبر
أجفان الصباح

***

ولكنها لا تلبث أن تعثر على لب المأساة بعثورها على محوريها الموت والحرية . الموت يعنى لدى شاعرتنا القوى البغيضة الخفية التي تستلب أروع ما في الوجود ومن ثم فالحرية تعنى لديها أرق أنسام الحياة إذن فالقضية وايديولوجيتها هي أن نفكر بمنتهى الحرية في كل ما يعترضنا من مشاكل حتى ولو كانت مشكلة الموت نفسها :

أخي ... يا من تطل علي
من خلف الحدود السود
في البعد

***

أتبصرني ؟

***

أنا ... من عتم وادي الموت انظر ! ها هنا

في قلب هذا النزف كان أبي
ينوء برأسه المثقوب بالنار
يئن
يشق ضلع الصخر
يسقط رأسة الغائر

***

هناك ، وتحت أكوام الرماد الأشيب المسحوق
تغفو أختى الصغرى ...
وفق ظلالها نامت «عروستها»

***

كذا اندفعت شاعرتنا جنة القريني من خلال إحساسها بوحدة إنسانية شاملة تدعو إلى الحياة :

يعاتبني الصنوبر في ذرى الأوراس
ودفء الشمس تجذبه جديلة نخلة
عبرت أثير الضوء
واتحدت بغيمة نخلة شرقية الخضرة
توارت في رؤى الأشواق
تعاتبني مروج العطر
بين صنبابة الآفاق
كيف أزورها ، والحزن محتشد

***

الشاعرة جنة القريني لها ولع غريب بالمفردات التي تقتنصها من الطبيعة وهذا شائع في قاموسها الشعري ويستخدم ببراعة ودقة في مقاطع عديدة

من قصـائدها ، حين تتستر الشـاعرة وراء تلك الـرموز المفـردة مع المحـافظة على حضورها وقـدرتها على تعميق دلالتها ، ولعل القارىء قد يصـاب بلحظات افتتان في الوقـت الذي يلحـظ فيه عدم اضطـراب الإيقاع وبعد الشكـل من النثـر وهذا واضـح جلي في دفـع الشاعـرة الى الـولـوج إلى عـالم الشعـر الرحيـب تتيحـه خبرة القصائد التالية :

تمطت في محاجرها
سحائب من طيور الحب ، تسبح في مدى ألقى
يقطر في الضحى فيئا
وتعقد من غمير الشوق ألحانا فراتية
تنقطها بغابات الهجير على جباه النخل
***

أصبـح للنخل وجـه يشع في روح الشـاعرة فيكـون هو الملهـم ، فتندفـع الشاعـرة مأخـوذة بسحر عالمه الأثيري محاولـة استكشاف الذات ثـم تمزج ما يواتيهـا آنذاك من ألفاظ بعقار من كيمياء الذهن معالجا بآخـر مما ينتج عن التفاعلات الوجدانية وهـذا من شـأنـه إيجاد عـلاقات جـديـدة لها ارتبـاط بين الألفاظ والأشيـاء هـذه العلاقـات تولـد لدى الشاعـرة الطاقـة اللازمـة لإحتواء التجربـة و إثرائهـاو إلقاء الضوء كي تستكنه غامضات الأمور .

في نفس القصيدة نلحظ مسـاحة للسرد القصصي المعتمد على لغة الحوار كي يلعب دوره فلننظر كيف تقول :

وضمت قامة تنزو بها الآلام والثورة
وصاحت : من ؟
فجاء الصوت إعصارا من الأشواق علويا :
أنا أماه جئت الآن
لا وهما خرافيا
وذوى بغداد قد جاءت معي ..

عرسا سماويا

***

والغرض من ذلـك جلي ساطع ألا وهو توليـد علاقة جديـدة تحاول الشاعرة تضفيرها مع بنية القصيـدة لتستوعب أحزان مدينة تشتـاقها وتكن لها حبا يحرك لها وجدانها الا وهي مدينة بغداد .

وتجربة الشاعرة في القص الشعري تجربـة فريدة لم تخل بأي عنصر من عناصر البناء القصصي المعتمد في لغته على لغة الشعـر، ففي قصيدة (ملف الموظف ١٠٢) تقول :

أشعل «السيجارة» الأولى
بوجه الساعة الثامنة الصبح ،
دخان من سفوح الروح ... يعلو
نحو سقف الغرفة المطلي بالوحشة
يمتد كأغصان الخريف
مكتب غص بأوراق
تنامى فوقها لأي الحروف
أرفف تصطف في أضلاعها
كتب ، خطابات ،
مشاريع اتفاقات
ودعوات إلى ... من...
وهو ما بين الملفات
ملف لايزال
يبحث الآن
عن الرف الذي
يرسو لديه

هنا المكانية ظاهرة وهي عنصر مهم من عناصر القص الشعري ذلك أن ما تفجره من طاقات كامنة تتيح للشاعرة عملية تعويضية للوحدة ونفي الذات في مكان طالما ضجرت به ومنه ، وهذه المكانية هي السمة الناطقة في قصائد الديوان .

ومن هذا المنظور الراصد أستطيع أن أقول إن جنة القريني لديها (كاميرة) لا توجد إلا لدى شاعر .



عبدالله سنان
مغني الشعب

اسمحوا لي أولا وقبل أن أقدم لشاعر الشعب المرحوم «عبدالله سنان » (١) أن أطلق لفظ «السنانيات» على أعماله الشعرية التي تركها بين أيدينا وهي التي سماها نفحات الخليج وتضم أربعة أجزاء هي: «البواكير»، «والله والوطن»، «الإنسان» والجزء الرابع يشمل إبداعه في الشعر الضاحك ومسرحية شعرية بعنوان: «عمر وسمر» هذه النفحات التي أنا بصدد التعرف على ملامح شخصيته الفنية من خلالها. وتسمية هذه الأعمال بـ «السنانيات» ما جاءت إلا تأسيا بـ «شوقيات» شوقي وذلك أن أوجه الشبه بينهما كثيرة من حيث تشعب الأغراض، أما أوجه الخلاف فما كانت إلا لما اقتضته الظروف الحياتية المتباينة لكل منهما. ورغم هذا والحق يقال ـ فما من متأمل واع يتعرض لشعر «عبدالله» إلا ويهتف: (ايم الله ان السنانيات ما هي إلا امتداد للشوقيات) ولهذا أطلقت اللفظ عليها رمزا وعنوانا ليدل على أماكن الأوعية الشعرية لدى صاحبها المخلد.

***

من الصعب أيها القراء الأعزاء أن يعكف دارس على دراسة شاعر هو في ذاته شعب من الشعوب أو إذا شاء أي منكم فليقل هو شاعر الإنسان في أي مكان.. فكيف يتسنى لهذا الدارس أن يقدم من يراه وجدانيا غزلا قادرا على شعشعة التدفق الوجداني وعلى الرغم من أنه لم يتعد الجانب الحسي في نسيبه إلا أننا نستميح له العذر لدى أنفسنا لأن ظروفه البيئية كانت تحتم عليه ذلك فالشاعر ما هو إلا مصور بارع لبيئته ... وماذا يمكن لهذا الدارس أن يقول بنفس الوقت عن الصارخ الزاعق من أجل وطنه وقوميته؟ وانى له أيضاً إمكانية الدخول في ذات الوقت أيضا إلى العالم الساحر الضاحك الباكي: إذا لم يجعل ليله نهاره.. إذا لم يكن بجملته فكرا ووجدانا أمام كل لفظة شاخصا محدقا متأملا ومفكرا بوعي ليسبر ما بباطنها كي تتكشف له (الأنا) عند قائلها فيرى مراح المعاني العازبة مشرقا بعينيه وعقال القوافي الشاردة محكما عليها يحول بينها وبين الانفلات.

إن دراسة رجل عظيم هي المعاناة، بجل معانيها، بيد أنها معاناة دانية القطوف

هذه مقدمة كتاب يصدر قريباً بعنوان «عبدالله سنان: مغني الشعب»

وقطوفها لـذاذات، فما هي الحال لو أن هذا الرجـل العظيم شاعر ـ وأي شـاعر إنه شاعر الشعب(٢) «عبدالله سنان» صاحب «السنانيات».
شاعـر وعى الكلمات بغير دراسة أكـاديمية للغـويات وأدرك بطبعه الشـاعري أنها ليست سوى رموز بها نستطيع استجلاء صور المعـاني خلفها ـ كل بحسب ما يهيء له مزاجه ـ إن كـان ورديا أم رماديا.. فأمدنا منها بطاقات متبـاينة التصانيف شهية الثمار
والألوان ثـم ودعنا وانتقل إلى الضفـة الأخرى مـن عالم الأحياء.. تلـك الضفة غير المنظورة والتي من شأنها ألا ترد بالغيها إلينا ثانية.
وشاعـر قال ورحل عنـا وهو لم يزل يقـول(٣) «أنا أقف مـن الإنسان مع عـلاقاتي بالنماط ونماذج منه قامت عبر أزمان مختلفة وأماكـن متنوعة لتشكل في مجموعها هذه الحصيلة من الصور والرؤى و الأحداث والأفكار والرموز»...
وهو بهذا يـؤكد أن الإنسـان(٤) هـو الموجود المتنـاقض الذي يحيـا في العالم دون أن يكون من العالم ويعمـل في الزمان دون أن يكون مستغرقا بأكملـه في الزمان ويخشى الموت وهو يحيـا به كشيـيء غير منظور في تكـويناتـه إذا بدا تعطلـت كل هـاتيك التكـوينات وسكنـت فيهـا حـركة الحيـاة ليصير كـل مـا في الموت موت وهـو أي الإنسان ـ رغم ما يتمثل أمامه عـن يقين إلا أنه لا يصدق ذلك لأنه يشعر عن تيقن لا إرادي بأنه «القوة الميتـافيزيقية» الهائلة التي تملك القدرة على فصـل الوجود عن الماهية وتعرف امكانية النفي وتستطيـع أن تتصور الغائب وتقوى دائما على الكذب لقد أصبح الإنسـان اليوم هو ذلك المخلـوق الغامض الملتبس الـذي ليس في وسع أية قوة أن تجد له مكانـا محددا سوى قوة الخلق عند الشاعر؟ فالشـاعر هو المخلوق الوحيد الـذي يملك قوة الكشف عـن الحقيقة البشرية والتنبؤ بمستقبـل الإنسانية وهـو الوحيـد القـادر في تمرده الميتافيـزيقـي على الصراخ.. اقـرأ معي كيـف صرخ «عبدالله» في وجه الموت(٥):

لماذا الردى لا ينتهي عند حده
ويغمد سيف البطش داخل غمده
ويرتد عن هذا الهجوم الذي به
إذا فاجـــأ المقــدام فــت بعضــده

فيقلب انس الحي حزنا وحسرة

ويترك في الأحشاء مُورِيً زنده

وكيف صاح في وجه الأقدار متسائلا عجبا وتمردا(٦):

مالتلك الأقدار تدمي القلوبا

وتحيل الأفراح حزنا عصيبا

مالتلك الأقدار تبطش فينا

كل يوم تغتال منا حبيبا

انها ويحها إذا ما تصدت

سددت سهمها لتغري الجيوبا

تقلب الانس مأتما وترى في

وجهها بعد بشرة تقطيبا

كل يوم لها هجوم على قوم

فتوليهم البكا والنحيبا

***

هذا الشاعر تناوله بالدراسة قبلي الأستاذان «خالد سعود الزيد» والدكتور «عبدالله العتيبي» وأصدرا عنه كتابا(٧) مستفتحين به سلسلة كتب شعراء من الكويت.. والكتاب على الرغم من أنه كتيب قليل في عدد الصفحات إلا أنه أمدنا بوميض قوي استطعنا من خلاله أن نتكشف تجربة عبدالله سنان الشعرية عن طريق ثلاثة مناظير: المنظور الاجتماعي والمنظور القومي والمنظور الذاتي.. ولإخراج هذا الكتيب قصة ذكرها الأستاذ «خالد» قائلا (٨):

(جلسنا ذات يوم في رابطة الأدباء نتذاكر ملح الشاعر عبدالله سنان ونوادر أغراضه، وكيف كنا نتلقى شعره ونحن صغار بولع شديد وإعجاب بمعانيه القريبة من أذواق فهمنا الناشىء الغض وألفاظه التي تكاد تلامس مخزون ما في ذاكرتنا من ألفاظ لا يعسر فهمها ولا هضمها.

فهو شاعر الشعب، ولا أقول الشاعر الشعبي لكي لا يلتبس المفهوم، برغم أنه ينظم بالعامية أحيانا فيثري هذه العامية، بما يبعث فيها من روح الفصحى، لقد

ظل نصف قرن أو أكثر يجيل بصره وبصيرته فيما حوله، يقلب صفحات أمته بقلبه وروحه ليجسد بالكلمة آمال هذه الأمة وآلامها فيصور كل ما وقعت عليه عينه أو وقع عليه خافقه من مشاهد مرئية أو مشاعر خفية تستجيش بها الصدور. لقد التقط لكل نابض بحياة أو جاثم لا يتحرك صورة فكان يوفق حينا ويخفق(٩) حينا آخر.

وأردف أديبنا خالد قائلا(١٠): (كنت أقول هذا القول في ذلك المحفل الذي ضمني بنخبة من الإخوة الأدباء في الرابطة وقلت لهم ـ والشاعر (عبدالله) موجود: كمن كنت أتمنى منذ صدور «نفحات الخليج» ديوان الشاعر الذي صدر عام ١٩٦٤ أن لو اتيحت لي الفرصة، وأعني بها فرصة الوقت والنفس لأجرد الديوان مما يبعده عن أذواق عامة الناس فأقربه إليهم وأنشىء لهم من هذا الديوان الكبير الحجم مختارات يستغنون بها عن كل ما في الديوان أو بعضه فطفح البشر على وجوه الإخوة وسألوني أن أفعل ذلك على الفور. وهنا اعتدل الأخ الصديق الدكتور عبدالله العتيبي في مقعده وقال: اجمع هذه المختارات وقدم لها إن شئت، وأنا يعني نفسه أقوم بدراستها فنشترك معاً في عمل واحد عن رجل كلانا نقدره ونجله، وهل شيء أسعد من أن يكتب الإنسان عن معلمه في الصغر، وراعيه في الكبر؟! وفعلا أصدرا كتيبهما في عام ١٩٨٠ وإذا بنا بعد ذلك وفي عام ١٩٨٣ نفاجأ بمطابع الوطن تضع أمام أعيننا أربعة دواوين من القطع الكبير من نفحات الخليج: ديوان البواكير في ثوب قشيب في طبعته الثانية وثلاثة جدد هي ديوان الله والوطن وديوان الإنسان وديوان الشعر الضاحك والثلاثة الجدد طبعة أولى.

عرفت عن المرحوم عبدالله سنان أنه ولد كما قال هو بيوم أغر حقيق(١١) أي في عام ١٩١٧ ولما شب عن الطوق أسلمه أبوه إلى المطوع «معلم الكتاب» حبا منه في القرآن الكريم فحفظ جزءا يسيرا منه ثم انتقل بعد ذلك إلى «المدرسة الأحمدية»

فمكث فيها حوالي قرابة ثلاث سنوات اشتغل بعدها بالتدريس في مدارس الحكومة ،ولما لم يكن التدريس من المهن التي يعلق عليها عظيم طموحه هجره بعد أربع سنوات ليشتغل «دلالا» لفترة من الزمن، لكنه ترك هذا العمل أيضا وانتهز فرصة إنشاء الحكومة إدارة للتموين أثناء الحرب العالمية بغرض مكافحة الغلاء والإشراف على توزيع المواد الغذائية فاشتغل في هذه الإدارة كاتبا، بيد أنه في

الوقت ذاته قد نكـب بنكبات عاتية أطاحت به في غربـة كئيبة على النفس إلى بلاد وصف أهلهـا باللؤم والغدر فقـد سافر إلى جنـوب الهند ليعمل محاسبا لـدى أحد التجار الكويتيين وهناك رأى نفسه في مجاهل ومتاهـات والغربة قد زادته شقوة على شقاء وإحسـاسا بعنـت الدهر على مـا به مـن عناء.. نظر إلى النـاس فوجـد اللؤم يسيل من عيونهم.. وحين عرك خفاياهم وبدت الأمور تتكشف له وتعرت النفوس أمام عينيه والأشياء.. تـذكر سعادته التي ولت وشقاءه الـذي ألم به في ثوب للبؤس ثقيل وأدرك أن القدر قد خطط له بها لا يحب فصاح(١٢):

وأقصتني النائبات العظام
وخط بها لا أحب القَـدرْ
جرى بانفرادي بأقصى البلاد
بلاد تضم اللئام الغُـــدُرْ
فلولا الظروف وأسبابها
وإن المقام يجر الضـــرر
ويرغم أنف الكريم على ال
خنوع لنذل عليه انـتــصر
لئيم بخمر النعيم انتشى
فأصبح يسحب ذيل البطر
لما سرت شبرا ولم امتط ال
جواري العظام ببحر وبر

***

ثم عاد إلى الكويـت بعد غربة دامت أربع سنـوات ليتقلد وظيفة إدارية في إدارة الصحة.. ظل فيهـا فترة ثم انتقل إلى إدارة الأوقاف وظل يتدرج في المنـاصب حتى عين مديراً للشـؤون الإدارية. ولما تجاوز الخمسين بعامين طلب إحالتـه على التقاعد وافتتح مكتبة استمر في إدارتها إلى أن لبى نداء ربه.

كان رحمه الله من الأعضاء البارزين في الرابطة ومن المؤسسين لها ومثلها كثيرا في عدة مؤتمرات عربية وغير عربية.

واليوم تقتضيني الصلات الـوطيدة التي كانت بيني وبين الشـاعر أن أصدر عنه

كتابا شاملا يضـم حياته وفنه الشعري حتى يعود صدى صوتـه مدويا كما كان قبل أن يطويه الموت، وخشية أن يذهب شعره بذهـاب حياته التي خفيت خصوصياتها حتى على أقرب المقـربين إليه من معاصريه.. كما أنه ليـس فقط ما توطد بيني وبينه من صـلات هو الـذي دفعني للكتابـة عنه بـل أضف إليه أيضـا إعجابي الشـديد بأعماله الشعريـة المتنوعة الأغراض التي تحمل النفس الى أن تنطلق إليهـا كانطلاقة السهم بما أودع فيهـا من أسلوبيـة فنية وصيحات مبرأة من الـزور ومديح عـف عن التملق ومرثيات تدمي العيون وضحكات تذهب وغر الصدور بإبداع يجعل العقل يدرك أن عبير الشرق لا يضوع من نشيد الصحراء ـ فحسـب ـ بل هو يفوح من كل شطر غنائي.. أو أشطر تزخر بالحكم ينطق بها الشاعر العربي.

***

إن التعريف بفـن الشاعر عبدالله سنـان إنما هو في الواقع دراسة عميقـة لحياته وعرض صـادق أمين لأهم مـلامح شخصيته الفنيـة.. فلقد تفجـرت ينابيـع فنه في أعماق نفسه وأنسـالت خـواطره ممـا تفجر في أعماق وجـدانه وهـو بهذا استطاع أن يطالعنا بـأحاسيسه من خـلال أبياته المحتواة في موسيقيـة متنوعة ومعزوفـة بطريقة بارعة على الآلات المسماة بالحروف فمـن يسأل عن كيف كانت تحضره التجـربة يرد عليه قائلا: «أنا شاعر والشاعر يشعـر دائما بتغيرات فسيولوجية وهو بحال إشراقاته ـ بنذر مسبقة فيها عنف وكرب وضيق بعدهـا يشعر بحدوث تفريغات كهربية تنشأ عن احتكاكات الغيوم بداخله فكان مناخا غريبا عطاؤه من البروق والرعود يؤثر في النبض واختـلاجات الحداق وفي تـدفق الـدم في الشرايين.. فما أشعر بشيء سـوى النغم يسري متناغما في وحـدات إيقاعية تصخب بها القصيـدة.. أقصد إنني أتمزق في تأملاتي بعنف ويعترينـي شيء من التلاشي أشعر خلاله بخدر لـذيذ.. وبانتهاء القصيدة تبـدأ رحلة العـودة إلى عالمنا بتـؤدة ويسر وعندما أشعـر بخشونـة ملمس الأرض يكـون هذا الشعـور ممتـزجـا بالإنهاك المشـوب بخطفـات سريعـة من بـرق السعادة..».

وهكذا كان يجيب شاعرنا على من يساءله عن تجربته في لحظات إشراقه.

إن عبداللـه كان حين ينظم لا يفتـأ يضع آفاق إنسانيتـه وقوميته ووطنيتـه نصب عينيه ولا يتلفـت إلى غيرها مما يفـد على دنيانا من الغـرب يريد التهجين كما أنـه ما

كان ليكتم شيئا في حياته سوى خصوصيـاته حتى ولو أساء إليه،ولم يكن يتعمد أن يواري في شعره صـورا وأخيلة قد تحط من قـدره في تقدير المجتمع أو تتحـرك للنيل منه ألسنـة النقد.. أبدا مـا كان ليروع حتى ولـو رأى رجالات النقد الحديـث تنوش من هيكـل قصيدة عيوبا قـد ظهرت ومثالب غـائرات!! ومن ثم فقد فـاز وبعد أن أدرك الفوز تنعـم به أديبا.. لا يهم الكسـب المادي هنا ولا يقاس، فحسبـه أن مثَّل بلده في العديد من المؤتمرات.

شاعر عـرفه الشعب صادقـا فألبسه من فـاخر قلائده، وهو أفنـى ذاته في عشق الشعب فلـم يبخل عليه بقلائده.. قلائد فتنتنـا وحيرتنا وفي الوقت ذاته أذعنا لها لما فيها من إبداع فريد.

وذلك هو الفن الأصيل.. الشعر فيه صادق.. لا كذب فيه والحقائق ذات جسارة لا تنقصها الشجاعة ولا تفتقر إلى الصراحـة المريرة وبهذا جاء جهوريا خفي الأحاسيس!

***

من خـلال شعر ابـن سنان تبرز الروح العـربية الأصيلة ففـي نسيبه وذمـه للصبوح فكـأنك تقـرأ لابـن المعتز.. وفي التهـاني والمراثـي فكأنـك تطـالع البهـاء زهير وفى الوطنيات والشعـر السياسي فكأنك تقرأ في صفحـات وجوه أئمة المجامـع اللغوية من أمثال الجارم والعقاد وغيرهما، ويطل منـه التعبير الصادق عن وميض الآمال في استقامة الأمـور في محيط الاجتماع والسياسة.. ويشيـع سخط فيه شديـد على أعداء الشعـب العربي سـواء أكانـوا حكـاما أم أذيـال حكـام ونحن لا نكـاد نجد هـذا الإجهار الجسور إلا في شعر قلة من شعرائنا، وفي طليعتهم عبدالله سنان.

***

كـان رحمه الله لا يبـالي بتخطي السـدود إلى عالم الشهـرة والمجد كما يفعـل الآن المتشاعرون الذيـن ارتضوا لأنفسهم شعرا ليس له من تسميـة عندي سوى «الشعر السائب»!!

***

إن كتابي هذا يعرض للقراء سياحتي مع شاعرنا، شاعر الشعب في رياض شعره ليتعرفـوا على فنه من أطـوار حياته ثـم ينتهي بهم إلى أهم النتـائج في تقويم نتـاجه

الذي ضمته دواوينه الأربعة.. واقتران فن الشاعر بحياته في القراءات النقدية هو المنهاج الذي ألزمت به نفسي في هذا الكتاب رغم ما فيه من مكابدة يصادفها الدارس المعني بالروابط الخفية التي قد تصل الأعمال الإبداعية بمبدعها وترجع شجى الأنغام بعد إعادته إلى آلات عزفه من جديد، منهاج يعتمد على حاسة الذوق ويتشعب إلى ثلاث شعب تختص بالذات والاجتماع والتاريخ يحكمه الموقف بما يقتضيه والحاجة بما تدعو إليه ولا يلح على مذهب دون غيره فهو إن ألح على ذلك يكن مثلبا من مثالب النظريات النقدية الحديثة وآفاتها وهذا هو ما أعرضت عنه وآثرت تفاديه والهروب منه.

وأشهى استمتاع يستمتع به الدارس من هذا المنهاج الشامل هو أنه يجد نفسه في يسر منقادا إلى دنيا الجماليات الشاعرية حيث يطلع على كيفية تدفق الفنون من ينابيعها بأسلوب جمالي يتمثل من معزوفة موسيقية لخاطرة شاعرية ويتأمل مبهورا في كيفية اشتعال الأفكار في أدمغة أصحابها وفيما يطرأ عليها إبان تخلقها في أعماق الفنان الوجدانية وفي كيفية انفصالها عنه لتدور في أفلاك الوجدانية وفي كيفية انفصالها عنه لتدور في أفلاك الظروف البيئية في نطاقها الواسع وبذلك يكون قد أدرك على وجه قريب من اليقين مدى الإفصاح القوي الصادق فيما تشتمل عليه أو الشعور المفتعل الفاتر الناجم عن تجربة مصطنعة فاترة بأنحاء تشير إليه.

أقول متواضعا إنها ريادة نقدية خرجت بها بعد طول اعتكاف وصبر مرير في رحاب شاعر كان شديد التكتم في إخفاء خصوصياته وفي أسرار

ذاته فشعت بها وأشارت إليها أشعاره وبهذا يستطيع الدارس أن يرى عن بصيرة مشارف الحقيقة وخفايا نفس شاعرة ما كان يهمها غير الحقيقة وعشق الإنسان في أي مكان.

***

هذا الكتاب يقع في ثلاثة أقسام متعاطفة ترابطت فيما بينها وتعلق كل قسم بما يليه:

فالقسم الأول: يتعرض لحياة الشاعر بما فيها من أخبار استنبطتها من كثرة مسامراتي معه ومما تشعه قصائده.

والقسم الثاني: قراءة نقدية متعلقة بحياته ومرتبطة بمتقلبه في طلب الكسب من

أجل العيش.

والقسم الثالث: تصانيف مختارة من كل فن تتناغم مع ما يتطلبه الذوق العام.

وهذه الدراسة ترتكز على المنهاج الشامل الذي أشرت إليه وتتناول أصول فنه في نطاق الظروف البيئية مع إلمامة سريعة عن شعره الناجم عن الطبع وليس الصنعة فجاء على مقومات الفن وقوانينه.. ومشيرا إلى ماهية العبقرية في الشعراء الموهوبين غير مخل بتحديد الوعي الثقافي الضروري توافره للشاعر المبدع، ثم أمطت اللثام عن خصائص شعره كاشفًا ما نبغ فيه من أغراض حتى صارت مذهبا له ودعمت كل ذلك بموازنة بين شعره وبين شعر من سبقوه فيما أبدعوا فيه واشتهروا به.

وأرجو أن يجد هذا الكتاب موضعا لائقا به بين الدراسات الأدبية المعاصرة وأن يقدم إلى القراء بصورة أكثر وضوحا شاعراً اشتهر بأنه شاعر الشعب فلعل في ذلك عاقبة محمودة لما بذلته بمشيئة الله تعالى رب العالمين.



هوامش:

١ـ كان رحمه الله صديقا وزميلا لي في رابطة الأدباء في الكويت وكنت وثيق الصلة به على مدى أربعين سنة إلى أن لبى نداء ربه.

٢ـ سلسلة كتب شعراء الكويت العدد (١) ص٣.

٣ـ مقدمة ديوان «الإنسان» للشاعر.

٤ـ اقرأ للدكتور زكريا ابراهيم «مشكلة الإنسان» طبعة دار مصر للطباعة ص ٢٠٧.

٥ـ ديوان الإنسان للشاعر طبعة الوطن لعام ١٩٨٣ص ١٦٣.

٦ـ «البواكير» للشاعر ص ٢٠ طبعة ١٩٨٣.

٧ـ هو كتاب عبدالله سنان (مختارات ودراسات)إصدار شركة الربيعان للنشر والتوزيع لعام ١٩٨٠.

٩ـ يقصد بالإخفاق هنا هو أن الشاعر كان لا يكبح جماح نفسه الشاعرة بل كان يدعها على هواها مجررة رسنها فتارة تقرب من الذوق العام وتارة تحيد عنه لما تأتي بها من غرائب الألفاظ الأجنبية مثل:

هلا نسيت (البيتشن)	ونسيت ردك (تنكشن)
ونسيت منها قولها	عند الودائع (افيدزن)

وهذه الألفاظ التي بين الأقواس جاءت على لسان سيدة تتحدث بالألمانية في أحد اللقاءات مع الشاعر وأراد عبدالله أن يذكر صديقه أو نفسه الله أعلم بهذا اللقاء مكررا هذه الألفاظ الألمانية وكتبها بهيئة عربية ولكنه غير وبدل في الحروف لتنسجم مع الوزن العروضي.. يقول: (بيتشن) وأصلها (بيتاشن)BITTE SCHON ومعناها (أهلا وسهلا) أو من فضلك أو رد على كلمة الشكر بمعنى عفوا جميلا و(تنْكِشِنْ) وأصلها (ضنكِشِن) DANKE SCHON بمعنى شكرا جميلا.. و(أفيدزنْ) وأصلها (أوَفْ فيَدرزِيهِن) Aufwiedersehen بمعنى إلى اللقاء أو وداعا.

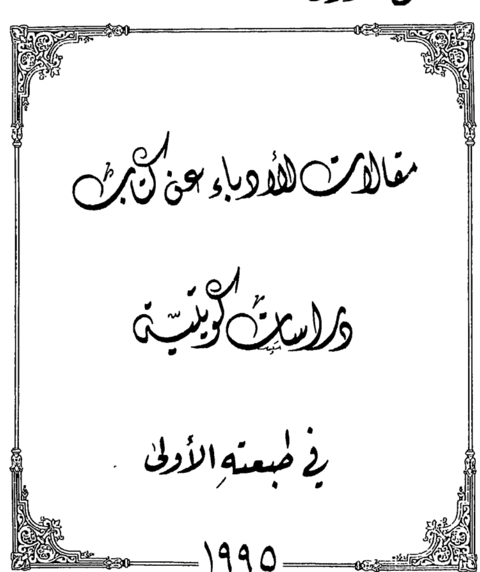
١٠ـ اقرأ عبدالله سنان (مختارات ودراسات) للأديبين خالد سعود الزيد وعبدالله العتيبي.

١١ـ اقرأ كتاب «أدباء الكويت في قرنين» للأستاذ خالد سعود الزيد ص ٢٣٣ الجزء الثاني.

١٢ ــ اقرأ قصيدة «ذكرى» في «البواكير» للشاعر ص ١٠٦ طبعة الوطن لسنة ١٩٨٣.



الملحق الأوّل



مقالات الأدباء عن كتاب

دراسات كويتية

في طبعته الأولى

١٩٩٥

دراسات كويتية

في كتاب كامل جمع الأستاذ فاضل خلف طائفة من أحاديثه عن الكتب ومقالاته في عرضها مستهدفا بذلك أمرين: أولهما أن يتيح لمن لم يطلع على هذه الأحاديث والمقالات أن يطلع عليها، فتحفظ من الضياع، وثانيهما أن يقدّم من خلال ذلك نماذج حية من أدب الكويت وشعره، وأن يصوّر للحركة الأدبية في بلاده صورة ناطقة مجلوّة للأعين.

وكتاب «دراسات كويتية» يعرف القرّاء بمؤرخي الكويت الذين سجلوا أيامها وأثبتوا أحداثها في الأحقاب السحيقة،يضاف إلى ذلك أن في الكتاب خواطر للأستاذ «خلف» أوحتها إليه المناسبات الاجتماعية أو الذكريات الخاصة، فأرسلها على الورق نموذجا من نماذج أدبه الخاص في سلاسة أسلوبه وصادق تعبيره.

ثم إن بعض الموضوعات التى تناولها الأستاذ خلف قد كان لها صدى في نفوس الأدباء أعربوا عنه في فصول كتبوها أو رسائل وجهوها إليه.

وهذه جميعا قد حرص المؤلف على إثباتها بدافع من الأمانة أولا، ثم لأن في هذه التعقيبات آثاراً أدبية كويتية أخرى تستأهل الاندراج في صفحات هذا الكتاب.

وهذا الكتاب يعرف قيمته الحقيقية من يجدّ مشقّة في متابعة الحركة الأدبية في الكويت، وهي مشقة يعاني منها ويبلوها الأدباء في أوطانهم المتناثرة المتباعدة بسبب قصور وسائل الاتصال الأدبي وافتقار سوق الكتاب العربي إلى الانتظام.

قافلة الزيت مايو / يونيو ١٩٧٠

***

دراسات كويتية

صدرت مؤخرا الطبعة الثانية من كتاب ـ دراسات كويتية ـ للشاعر الأستاذ فاضل خلف، وهذا الكتاب كان قد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٩. والطبعة الجديدة تختلف عن الطبعة القديمة في أن بعض المواد الواردة في الطبعة القديمة قد

رفعت في هذه الطبعة مثل كتابات بعض الأدباء والشعراء الذين كتبوها لتكريم المؤلف والتنويه بأدبه وكذلك ما كتب من تقريض لكتبه ومؤلفاته من قبل بعض الأدباء في الصحف والمجلات العربية.

وقد أضاف لهذه الطبعة فصلا جديدا شيقا يمكن أن يعد جديدا في مجاله وهو ـ تطور القضاء في الكويت ـ تتبع فيه الوضع القضائي الكويتي منذ نشأة الكويت حتى الآن بأسلوب يجمع بين جمال التعبير وسهولته ودقة المعلومات وتسلسلها وقد سبق نشر هذا الفصل في عدد سابق من ـ صوت الخليج.

والكتاب في مجمله عبارة عن أحاديث سجلها المؤلف للإذاعة الكويتية خلال عامي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢، يجمع بينها رابط واحد هو الشؤون الكويتية، وهذه الشؤون جاءت متنوعة مختلفة تبعا لتنوع الزوايا التي تعرض لها المؤلف واختلافها، فهي إما حديث عن الكتاب يبحث في شأن من شؤون الكويت المختلفة كأن يكون هذا الشأن تاريخا أو علما من الأعلام أو مؤسسة من المؤسسات، وهذا الحديث يأخذ منحى التعريف بالكتاب وبمؤلفه وبتحليل ما جاء فيه من دراسات كما فعل في حديثه عن ـ تاريخ الكويت ـ لعبد العزيز الرشيد و ـ أيام الكويت ـ للشيخ أحمد الشرباصي و ـ لكي لا تنفخوا في رماد ـ لعبد الصمد التركي و ـ المجتمع العربي بالكويت ـ للأستاذ عبدالعزيز حسين وغيرها من الكتب الأخرى.

وإما حديث يتكلم فيه المؤلف عن واحد من أدباء الكويت وأعلامها المشهور له بالأدب والتأليف كأحاديثه عن ـ عيسى القطامي، ومساعد الرفاعي، وعبدالعزيز الغربللي، ومحمود توفيق.. إلخ.

وإما حديث يبدعه المؤلف من انشائه يتحدث فيه عن مناسبة من المناسبات التي تمر بالكويت، أو مؤسسة من مؤسساتها الثقافية والتعليمية أو وضع من أوضاعها الإدارية كما فعل في حديثه عن العيد الوطني والمدرسة المباركية وتطور القضاء في الكويت.

والمؤلف، وهو يتطرق في حديثه إلى الأمور السالفة، لا يتخلى عن نظرته النقدية الفاحصة التي تعطي لكل ذي حق حقه، ولذلك لم يخل الكتاب من اللمحات

النقديـة التي يبديها المؤلف في هذا الكتـاب أو ذاك أو في أدب هذا الأديب أو ذاك كما فعل في حديثه عن كتاب ـ لكي لا تنفخـوا في رماد ـ لعبدالصمد التركي وكتاب ـ من الأمثال العامية في الكويت ـ لخالد سعود الزيد.

أحلام كمال سليمان ـ القاهرة

***

دراسات كويتية

الطبعة الثـانية من كتاب «دراسـات كويتية» للأديـب الشاعر فاضـل خلف صدر بطبعته الأولى عام ١٩٦٨. وكانت مادتـه قد كتبت ما بين ٦١ و ٦٢ كأحاديث عن الكويـت تذاع اسبوعيـا من دار الإذاعة الكـويتية، هذه الإشـارة تضمنتها مقـدمة الطبعة الأولى. أما الطبعة الثـانية التي ظهرت في شهر حزيـران «يوليو» الماضي. فقد تضمنت مقـدمة مناسبـة لهذه الطبعة. ويبـدو أن الكتاب لاقى إقبالا واهتمامـا من عدد لا بأس به من أدباء البلدان العربية الذين أتيحت لهم فرصة قراءته. فكتبوا إلى المؤلف مبدين ارتياحهم وإعجابهم بهذا الكتاب، الأمـر الذي دعا المؤلف أن يذكر لهم هذا الموقف بالإشارة إلى أسمائهم في صفحات الكتاب الأولى.

● قبل أيام، قدم إلي الأستاذ فاضل خلف نسخة من الطبعة الجديدة من «دراسات كويتيـة» فواجهني في البدايـة عنوان : «تاريخ الكـويت القديم» ليتحـدث فيه عن مدينة كـاظمة القديمة التي «كانـت مأهولة بالسكان قبـل الإسلام، وبقيت محافظة على شهـرتها وأمجادها حتى أواخـر الدولـة الأمويـة، وكانت مقـرا للأدب والشعـر، وملتقى الطرق بين الشام والعراق، ومسرحا رحيبا للعشاق وأرباب الفن.

وجرت على أرضها معارك حربية كثيرة، أشهرها واقعة «ذات السلاسل» التي انتصر فيها العرب بقيادة خالد بن الوليد على الفرس بقيادة هرمز».

وينتقل في هذا الموضـوع « تاريخ الكـويت القديم » بالعـودة إلى جزيرة فيلكـا أيام اليونان والـرومان، والتي كانت كذلك عـامرة بالسكان، مشيرا إلى آثـار هذه الجزيرة المعروضة في متحف الكويت حاليـا. والتي كشفت عنها البعثة الدنماركية. ثم يشير

إلى « الصبية » التي تبعد أربعين ميـلا شمال مدينة الكويت، وسكنهـا قديما قوم من الصـابئـة، بعد خـروجهـم من مصر وفـارس، وانتهت بهم الحال إلى رحيلهم نحـو العراق. و« الصليبية » كانت مأهولة بالسكـان من بقايا الصليبيين الذين قدموا من أوروبا لغـزو الديـار المقدسـة. ويستشهد المؤلف بقـول ياقوت الحمـوي في معجم البلدان « الصليب جبل عند كاظمة »

ثم يشير إلى « اوارة » وهـي مـركـز حقـول النفط حـاليـا، والتي تسمـى وارة. وهي مشهورة في التاريـخ ودارت فيها معارك حربية قبل الإسـلام وهي حروب دارت بين المنـذر بن مـاء السماء، وعمرو بـن هند وتميـم. ويتابـع المؤلف حـديثه عـن المواقع الأخرى من الكـويت في التاريخ القديم آخـذا هذه المعلومـات عن كتاب « مختصر تاريخ الكويت » للأستاذ عبدالله الفرحان.

● وفي موضوع آخر يتحدث عن الكويت منذ مائة عام، ثم « من تاريخ الكويت » وينتقل إلى المؤرخين الكويتيين مثـل عبدالعزيـز الرشيد، وسيف مـرزوق الشملان، وإلى الشعراء أمثـال فهد العسكر، وخالـد محمد الفرج، وشعراء الكـويت والجزيرة، وغير ذلك مـن الموضوعـات التـي ترسـم في مخيلـة القـارىء فكرة تـاريخية وأدبيـة وجغـرافية عن الكـويت في تـاريخها الحديث خـاصـة. وليس من شك بأن كتـاب «دراسـات كويتيـة » جاء وليـد جهد وحـب من شاعـر أديب ينظـر الى بيئته نظـرة موضـوعية مملوئة بالـوفاء والبحث والمتابعـة مزج فيها الأدب بالتـاريخ والعادات، ووصل إلى إعطـاء صـورة حقيقية منـوعـة القطوف والمزايـا عن الكـويت الحديثـة والقديمـة من خلال جولاتـه في عقول رجالاتها وما تـركوا من آثار مبكـرة في حياتها المعاصرة.

وليس من شك أيضـا بأن يكون كتاب « دراسات كـويتية » مرجعا لمعـارف الكتاب والقراء في البلـدان العربيـة الذيـن لم تصلهم من أخبارهـا سوى أنها أرض الـذهب الأسود.

ولعل صـدور الطبعة الثانيـة من هذا الكتـاب أكثر حـاجة إلى القارىء مـن طبعته الأولى، إذ أن جيـلا جديـدا من القراء لم يحظ بها فيـه من معـرفة وذكـريات بعضهـا تاريخي وبعضها أدبي، وفيها ما يجمع بين المجتمع والأدب.

سعيد فرحات

فاضل خلف .. كاتب كويتي صديق لتونس

تحت هـذا العنوان ، نشرت جـريدة «لابـريس» اليـومية التي تصـدر في تونس باللغـة الفرنسيـة مقالاً لمحـررها الأدبي السيـد محمود أصـلان تناول فيـه بالتحليـل كتاب/ دراسات كويتية / وفيما يلي ترجمة المقال :

منذ حلـوله بـالبلاد التونسيـة سنة ١٩٦٢ ، للعمل بسفـارة الكويـت مستشار صحفياً اخذ اسم الأستاذ فاضل خلف يلمع في الأوساط الأدبية والفكرية بتونس هذه الأوساط التي اندمج فيها تلقائيا وبادلته ودا بود .

وبمقدار ما زادت السنوات العشر التي قضاها بتـونس وطنه الثاني ـ كما يعتبرها هو نفسه ـ في تفانيـه لوظيفته كديبلوماسي وإخلاصه لقلمـه ككاتب ، فقد استطاع خلال هذا الفترة من الزمن ان يعمل باستمرار على تـوثيق الروابط الروحية والفكرية بين الكويت وتونس ، بما بذله ويبذله من جهود مرموقة في هذا المجال .

ويعتبر كتاب (دراسات كويتية) جزءا من تلك الجهود .

وهذا الكتـاب ومن حيـث الإخراج والطبع ، ويقـع في نحو ١٦٠ صفحـة ، من شأنه ان يشرف صناعـة الطباعة في الكويت .. وهو يحتـوي على نحو ثلاثين دراسة خص بها الكاتـب إذاعة الكويت لـدى عودته من بـريطانيا وقبل مجيئـه إلى تونس لمباشرة عمله بسفارة بلده .. وتتناول هذا الدراسات مختلفة جوانب تاريخ الكويت القديـم والحديث والمعـاصر ، والحياة الأدبيـة والفنية ، وعـادات هذا البلـد العربي وتقاليده الموروثة .

وقد سبق للأستاذ فاضل خلف أن أصدر قبـل ـ دراسات كويتية ـ كتبا أخرى : منهـا (أحلام الشبـاب) وهي مجمـوعة قصـص مقتبسة عـن الكتاب الغـربيين أو موضـوعه ، وتعتبر هـذه المجموعـة القصصية بمثـابة تمهيـد السبيل أمـام الشباب الكويتي لطرق موضوع أدب القصة :

وكتاب عـن الكاتب المصري المعروف المرحـوم « زكي مبارك » الذي أعجـب به صاحب / دراسات كويتية / في شبابه ..

ثم كتاب « في الأدب والحياة » الذي صدر سنة ١٩٥٦ .

صحراء مخصبة ...

ولئن اشتهـرت الكويت اليـوم بكونها أغنـى إمارات الخليج العـربي وأجملها على

الإطلاق ، بفضل ما حباها الله من ثروة بترولية ، فقد كان هذا البلد على مر الأزمان عزيزا مخصبا بفضل نشاط بنيه وحزمهم ، سواء في سبيل الارتزاق أو في سبيل الانتاج الفكري ..

وعندما نقرأ تاريخ الكويت في ظل الحكم الإسلامي وخاصة خلال القرنين الماضيين تحت راية آل الصباح « نجد أنه كان دائما مثالا لهذا النضال المزدوج .

ويبدو أن الكاتب الكويتي فاضل خلف قصد بدراساته هذه أن يثير انتباه قرائه إلى تلك الصفحات الذهبية من تاريخ بلاده ويقدم لهم عينات من علماء الكويت وكتابه وشعرائه القدامى والمحدثين مؤكدا بره بهم .. مثل الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي أهداه الكتاب ، والأستاذ « سيف مرزوق الشملان " والمرحوم " «عبدالعزيز الرشيد " والشاعر " فهد العسكر " والمؤرخ الشاعر " خالد محمد الفرج » وغيرهم .

ولم يغفل الكاتب في دراساته أصدقاء الكويت الكبار من أمثال (العلامة الأزهري الشيخ أحمد الشرباصي) الذي تولى قبله إذاعة أسمار بواسطة إذاعة الكويت .

فالأستاذ الشرباصي ، كما يعرفه المؤلف ، لم يكن معلما ومحاضرا وموجها للشباب فحسب ، بل كان فوق ذلك صديقا كبيرا للكويت ، أعطاه من جهده ومن علمه واشعاعه الكثير ، ويعد كتابه ((أيام الكويت)) دليلا ماديا على مدى حبه لهذا البلد العريق .

شاعر ملهم...

والأستاذ فاضل خلف ليس كاتبا فقط بل هو إلى جانب ذلك بل أكثر من ذلك شاعر ملهم ومن قرأ قصيدة " نفحة الصحراء " المنشورة على صفحات/ جريدة الصباح التونسية/ بمناسبة ذكرى المولد النبوي ، لابد ان يكون قد أحس بمدى الهام هذا الشاعر وتشبثه بالروح الإسلامية الأصيلة العالية ، بما يؤكد إيمانه العميق إلى جانب كونه ممثلا كفؤا للأدب والشعر العربي الحديث في الكويت .

وباستعراض شعر فاضل خلف ، نجده شاملا لمختلف الاتجاهات الشعرية ، فهو يقول الشعر في المناسبات وبمراجعة القصيدة التي ألقاها سنة 1965 بمناسبة

تكريم المؤرخ التونسي الكبير المرحوم "حسن حسني عبدالوهاب" ، يستطيع المرء إدراك روعة شعر المناسبات عند شاعرنا الأصيل .

ويبدع الشاعر فاضل خلف في قصائده الدينية- كنفحة الصحراء - مثلا.. بقدر ما يجيد في شعره الغنائي ، بكل ما يوحيه إليه الحب والجمال وسحر الطبيعة من مشاعر رقيقة ناعمة .

وستظهر كل هذه الالوان الشعرية قريبا في ((ديوان فاضل خلف)) الذي سيكون بلا شك من ضمن الدواوين المرموقة ، وسيجد فيه عشاق الشعر والفن ما يروي غليلهم .

تونس **محمود أصلان**



لم أكن أعـرف إلا القليل عن الأدب والأدبـاء في الكويت، ولـذا فقد تلقيت بمـزيد الشكـر كتاب الأستـاذ فاضـل خلـف «دراسات كـويتيـة» الذي تفضـل بإهـدائه لي،وأقبلت علي قـراءته بشغـف ورغبة زائديـن ، لأكشف قنـاعا عـن تلك الـزاوية الصغيرة في مساحتها الكبيرة في مكانتها من الوطن العربي .

وإذا اقترن اسـم الكويـت بالازدهـار الاقتصـادي ، والفني والترف والتقـدم في مختلف الميادين ، فيجب ألا يكون نصيـب الأدب أقل اضاءة في سمائها ، ولا أضال نشاطـاً في رحابها . ولقد عز علي أن أقـرأ في الصفحات الأخيرة من هذا الكتـاب ما قـاله المؤلـف في حديثـه مع الأستـاذ عبدالهادي الجواهـري : (فماذا يقول الأستـاذ عبدالهادي الجواهري إذا زار الكـويت في هذه الأيام مـن عام ١٩٦١ حيث الأدب يعاني أزمة شديدة ما عرفها منذ وقـت طويل ، وحيث اختفت اسماء أدباء الكويت بعد ان احتجبت مجلات الأدب عن الصدور ؟ !) . وإن صـدى هذه العبارة ليحز في النفس ويجعل العبء كبيرا على رجال الأدب هناك ليتـلافوا هذه الظاهرة قبل أن تستفحل وتطغى ، فتتغلـب المادة على الفن ، ويضعف فن القـول والبيان في أرض عربية ماعرفت هذا الضعف قط ، ولا سيما ازدهارها العام .

ولأعد إلى أول الكتـاب لأجده مهدى إلى الشيـخ يوسف بـن عيسى القناعـي، وهو من هـو في مجالات العلم والمعرفة والتضحيـة والبذل في كل سبيل يـؤدى إلى التعلم والتقدم. ثم انتقل بعدئذ إلى مقدمة المؤلف لكتابـه فأراه يعرف بالكتاب ويذكر أنه مجمـوعـة مـن الأحاديـث الإذاعيـة ألقيـت في محطـة إذاعـة الكويـت بين عـامـي ١٩٦١ـ١٩٦٢ . وأن المؤلف لم تتح له فرصة تشـذيبه وتغيير صيغه المناسبة للإذاعة لينقله إلى شكـل وصيغ تنـاسب الأدب المقروء. فـاضطر إلى أن يطبعـه كما هو دون تحوير .

والكتاب ينوف على المئة والخمسين صفحة مـن القياس الكبير ولم يقسم إلى فصول وأبواب وإنما هـو مقالات إذاعيـة تحت عناويـن متفرقـة لا تزيـد المقالـة على بضع صفحات، يتناول فيهـا كاتبها موضـوعا معينا كالتعـريف بكتاب من الكتـب التي ألفت حول تاريـخ الكويت أو أوضاعها المختلفة. أو يتناول تعريفـا بأحد الشعراء الأحيـاء، أو ممن اختطفتهـم يد المنـون، وربما يورد أشعـارا لهم، أو اشعارا في مـدح

الأحياء منهم أو رثاء المتوفين. أو ربما يتناول في مقال ما إحدى المناسبات المهمة التي مرت بها الكويت، كالعيد الوطني الذي استقل فيه هذا البلد العربي مثلا. وأحيانا يتخذ من الحديث عن بعض العادات والتقاليد الكويتية موضوعا لمقالة، كما في حديثه عن عادات الكويتيين في العيد تحت عنوان (العيد بين الأمس واليوم). أو قد يحدثنا عن مكان ما عرف في هذا البلد بميزات خاصة مثل كاظمة أو الجزيرة الصغيرة.

ولقد كان المؤلف موضوعيا في كتابته، لا يبدى تعصبه لأناس دون أناس، وإنما غايته التعريف بالأدباء والنواحي الأدبية المختلفة في بلده.

وتظهر موضوعيته كذلك في أنه لم يقصر حديثه على الكويتيين فحسب، وإنما تناول أناسا آخرين من خارج هذا القطر عملوا فيه فترة ما وكان لهم نصيب في تعليم أبنائه وتثقيفهم ودفعهم في ركاب التقدم والحضارة. فهو مثلا لم ينس فيصل العظمة السوري ولا أحمد الشرباصي المصري، وإنما حاول أن يشمل في مقالاته أكثر هؤلاء الرؤوس الذين يعتبر أن لهم أياد بيضاء على بلده في ميادين المعرفة والاطلاع.

وقد طبع الكتاب طباعة جيدة فى مطبعة (مقهوي) في الكويت فقلت أو ندرت فيه الأخطاء المطبعية . ولقد شعر المؤلف بضرورة تنسيقه على غير ما نسق عليه فاعتذر في مقدمته له عن هذا النقص وكيف أنه لم تتح له فرصة تحوير شيء من صيغة أحاديثه الإذاعية .

وللكتاب حسنات بارزة لابد من ذكرها قبل كل شيء وهي : أولا : اطلاعنا على مجالات نجهلها عن الوضع الأدبي في الكويت . ثانيا : امتاعنا بإيراد كثير من الأشعار المختلفة في موضوعاتها ومناسباتها مما أحسن الكاتب انتقاءه في قسم كبير منه . ثالثا : خلق حافزاً لدينا الى مزيد من القراءة والاطلاع بتعريفنا على أسماء مؤلفين ، كنا نجهل الكثير منهم ومنها لولا هذا الكتاب . رابعا : إن اسلوب الكاتب قوى ومتين وجذاب ، فلا يشعر قارؤه بملل ولا سأم حين يقرأ له ، وبذلك يصل إلى الغايات التي أرادها له المؤلف . ومع ذلك فإن أمورا عديدة نتمنى لو تحققت أو تتحقق في طبعة أخرى للكتاب إن شاء الله . أولها : شيء من التوسع الحديث عن الأدباء الذين أراد الكاتب التعريف بهم ، حيث بقيت صورهم

شاحبة في أذهاننا لم نستطع تخيلها على النحو الأكمل . ثانيا : السعي إلى إثبات سني الميلاد ، وسنى الوفاة للمتوفين من هؤلاء الأدباء، وذلك لأن تمديد الإطار الزمنى بدقة له أثره على القارىء . فقد عمد الكاتب إلى شيء من هذا التمديد في بعض ما كتب ولكنه لم يستوفه بالنسبة للكثيرين . ثالثا : ضبط بعض أسماء الأمكنة وأسماء الأعلام بالشكل ، لأن بعد المكان يجعل في قراءتها شيئا من الغرابة ولو ضبطت لأمن اللبس .

ولقد وعدنا الكاتب بصدور الجزء الأول من ديوانه على الصفحة الأخيرة من الكتاب . فعسى أن نلتقى به قريبا ونستمتع بقراءته وعسى أن يتصل نشاط أديبنا في خدمة الأدب الكويتي خاصة والأدب العربي عامة .

دمشق لُطفِيّه الشهابي



دراسات كويتية

في « ١٥٦ » صفحة من الحجم المتوسط الأنيق يقع كتاب « دراسات كويتية » للأديب الكويتي المعروف فاضل خلف، وهو غني عن التعريف. فاضل خلف أرّخ للكويت من خلال الأدب شعره ونثره

وإذا كنا نريد هاهنا تسليط الضوء على كتابه الجديد « دراسات كويتية » فإنما نفعل هذا بدافع من إحساسنا العفوي بأن هذه الدراسات القيمة، يجب ألا تمر بالقارىء مرور الكرام، بل إن لابد من وقفه تأمل عندها، لأن فى معظمها تاريخا للحركة الأدبية والفكرية في الكويت من جهة، وتقييما من المؤلف للكثير من أعمال الادباء والشعراء المحليين، سواء على صفحات الصحف والمجلات أو عبر الإذاعة لسنوات مضت وكانت كثيرة الخصب والعطاءات فكرا، وفنا، وأصالة لا نملك ازاءها إلا أن نعرب للمؤلف عن بالغ التقدير والاعتزاز خصوصا وأننا في الكويت، وفي مختلف الميادين والمجالات نواكب نهضة عظيمة في شتى مناحي الحياة، من أجل مستقبل أفضل بسام.

وبديهي أن يكون « للفكر الكويتي » ونشوئه الرائع، في هذه الحقبة من الزمن،أثره الطيب وصداه البعيد وانعكاسه المباشر على مجرى الحركة الأدبية، من خلال أدبائنا وكتابنا ومثقفينا الكويتيين العاملين بصدق وحرارة واندفاع في النهوض بالمستوى الثقافي للبلد، باعتباره مظهرا حضاريا من حضارة الفكر المعاصر، في زمن لم يعد من مكان ولا سلاح فيه، إلا لمكان العلم، وسلاح الثقافة.

ولقد تصفحت كتاب « فاضل خلف » ، وكنت فيما مضى من سنوات ومناسبات، قد قرأته في كثير من مقالاته، واستمعت إليه في العديد من أحاديثه، فكان عملا موفقا منه أن يجمع بين دفتى هذا الكتاب الجديد معظم نتاجه يتركه أثرا مستحبا، ومرجعا وثائقيا، لكل قارىء وكل ناقد وكل باحث يسعى وراء معرفة الحقيقة الفنية للعمل الأدبى والفكري.

ومن أبرز البحوث التي عالجها وتطرق إليها الأستاذ فاضل خلف في كتابه، ما كتبه في مستهل دراسته عن تاريخ الكويت وعن بعض رجالاتها الادباء والشعراء القدامى، ومن طوتهم صفحة الذكريات ، في الأمس البعيد، ومن هؤلاء السيوف الأوائل، عبدالعزيز الرشيد ، وفهد العسكر، « حياته وشعره » وخالد محمد الفرج

وعيسى القطامي، ومساعد الرفاعي ، وعبدالله الصانع ، وعبدالصمد تركي، وعبدالعزيز الغربللي ومحمود توفيق وشملان بن علي آل سيف وغيرهم آخرون فضلا عن أبحاثه الأدبية القيمة عن « شعراء الكويت والجزيرة الصغيرة والأمثال العامية في الكويت »و« العيد بين الأمس واليوم » وغير ذلك من الموضوعات ذات الأهمية وذات الصلة الوثيقة بالكويت تاريخا، وشعبا وحياة. وللحق ، فإن الأستاذ فاضل قد وفق تماما في تعريفه لنا بكثير من أدبائنا وشعرائنا الكويتيين، كانت صلتنا بهم معدومة أو مجهولة أو مبتورة، فجاء فاضل واستطاع بقلمه وذوقه وإدراكه أن يؤرخ لتراثنا وأن يلقي الأضواء الكاشفة على أدبائنا ويبسطهم لنا من خلال نتاجهم وآثارهم، هدفه من ذلك تأدية خدمة متواضعة حيال بلده وشعبه، بوحى من التزام الأديب بقضية الإنسان، وقضية الحق، والحرية، والكرامة الإنسانية.

وكتدليل لمدى ارتباط الأديب بأرض الوطن وسمائه وهوائه وحريته ومصيره، نقتطف هذه المقاطع من مقال « فاضل خلف » صفحة «٥٨ ـ ٥٩ » ففيها الخبر اليقين :

... وفي يوم جميل أغر ، وردتني رسائل من أرض الوطن الحبيب، ما كدت ألقي نظرة عابرة على مغلفاتها ، حتى استبد بي الفرح واستولت علي الدهشة، ولم أعد أعرف ما أفعل أو أقول. لقد كانت المفأجاة قوية، بل كانت كاسحة اكتسحت كل سمات اليأس من النفس، وأزالت كل علامات القنوط.

وأخذت أطيل النظر بيدٍ مرتعشة وقلب خفاق، في «الطابع الوطني» الكويتي الذي يحمل صورة القائد الحكيم« الأمير الراحل عبدالله السالم الصباح»وقبل أن أقرا الرسائل ،وقبل أن يرتد الي طرفي، رأيتني أخرج من المنزل مسرعا لأهدى هذه الطوابع الوطنية لكل من كان يستهديني طوابع بلادي، فما كان يجد مني غير الإعراض والصدود... أما في ذلك اليوم فكنت أتلفت يمنة ويسرة في الطريق، علني أرى اصدقائي وزملائي الذين طلبوا مني في يوم ما طوابع بلادي البريدية، لأهديهم اليوم ما ضننت به بالأمس...

وكان ذلك اليوم «عيدا وطنيا» من أعيادنا المجيدة، في تلك البلاد القاصية.

ومرت الأيام. فزاد الحنين إلى الكويت، وتضاعف الشوق إلى البحر والصحراء وكثر التطلع إلى مسرح الصبا ومرابع الشباب».

وعلى غلاف الكتاب الثاني، يطالع القارىء رسالة من الأديب اللبناني الكبير الدكتور جورج حنا موجهة إلى أديبنا الموهوب فاضل خلف يقول له فيها:

...« أهنئك على وثبتك الشعرية التي خرجت فيها عن شعر القدود والنهود ... إن عالمنا العربي يجتاز اليوم مرحلة تتطلب من كل منا أن يعمل إمكاناته لتفتيح الشعب العربي...

الشاعر بشعره، والناثر بنثره، والعالم بعلمه. ولا عجب إذا كانت قصيدتك التي أتحفتني بها نالت الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية، اذ فيها من المبنى أجمله ، ومن المعنى أفيده.

إن تراثنا الأدبي بأمس الحاجة إلى الأدب العلمي حتى في شعره، عسى أن يتمثل بك شعراؤنا، إذ بذلك يفيدون لا فقط يلذذون ..» وإن فاضل خلف بعد هذا ، أديب طموح ذكي، إلى جانب اكتنازه بالخبرة والتجربة والاطلاع، مما يوفره له علمه وثقافته، وبحكم ممارسته لعمل من صميم هذا العلم وهذه الثقافة، وبحكم هذا العلم وهذه الثقافة، ونعني عمله متشاراً صحفياً في إحدي سفاراتنا في الخارج.

● وثمة كتب منشورة للمؤلف يجدر بنا أن نأتي على ذكرها ومنها: « في الأدب والحياة» و «زكي مبارك بين رياض الأدب والفن» و « أحلام الشباب».. مجموعة قصص صدرت عام ١٩٥٥».

ولعل أصدق ما نختتم به هذه المقالة العجلى ما قاله فيه الأديب الأردني الشاعر عيس الناعوري :

وفاضلٌ انسى الى لطفه
وشعره العذب لتواق

أسعدني بالود من فضله
وهو بهذا الفضل سباق

بشاشة الوجه وصدق الوفا
لصحبه بـرء وتـريـاق

وإلى مزيد من الكسب الأدبي لك وللكويت الحبيبة، يا أخي فاضل.

يوسف المساعيد

حيث إن لقاءاتي مع صاحب - دراسات كويتية - الأستاذ فاضل خلف لم تكن إلا على صعيد أنقى ربما من أي صعيد آخر مادي لأنه صعيد فكري محض، وأدبي ابداعي صرف، متمثل في تعارفنا من بعيد بواسطة ما تنشره (له) وأحيانا - لي - شخصيا بعض المجلات والصحف التونسية ولاسيما الجريدة التي أشاد بفضلها وبمساهمتها في نشر بعض - دراسات كويتية - المؤلف نفسه في تصديره للكتاب المذكور، فإن لقائي اليوم كبقية اللقاءات الأخرى سيكون على الصعيد نفسه بواسطة هذا الحيز الفكري المحض مع إضافة تحوير طفيف يتمثل في كون كلمتي هذه ستكون مصافحة بالقلم عوض اليد وذلك بمناسبة هدية الشاعر الأستاذ فاضل خلف الذي تلطف فخصني مشكورا بنسخة قيمة من كتابه الجديد - دراسات كويتية - قرأتها في سهرة واحدة بين سيجارة وفنجان من قهوتي الليلية.

ولا مناص من الاعتراف بكوني اتهيب الحديث عن أديب ضيف بوطننا لم يكن قط مثل بعض الإخوان الأشقاء العرب الذين مروا على أرضنا الكريمة - أرض ابن خلدون وابن رشيق وصاحب - يا ليل الصب متى غده - مرور مسافر زاده الخيال - ففاضل خلف، خلافا للكثيرين سواه - ما عرفنا فيه إلا السماحة والشهامة واللباقة والدبلوماسية الطاهرة والعروبة الصادقة طوال إقامته بتونس وقد تواصلت ست سنوات في منصبه كملحق (صحفي) بسفارة دولة الكويت بتونس - يفصح بشمائله وبمساعيه لتمتين اللحمة الأخوية بين الكويت وتونس بقلمه ونشاطه وتصرفاته حتى أصبح محبوبا لدى كل تونسي وكوكبا ساطعا في محافل الفكر بالجمهورية التونسية يعرف بالنهضة الفكرية بالكويت في تونس ويعرف بنهضة تونس في الكويت.

ومما يزيد تهيبي تهيبا إضافيا هو ما أثبته المؤلف الفاضل على هامش دراساته القيمة من مقاطع شعرية في مجاملته بأقلام بعض أدباء تونسيين من بينهم (مزهود) و (شيبوب) ثم ما نشرته جريدة (الصباح) التونسية من مقاطع أخرى وكلمات نثرية للشاعرين (محمد الشعبوني) و(الشاذلي عطاء الله)- وقد بلغت تلك الآيات من الإطراء الرقيق درجة من اللطف تجعل كل مجازفة نقدية لاحقة وكل تجاسر على الشكر العادي عملية (لا محل لها من الاعراب) ولاسيما إذا قام بها ناقد أديب لم

تنسب إليه قط موهبة الإطراء والتمدح،أو براعة المحاباة والمجاملة ولو على سبيل الاتهام المفتقر الى برهان واضح أو صريح...

وبعد القراءة الأولى والتهيب الأول والثاني تصفحت الكتاب مرات معدودات بدافع من إرادة «إنقاذ الملامح» أمام الأديب الضيف الذي استوى حسن ظنه بي كما استوى قلمه على أصاله عربية من الفن واستوت مواهبه على نبل من الرهافة والمقاصد، فتدرجت كتاباته (المحافظة جدا) من نضج إلى اختمار إلى رصانة علمية جادة في كتابه «دراسات كويتية» بعد القراءة الأولى كما قلت، اهتديت إلى أنه ليس من الإطراء في شيء أو من التمدح في شىء أو من المحاباة والمجاملة في شىء ان أسجل مايلي:

أديبنا صاحب (دراسات كويتية) ليس فقط ذلك القصاص الرائد بأولى مجموعة قصصية في الكويت أو الفائز في أكثر من مسابقة شعرية ضخمة، أو مؤلف أول كتاب عن الدكاترة زكي مبارك على مستوى جميع أدباء العرب وإنما هو فوق ذلك أديب موهوب (بصيغة الجمع) مثل الدكاترة زكي مبارك من بعض الوجوه لأنه من القلائل الذين انفقوا اصالة فنهم العربي بمنتهى الإنصاف والعدل ضمن أنماط أربعة من التعبير يمارسها صديقنا الفاضل بفائق الارتياح : القصة القصيرة، المقالة الصغيرة، الدراسة الدسمة والقصيدة العصماء الجديدة الأغراض...

وكتاب (دراسات كويتية) الذي شرفني صاحبه الفاضل خلف بنسخة قيمة كنت قد أشرت منذ قليل إلى أنني قد قرأتها في سهرة واحدة بين الغليون وفنجان من قهوة، ونسيت أن أشير إلى أنني قد عاشرتها طويلا إشفاء لرغبة قديمة في .. استشراف آفاق بلاد (الفرزدق) الخالدة - هذا الكتاب إذن هو إطلالة عالية خفيفة الظل قد جمع فيها المؤلف دون اجترار أو تكرار خصائص كتبه الثلاثة الأولى في روعة تنسيق، وحلاوة مزج، فإذا المواهب الأربع(الحكي والشعر والتقصي في البحث والإحكام في المعالجة) تتوافر في (دراسات كويتية).

فالفاضل خلف القصاص كاتب المقالات، الشاعر والباحث لم يخرج في اهابه فإذا هو في كتابه الأخير ما كنا قد عرفناه في كل واحدة من مواهبه السابقة وقد تآلفت واكتملت مع شيء من التطور والتألق، هذا يعني ان (دراسات) كويتية

ليس كتـابا نثريـا تماما وإنما هـو ديوان شعرى أيضـا بقدر ما هـو مجموعـة قصص قصيرة،أقول هـذا مع العلـم أن فاضل خلـف لم يقصد إلا الـدراسة العميقـة التي امتازت بعنـاية حكيمة التـدبير، سليمة المعالجة نبيلـة المقاصد اعتمادا على دعـامة حارة من الوطنية،إلا أن هذا الأديب في نثـره وتصويره القصصي أحيانا المتشبع بنبل داخلي فياض قد بقـى شاعرا أي لم تتجرد عبارتـه المنطقية الدقيقة مـن رهافة الحس وطلاوة البيان وروح المؤانسة والإمتاع، فـالقارىء نتيجة لهذه المميزات والخصائص لا يكتفي بالنظـر إلى (دراسات كويتية) كنافـذة سحرية مطلة على القلـب النابض (الكـويت) الـذي هـو أدبها وأربابـه وإنما هو - أى القـارىء - ابتـداء من قـراءة (دراسات كـويتية) والإطلال مـن تلك النافذة السحـرية على (الكويـت) الشقيق يصبح صـديقا «فكريا» لكـل ما سمحت صفحـات الكتاب بتقديمه أو النـافذة السحرية بكشفه وإبرازه.

القارىء عندمـا يعود إلى مقدمة الكتاب يـدرك سر نجاح فاضل خلـف عندما يعلم أن فاضل خلـف قد كتب التسعة والثلاثين حديثا للإذاعـة الكويتية وبطلب منها أي بذهنية التحـاور المباشر الحي مع الملايين من مستمعي الاذاعة مـن الذين لاتكون مخاطبتهم كمخاطبـة الصفحة الباردة وإنما وفقا لمقتضيات الكتابـة للإذاعة تكون مخاطبتهـم كالتي أدركهـا فاضـل خلف ، وهل الأدب الإذاعـي إلا هذا المزج المرافق على النحو التالي:

(شعر + قصة + حوار + مقالة) = كتابة إذاعية ناجحة (؟) وبعد!

هذه مصـافحة أديب لأديـب آخر وليست نقـدا لكتاب ألفـه رجل فاضـل عن وطنه المحبـوب الذي هو جزء مـن العالم العربي تهمنا حيـاته الأدبية بقدر مـا تهمنا تـونس أو لبنـان أو غيرهما، وحبـذا لـو نقرأ لأمثـال فـاضـل خلف أمثـال هـذه - الدراسات الكويتية - القيمة.

تونس　　　　محمد مصمولي

دراساتٌ كويتية

أتتني (دراسات كويتية) تسبي
صحائفها البيضاء تسحر ذا اللبّ
أتتني، وإني لَلْمشوق لمثلها
فكان لها فعل السلافة في الشَّرب
أتتني كما تأتي الحبيبة فَجْأة
فان بتٌّ مسلوب الفؤاد فما ذنبي؟!
أتتنيَ كالآمال دون ارتقابها
فأحيت مني نفس تَضرّمُ بالحبّ

***

صحائف تجلو كل ماكان خافيا
عن البلد المحبوب مفخرة العرب
بها مبتغي العرفان يدرك ما ابتغى
فيعرف أعلام «الكويت» من القرب
فما شئت فيها من دروس طريفة
عن الأدباء الغر في ذلك الشعب
وما شئت فيها من بيان وحكمة
وما لم تقدّ ر أن يسَطّر في الكتب
وجدت - إلى أنس الحديث بها - شذى
لها طيباً، والنبل عن نفسه ينبي
فصول بهن الشعر والسحر ذُوّبا
فصيغ شراب منهما سائغ الشّرب
فصول أبوها «فاضل خلف» ومن
يكن فاضلا ينجب بنين من النجب

تونس
البشير العريبي

دراسات كويتية

فاضل خلف، اسم معروف في الوسط الكويتي، ومعروف بين الأدباء والعلماء العرب في أكثر البلاد العربية، وإذا كان الأستاذ فاضل ذا جوانب متعددة يمكن أن يكون كل منها حديثا مستقلا ومطولا، فإن أعظم هذه الجوانب وأكثرها غنى أو أصالة هو إنسانيته... نعم إنسانيته هذه الصفة التي نفتقدها في الكثيرين هذه الأيام، فمن يعرف «فاضل خلف» يعرف التواضع بكل أبعاده، ودماثة الخلق، ولطف المعشر وحلو الشمائل.

انساقت هذه المقدمة انسياقا رغما عني، وأنا أحاول الكتابة عن الطبعة الثانية من كتابه «دراسات كويتية» ربما لأن هذه الصفات هي أبرز ما لفت انتباهي في هذا الإنسان.

و «دراسات كويتية» الذي طبع لأول مرة في أواخر عام ١٩٦٨ هو عبارة عن أحاديث إذاعية سبق أن ألقاها في إذاعة الكويت عام ١٩٦١، ولم يتمكن من نشرها آنذاك.

وهذه الأحاديث الإذاعية ليست سوى صفحات من تاريخ الكويت أعلاما وكتبا وتاريخا وأدبا ــ قصد منها صاحبها إلى التعريف بالحياة الفكرية والأدبية في الكويت، وما أحوج الشباب اليوم إلى تقليب هذه الصفحات المضيئة التي تذكر برواد النهضة الأوائل في الكويت الذين كانوا وراء دفع عجلة النهضة ورسوخ التقدم والرقي الذي نعيش مظاهره اليوم.

والأستاذ فاضل قاص ودارس وشاعر عرفنا له «أحلام الشباب» كمجموعة قصص و «في دروب الأدب والحياة» و «سياحات فكرية» و «زكي مبارك» كدراسات ومقالات و «على ضفاف مجردة» و « ٢٥ فبراير» كمجموعات شعرية.

و «دراسات كويتية» التي بين أيدينا الآن تعني ــ كما سبق ــ بنشر صفحات من الحياة الفكرية والأدبية في الكويت للتعريف بالرجالات والتذكير بالمناسبات السعيدة والأحداث المهمة ومراحل التطور التي مرت بها دوائر الكويت.. كل ذلك لوضع صورة عن ماضي الكويت وحاضرها في الأذهان.

والكتاب صورة عن صاحبه طلاوة وسلاسة وسهولة، فتعال معي عزيزي القارىء لنطوف مع الأستاذ فاضل في هذه السياحة الفكرية.

أولى الدراسات تعليق مختصر على كتاب راشد عبدالله الفرحان «مختصر تاريخ الكويت». وقد اختار الأستاذ فاضل الفصل الثاني الذي عقده مؤلفه للحديث عن تاريخ الكويت القديم حيث يتحدث فيه عن كاظمة والصبية والصليبية والرحية وأوارة وغيرها ـ من المناطق التاريخية التي شهدت أحداثا عظيمة غيرت وجه التاريخ أحيانا ـ في الأدب والتاريخ.

أما الحديثان الثاني والثالث فيتناولان أيضا تاريخ الكويت، فالأول يتحدث عن الكويت قبل مائة عام، عن طريق الكتاب الذي ألفه الرحالة الامريكي لوثر ونشره عام ١٨٩٠.. ويتحدث الثاني عن كتاب «من تاريخ الكويت» الذي ألفه الأستاذ سيف مرزوق الشملان وهو كتاب جامع شامل تناول فيه مؤلفه جغرافية الكويت وتاريخها قديما وحديثا، وترجم فيه للعلماء والأدباء والشعراء وتحدث عن العادات السائدة وأسماء الأشجار والأعشاب البرية المعروفة والطيور والأسماك بالإضافة إلى الأمثال الكويتية ومقابلها من الأمثال العربية، إنه كتاب موسوعي يجد الباحث كل ما يرغب به فيما يتعلق بالكويت لكن مؤلفه أدرك أن أي عمل مهما بلغ كماله ونضجه فسيظل ناقصا، فجعل عنوانه «من تاريخ الكويت» واضعا في ذهنه أن يعيد محاولة كتابة تاريخ الكويت بشكل مفصل أكثر من سابقه.

وينتقل بنا الأستاذ فاضل للحديث عن المعلم الاول عبدالعزيز الرشيد صاحب كتاب «تاريخ الكويت» محددا مصادر ثقافة هذا العلم في مسيرة الكويت الثقافية بأنها:

- الاستعداد الفطري.
- كثرة الأسفار.
- الدراسات الدينية والعربية قديمها وحديثها.

ومن المعروف أن عبدالعزيز الرشيد هو الذي أصدر مجلة الكويت وساهم في إنشاء النادي الأدبي في الكويت.

وفي حديث آخر سجل الكاتب كلمة شكر للأستاذ المعروف الشيخ أحمد الشرباصي الذي خدم الكويت خدمة عظيمة بكتابه «أيام الكويت» وهو موسوعة فكرية أدبية كبيرة أورد فيها صاحبها كثيرا من المعلومات ـ التي لم يسبق إليها ـ عن الحياة الفكرية والأدبية في الكويت، وقد أصبح هذا الكتاب فيما بعد مرجعا رئيسياً

ومهما لأي باحث في هذا المجال.

وبالإضافة إلى هذا العمل العظيم فقد كـان للأستاذ الشرباصي مناشط أخرى سواء في مصر مع طلبة الكويت هناك أو في الكويت أيام كان فيها ملء السمع والبصر.

ثم يسجل الأستاذ فاضل خلف بأسلوبه السهـل كلمة شكر أخرى للأستاذ فيصل العظمة صاحب كتـاب «في بلاد اللؤلؤ» ويدعوه إلى إعـادة طبع هذا الكتاب القيم ليطلع عليه النشء الجديد.

ويتابع الكاتب سياحـاته الفكرية والأدبية فيحدثنا عن فهد العسكـر وخالد الفرج وعيسى القطامي وعبـدالله الصانع وأحمد المشاري ومسـاعد الرفاعي وعبـد العزيز الغربللي ومحمود توفيق وشملان بن علي آل سيف وصقر الشبيب.

ولا يسعني هنـا ـ طبعـا ـ ذكر كـل الأحاديث التـي وردت في الكتاب وهي تسعـة وثلاثون حديثا طوف فيها الأستاذ فـاضل في مختلف جوانب الحياة الفكرية والأدبية في الكـويت وتعرض لأهم الأحـداث التي شهـدتها الساحـة الكويتيـة ونوه بـدور الأعـلام الذين رفعـوا راية العلـم والفكر والأدب حتى مهـدوا السبيل أمـام الجيل الجديد وأغنوا فكره وشعوره.

إنه كتاب قيم هذا الذي أتحفنا به الأستاذ فـاضل، فكلمة شكر وتقدير له آملين منه أن يفي بوعده في نشره بقية الأحاديث التي خصصها للأندلس.

فيصل الحفيان



الملحق الثاني

رسائل الأدباء عن كتاب

دراسات كويتية

في طبعته الأولى

١٩٩٥

حول ـ دراسات كويتية ـ بقلم : الشيخ محمد الهادى العامرى

معذرة أيها الأديب الفاضل الكريم الأخ سيدى فاضل خلف، فقد وصلت إليّ نسخة من دراساتكم الكويتية بقلمكم السيال، شاء فضلكم وكرمكم العربى الموروث عن الأجداد أن تجودوا بها على أخ لكم يقدر يراعكم ويطرب لفيض بيانكم ورقة شعوركم، ولم أجد وقتا آنذاك لدراسة الدراسة، واليوم وقد طالعتها فاسمحوا لأخيكم أن يقول كلمة موجزة عن تلكم الدراسات القيمة، سائلا منه سبحانه أن يكثر من أمثالكم وأن يمدكم بروح منه: وقديما قيل

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا
لدى المجد حتى عد ألف بواحد

وقيل أيضا :

فما أكثر الناس بل ما أقلهمُ
والله يعلم انى لم أقل فندا
إنى لأفتح عينى حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحدا

لذلك تضطرب الحياة ويعكر صفوها إذا فقد منها ذلك الواحد ولا تتأثر أبدا إذا فقد منها الألوف، فلفقد الواحد تهتز وتميد ولفقد الكثير لا بسمع لها صدى لأن ما يجمع بين أرواحنا لا يجمع بين اجسادنا، فالروح الطموح الوثاب الكريم يتسع وجوده بمقدار ما يضيق غيره، وأنتم أيها الأستاذ فاضل من أولئك الأفذاذ الذين اتسع وجودهم وعز نظيرهم لأنك والحق يقال أول من عرفنا بالكويت وأبرز لنا مكنوناته وجلاه أمامنا بعد أن كنا نجهله ولا نقرأ عنه شيئا فأنتم كاسمكم ـ فاضل ـ بل أول أديب عربى يكشف القناع ويزيح الستار ويرفع راية الكويت

خفاقة ويقدم للدنيا منارة الشعاع الوضاء ليشاهده الدانى والقاصى ومن حسن الحظ أننا شاهدنا فى مرآة الدراسة الكويتية ما لا نكاد نتصوره ونظفر به من الطرائف واللطائف والآراء الحصيفة والتفكير العميق والرأى السديد، حبرها قلم فياض مخلص مقتدر فأحيا بها آثار الادباء بالكويت والأبطال والزعماء

والمصلحين، بل صير الكويت الأدبية، متألقة شعاعة كانت محتشمة محتجبة فرفعتم النقاب عن وجهها الجميل الساحر ففتنتم بها دنيا الأدب

فشكرى لكم شكر المنابت للحيا
إذا ما اكتست منه ثيابا من الزهر ؟

دراسات كويتية

هذا هو عنوان الكتاب النفيس الذى صدر منذ أيام عن مطبعة مقهوى بالكويت، للكاتب الكويتى المعروف فاضل خلف.

والكتاب يحتوى على سلسة من الأحاديث التى تتناول تاريخ وأدب الكويت، وقد سبق للكاتب أن أذاع بعضها من إذاعة الكويت، كما نشر جزءا كبيرا منها على صفحات جريدة الصباح الكويتية.

والأستاذ فاضل خلف شاعر وقصاص سبق له أن نشر على صفحات الأديب اللبنانية، وله كتاب عن زكى مبارك.

وقد نوه بجهوده الأدبية عدد من كتاب العالم العربى، من أمثال المرحوم الدكتور جورج حنا، وعيسى الناعورى وحسن حسنى عبدالوهاب وذلك على صفحات الأديب اللبنانية والمساء القاهرية، والبيان الكويتية.

ويعمل الأستاذ فاضل خلف ملحقا صحفيا لسفارة الكويت بتونس، ويشارك هناك فى النشاط الثقافي .

وكتابه دراسات كويتية يتضمن العديد من المعلومات المهمة عن الحياة الأدبية للكويت الشقيق الذى ارتبط فى أذهان الكثيرين بالبترول والبترول وحده.

الميدان (طرابلس الغرب) ١٧/٨/١٩٦٩

إلى حضرة الأستاذ الكبير سيدى فاضل خلف تحية طيبة

سيدى

إن الشمائل العربية غنية عن الاطراء كغناء الزهور الفواحة عن المدح والثناء وهل الديمة فى حاجة إلى الشكر إذا هى أروت وأحيت مواتا

فالأصالة فى كل شىء من أشياء هذا الوجود هى الرصيد الباقى والعنصر الحى إذا ما ذهبت وفنيت العناصر، وهى الصبابة التى بقيت لنا بعدما ذهب الزبد، وحسبنا أن بقيت لنا معشر العرب بعد ذوبان الأصالات، وبهذه الأصالة الكريمة يتعاطف العرب اليوم وتتعانق أرواحهم وتتناجى قلوبهم وتهفو الدماء إلى الدماء وإن بعدت الشقة وشط المزار .

وأولى الناس تأثرا بهذه الأصالة وأقربهم بها رحماهم الشعراء الذين هم أوعية الحكمة ورسل الإخاء ووشائج القربى يبعثون ما اندثر ويصلون ما انقطع ويجددون ما بلى او رث.

وعن طريق هذه الأصالة العريقة تلقيت شاكرا ممنونا هدية الأخ الكريم والشاعر الفحل كعربون بدأنى بتقديمه والبادى أفضل ـ على توثيق صلة لم تكن بين العرب بمقطوعة وإبلاغ صوت كان وايم الله ـــ من قبل اليوم مسموعا واضح النبرات جميل الوقع ذاهبا فى مسالك النفس كل مذهب.

فشكرا للاخ الفاضل مرة أخرى من أعمق أعماقى وأمتعك الله وامتع بك

والسلام ورحمة الله من أخيك

تونس الشاذلى عطاء الله

حضرة الأستاذ الأديب فاضل خلف المحترم
تحية طيبة مباركة

وبعد، فقد نعمت بتسلم كتابكم (دراسات كويتية) منذ يومين، عن طريق جريدة الحياة. وقد سارعت لكتابة هذه الكلمة العجلى إليكم، بعد أن مررت على معظم فصوله، لأشكر لكم تفضلكم بإرسال هديتكم القيمة، ولأثني على جهدكم المبارك، إن شاء الله، في نشر تراث الكويت الفكرى، التليد منه والطارف، فذلك من أهم ما يترتب على أبناء كل قطر عربي القيام به لتعريف أبناء الأقطار الأخرى بالحياة الفعلية والأدبية في أقطارهم.

فأرجو أن تعتبروا كلمتي هذه إشعارا بالوصول فقط، راجيا أن تتاح لي فرصة دراسة الكتاب، والانتفاع بما حوى من الدراسات المفيدة لأعلام نجهل عنهم كل شيء.

إلا أنه لابد لي من أن أشير إلى وفائكم الصادق للأخ الصديق الأستاذ فيصل العظمة، وإشادتكم بجهوده التي بذلها في مطلع شبابه، في وطنه الثاني، فذلك مما يحمده لكم من عرف في هذا الزمان معنى « الوفاء » بعد أن عز الوفاء.

وتقبل يا سيدى أطيب تمنياتي، وأصدق عواطفي ومحبتي

بيروت ٢٠ جمادى الأول ١٣٨٩ هـ
٣ آب (اغسطس) ١٩٦٩م

ظافر القاسمي

سيدي الأخ العربي الأستاذ فاضل خلف

السلام عليك سلام العروبة والإسلام ورحمة من الله وبركاته وبعد :

رجعت اليوم من العمرة الرجبية وزيارة قبر الرسول الأعظم لأجد في انتظارى النسخة التي تفضلتم بها عليّ من محاضراتكم النفيسة عن ماضي الكويت وحاضرها ومستقبلها وعن شعرائها وحملة الأقلام فيها، وما كانت الكويت غريبة عني ولم تكن أخبارها بعيدة عن ذاكرتي فقد زرتها سنة ١٩٢٥ لأول مرة فكنت ضيف المغفور له الشيخ أحمد الجابر فى قصر السيف وكان ممن تعرفت عليه يومئذ الشيخ يوسف القناعي والأخ عبدالحميد الصانع إضافة إلى وكيل جريدة المفيد التي كنت أعمل فيها المرحوم عبدالعزيز الرشيد، وزرتها زورة ثانية في عام ١٩٤٠ مع مدير البرق والبريد العام السيد أحمد زكي الخياط فكنت وإياه ضيفي المغفور له الشيخ أحمد الجابر وزرتها للمرة الثالثة في عام ١٩٥٣ بدعوة من الشيخ عبدالله الجابر فكنت ضيف المغفور له الشيخ عبدالله السالم وحين قرأت فصول كتابك الجليل استعدت ذكريات هذه الزيارات وتمنيت لو يّسرت الظروف زورة رابعة تمكنني من إدراك البون الشاسع بين حالة الكويت قبل نصف قرن وحالتها الزاهية في هذه السنوات المتأخرة.

كانت محاضراتكم التي تضمنتها هديتكم الكريمة نفيسة وممتعة حقا ويحق لكل عربي مخلص أن يفخر بالتقدم الذى أحرزته هذه الدولة خلال هذه الفترة القصيرة فبارك الله فيك ومدّ في حياتك لتمدنا ببنات أفكارك وتشنف أسماعنا بجيد نظمك مع شكرى الجزيل للطفك.

٢/ ١٠/ ١٩٦٩ — السيد عبدالرزاق الحسني

أخي الجليل الأديب اللامع الأستاذ فاضل خلف

تحية ود وتقدير، أرجو أن تكون في خير حال .. قبل يومين وصلني كتابك، دراسات كويتية، فأشكر عواطفك الأخوية، التي دلتني على نفس رضية، وشخصية حبيبة إلى القلب، طوبى لك يا عزيزى ..

لا أكتمك أني أعرفك قبل اليوم كاتبا وباحثا .. وما زال كتابك عن المرحوم «زكي مبارك» تضمه مكتبتي، وقد طالعته منذ أعوام طوال. كما أني أطلع على آثارك التعليمية والأدبية عن طريق الصحف والمجلات التي تصل إليها يداي.

حقا إن نشاطك مشكور، يدعو إلى الطمأنينة والتفاؤل بمستقبلك الادبي الاغرّ، على أن المأمول أن توفق إلى إنجازات أدبية رائعة أخرى، تحقيقا لما أنت بسبيله من خدمة الأدب والفكر والثقافة العربية المعاصرة، في اسمى مظاهرها وأكرم معانيها.

أما كتابك الأخير، هذا الذى بين يدى الآن، فيكشف عن أثر جديد بالاعتزاز والتقييم ، لأنه يسلط النور الكشاف على معظم ما نجهله عن الكويت في مجالات الثقافة والتاريخ والفكر، وما يمت إليها من صلات قريبة او بعيدة.

إني لراج أن تسعدني الأيام بمتابعة انتاجك ، فأطالع مؤلفاتك الأخرى إن شاء الله .

وإني لراج كذلك أن أبعث إليك بعد أيام بكتابين من كتبي ، هما « من الأدب العربي المعاصر و« في الأدب والحياة » والأخير كما تأكد ــ عنوان لعدد من الكتب الأدبية ـ إضافة إلى كتابينا ـ في كتاب لسلامة موسى ، وكتاب لأحد الأدباء المصريين غاب عني اسمه الآن .

وإلى حين أتلقى جوابك الكريم ،أشد على يدك مباركا جهودك ، مصافحا مهنئا مقدراً إخوتك أجمل التقدير . وتفضل بقبول أطيب تمنياتي القلبية ، مشفوعة بالمودّة والاحترام .

في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٩ **المخلص وحيد الدين بهاء الدين**

أيها الفاضل يا خير خلف

حييت، وطال في الآماد عمرك.

بارك الله يمناك التي سطرت « الدراسات الكويتية » ، وأكرم اللـه يسراك التي إذا استلهمت قلبك واصلتني بالود . وهذا كتابك شاهد على أنك في الأدب أصيل أثيل ، وفي الخلق سرى نبيل ، ويانعم نظراتك المسددة ونقداتك الصائبة ، وعروبتك التي تشعشع في أدبك وتستقطر القيم من نفائس الكتب .

ويالك من ساع اليّ بالفضل ، فقد ذكرتني بخالد الفرج ووجهه الذى لا أنسى ابتسامته ، وبالأنصارى عبدالله وايامه الماتعة في «البعثة» وبشيخنا الدكتور الشرباصي الذي نعمت بمودته الغالية منذ ما كان «يحبو» في الحياة وبشيخنا حافظ وهبة الذي زاده الله علوًا وزاده تواضعا في آن . وذكرتني بعيسى الناعورى وهو الأديب المترسل الوفي الصدوق ، وبالحبيب شيبوب ألهمه الله وصل ما انقطع ، وبمحمد مصطفى حمام وهو الأديب رغم مزحه ومقالبه .

فإذا كنت في لحظة قد ذكرتني بكل هؤلاء الأصدقاء فأنت فاضل بحق وأنت خير خلف لسادتك العرب الأمجاد الأقحام .

فشكراً على هدية البريد في هذا الصباح ، وحمداً لك مقرونا بالود والعرفان .

للمخلص

وديع فلسطين

طرابلس الغرب ٧/ ٦/ ١٩٦٩

الأخ الفاضل الأديب المبدع الأستاذ فاضل خلف

تحية طيبة وبعد ،

فقد تلقيت شاكرا كتابكم القيم « دراسات كويتية » منذ فترة غير قصيرة ولم أشأ أن أتعجل الكتابة إليكم قبل أن أجيل البصر فيه . والحقيقة أن الكتاب يضم باقة مونقة من المقالات التي تعرف القارىء العربي بالكويت الشقيق وأدبائه وأعلامه وما كان أحوجنا إلى هذه المعرفة .

وإذا كنت قد أعجبت بكم من قبل في كتابكم عن زكي مبارك فإن إعجابي اليوم يزداد إذ أراكم تتناولون أطرافا من التاريخ الأدبي للكويت بأسلوب يجمع بين الطرافة والدقة في الاستقصاء ويفوح برائحة العروبة الزكية .

حياكم الله وأعانكم على مواصلة جهودكم الأدبية المثمرة وجعلكم ملء سمع الدنيا وبصرها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور محمد مصطفى هدارة
الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية
الاسكندرية في ١٨/ ٩/ ١٩٦٩

عزيزى الأديب الكبير الأستاذ فاضل خلف

حفظه الله

تحية عربية خالصة وبعد ، فشكرا لك على أن أتحفتني بهديتك النفيسة ممثلة بنسخة من كتابك النفيس« دراسات كويتية» ثم شكرا لك على أن أتحت لي بقراءته متعة روحية سامية أثارت في نفسي جميل الذكريات عن زورة قمت بها للكويت في مؤتمر الأدباء الذي انعقد فيها منذ نحو عشر سنوات وعدت منها غنيا بما شهدت وشاهدت من مجالي العمران ومجالس العلم والأدب وفي نهضة مباركة آخذة بالطلوع والإشراق.

ولقد زادني كتابك علما بالكويت فجلا أمام بصيرتي صورا من تاريخها القديم وغررا من تاريخها الحديث وعرفني بكوكبة من أدبائها الأعلام وشعرائها الموهوبين وأطلعني كذلك على بعض المطارحات التي توخّى فيها النقاد أن يكشفوا عن وجه الحق أبلج صريحا.

أكرر الشكر على هديتك وأسأل الله لك الهناءة والسلامة ولقلمك الصناع مزيدا من التوفيق ليغني المكتبة العربية بالمفيد النافع من الآثار وسلام الله عليك

من أخيك المخلص
عادل الغضبان

القاهرة في ٩/ ١١/ ١٩٦٩

عزيزي الأخ فاضل خلف حفظه الله

تحياتي الأخوية وأشواقي الصادقة

تلقيت في بريد الوزارة كتابكم القيم (دراسات كويتية) فتصفحته وتمتعت بأحاديثه المفيدة المشوقة مصاغة بأسلوب منطلق عفوي يغرى بالاستزادة من القراءة ويشد القارىء إلى الاستمرار في متابعة الموضوع والانتقال إلى غيره بعد الفراغ منه.

وهذا ما حصل لي بالذات فقد كنت أحوم على موضوعاته المختلفة الشائقة تحويم الفراش على الزهور اليانعة المختلفة. تهانينا لك على هذا الكتاب الأدبي الموفق وفي انتظار كتابك التالي (دراسات أندلسية) لنرتشف من منهله العذب الممتع والمفيد، راجين لك التوفيق والاستمرار في الانتاج الأدبي. مرة أخرى شكرا على هديتك الرائعة ومتعك الله بالصحة لتمتعنا بمزيد من الاطلاع على كنوزك الأدبية والله يرعاك.

سلامي إلى الأهل والإخوان جميعا ودمتم بخير .

الكويت ٤/ ٩/ ١٩٦٩

المخلص

علي زكريا الأنصاري

أخي الكريم الأستاذ فاضل خلف

أشكركم أجزل الشكر وأصدقه وأعمقه، فقد أتاحت لي هديتكم الكريمة «دراسات كويتية» أن أظفر بصديق كريم لا آسف على شيء أكثر من أسفي على أني لم أتعرف قبل اليوم إليه، ولم أظفر بصداقته. إن القدر القليل الذي أتيح لي – في معتكفي الذي أعتكف فيه عقب عملية الانفصال الشبكي التي امتحنت بها – مثل لي منكم شخصا عالما أديباً معا، كما عرض لي من الكويت جانبا مشرفا سعدت به كل السعادة. فالله تعالى هو المسؤول أن يجزيكم عنا خير الجزاء.

كما أرجو أن تتفضلوا فتحملوا تحيتي وشكري الى الأخوين الكريمين السيد الحبيب اللمسي والسيد العروسي المطوى. ووددت لو حملتكم تحيتي وعبارات حنيني إلى تونس كلها أدبائها وعلمائها وأهليها، فإن ذكريات الأيام التي قضيتها بها في صيف ١٩٥٦ ماتزال ماثلة في قلبي تثير فيه الحنين الطاغي والهوى الغلاب.

كما أود لو تفضلتم فكتبتم إلي، فبردتم بذلك هذا الحنين.

وأرجو أن يتاح لي أن أكتب إليكم قريبا بانطباعاتي عن كتابكم.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

١٨ أغسطس ١٩٦٩ — **الدكتور طه الحاجري**

أخي العزيز فاضل

أحييك بشوق ومودة، وأحيي المناسبة اللطيفة التي أعادتني إلى ذاكرتك، وأعادتك بإبداعات قلمك الجميلة إليّ. فلقد حمل البريد إليّ أخيرا هديتك الجميلة «دراسات كويتية»، فكانت متعة روحية وفكرية لي، أعادتني إلى مجالسك اللطيفة التي عرفتها في تونس الخضراء، وكانت مجالس أدب ولطف وخفة ظلّ وأخوة كريمة: تجمع التونسي، إلى الكويتي، إلى المصري، إلى الأردني إلى المغربي إلى السعودي إلى اللبناني والسوري إلى الليبي. في صفاء ومودة، ليست مثلهما صلات الدول والأنظمة العربية!

كتابك هذا جاء ، يكمل صورة الأدب الكويتي، ويقدم عنه صورة عربية أصيلة جميلة، بعد أن أخذ الكويت مكانه العربي الاصيل في قافلة العروبة المتطلعة الى غد مشرق، بإذن الله.

وإذا كان لمثل هذا الكتاب من فضل ، فهو فضل التقريب بين الفكر والفكر في أمتنا الواحدة، لتكملة بنيان الحضارة العربية الجديدة التي نريد لها أن تصبح دعامة متينة في حضارة إنسان القرن العشرين.

حيّاك الله يا فاضل، وشكرا على هديتك النفيسة.

ولك خالص الود مع أطيب التمنيات.

أخوك

عيسى الناعوري

عمّان ١٣/٧/١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأديب الأستاذ فاضل خلف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد

تسلمت بعد عودتي من جولة دراسية علمية إلى الهند وباكستان وإيران حيث ألقيت عدة محاضرات حول الإسلام .

أقول تسلمت بيد الشكر والامتنان كتابكم القيم (دراسات كويتية) فأعجبت بأسلوبكم الرشيق السلس الذي يتسلل بعمق إلى حنايا النفوس الخيرة المعطاء التواقة إلى الرشف من ينابيع الفكر العربي الخلاق المبدع.

لقد وفقت يا أخي كل التوفيق في معالجتك لهذا الموضوع جزاك الله خيرا وسدد خطاك لما فيه خير العروبة والإسلام.

أتمنى لك المزيد من الإنتاج المفيد المضمخ بالثقافة الواسعة والتفاعلات الوجدانية الرشيدة.

وأتوسل إليه تعالى أن يجعل هذه السانحة بادرة لقاء وتعاون واتصال وإخوة حقة فيما بيننا سدد الله الخطى وطيب المسعى والسلام عليكم.

المخلص

مصطفى غالب

بيروت في ٢٢/ ٨/ ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ فاضل خلف المحترم

تحية طيبة وبعد

على إثر عودتي من الخارج وافاني البريد بكتابكم القيم «دراسات كويتية» فوجدت فيه كتابات مفيدة ودراسات ممتعة، وأقبلت على مطالعته باهتمام وشوق مستمر مما انطوت عليه صفحاته من مادة علمية غزيرة لمعلوماتي عن أهل الفن والأدب من الكويتيين وغيرهم.

وإنني إذ أهنئكم بهذا المؤلف أرجو أن يوفقكم الله إلى متابعة هذا المجهود العلمي الذي يضيف إلى المكتبة العربية موضوعا جديدا جديرا بالاهتمام والعناية.

وإنني أكرر لكم الشكر معربا عن امتناني الأكيد لما اتحفتموني به من آثاركم التي هي جديرة بالتقدير والإعجاب والسلام.

غرة شعبان المبارك ١٣٨٩

١٢/ ١٠/ ١٩٦٩

طه الولي ـ جمعية المكتبات اللبنانية

الأديب العربي الكبير الأستاذ فاضل خلف المحترم

أقدم صادق تحياتي ووافر شكري إلى شخصكم النبيل
أرجو أن تكون دوما في سعادة وخير ...

وبعد، في يوم الخميس الموافق ١٦/ ١٠/ ١٩٦٩ وصلني كتابك القيم «دراسات كويتية» بواسطة صديقي العزيز الدكتور يوسف عز الدين مع أن تاريخ الإهداء كان في ٢٦/ ٦/ ١٩٦٩م

أخي العزيز لم تكن روحك المثالية بالغريبة عن روحي، فقد قرأت لك كثيرا في الصحف والمجلات العربية فرأيت فيك الأديب اللامع الأصيل في عمق التفكير، ورصانة التعبير، وبعد النظر، وسمو الهدف.

وكنت أستشف من وراء معانيك النادرة صفات الإنسانية الرفيعة، وسجايا العروبة الفريدة، ونموذج الأخلاق الكريمة من إخلاص ووفاء وسخاء وأريحية وطيبة وتصميم. مع هيام بحب الأدب، وانكباب على تحصيله، وبذل التضحيات في سبيله، فكنت تثير الإعجاب في نفسي، وتنتزع الإكبار من قلبي.

أخي العزيز

ومما يدل على علو مكانتك في دنيا الخلال السامية هو إهداء كتابك لي ... أنا الإنسان المغمور الذي يعيش على هامش الحياة، ويهيم في متاهات الضياع، وتتمزق آماله بخنجر اليأس. فأي إنسان شهم أنت، وأي رجل غيور يكمن في برديك، وأي قلب رقيق يحويه صدرك الرحب.

إنني أشعر بعواطفي تتفجر، وأحاسيسي تتأجج ولكني لا أملك الأسلوب الذي يستطيع أن ينقلها على الورق بعد ترجمتها إلى كلمات.

ليس بالغريبة عنك هذه الالتفاتة السخية نحوي فأنت فرع ندى من دوحة عربية شامخة تتساقط أثمارها اليانعة حتى على الذين يقذفونها بالحجارة.

«دراسات كويتية» وتقييمها في مقال مستفيض لأرد الجميل بمثله، وأكافىء الإحسان بنظيره. ولكن هيهات فإن البادىء بالكرم هو الأفضل دائما وأبدا.

أخي العزيز

أدعوك إلى المزيد من نتاجاتك الفكرية الخلاقة، ومعطياتك الشعرية

الرائعـة. فأنت بين كتابنـا الموهوبين في الصميم، وبين شعرائنـا الملهمين في الذرى. وستظل أعمالـك الأدبية الممتـازة تشق طـريقها السـوى في عالم الازدهـار، وتفرض وجـودها في الأوسـاط الثقافيـة، وتحتل مكـانها المرموق في مصـاف الروائع الأدبيـة الخالدة.

دمت إشعاعا وهاجا تضيء الدرب للطامحين الحيارى.

دمت سندا للأدباء المنسيين.

دمت ينبوعا ثرا للكلمة الحرة، والحرف الجرىء.

دمت أديباً ملتزما تناضل عن كرامة العروبة، وتهتف للحرية، وتغني للفداء...

أخوكم المخلص

خضرعباس الصالحي

الجمعة ٢٤/ ١٠/ ١٩٦٩

الأخ الفاضل الأستاذ فاضل خلف المحترم

تحية مباركة

تسلمت كتابكم القيم «دراسات كويتية» فقرأته بإمعان، وأعجبني طرافة الموضوعات، والتعريف بها في الكويت من حركة أدبية تستحق الدراسة والاستفادة منها، فأكبرت عملكم في خدمة العلم، وفقكم الله وجعلكم من سعداء الدارسين.

وإني أقدم لكم شكري على المعلومات القيمة التي لم تكن معلومة لدى، فقرأتها في هذا السفر الجليل. ودمتم بخير وسرور أخي المحترم

المخلص

سعيد الديوجي

١٩٦٩/٨/٢٢

***

سيادة الأستاذ الأديب فاضل خلف المحترم

تحية مباركة طيبة

تلقيت ببالغ الشكر ومزيد من الغبطة هديتكم الثمينة (دراسات كويتية)، التي ازاحت جانبا من الستر عن الأدب الكويتي.

فحياكم الله وبارك فيكم وأمدكم من لدنه قوة لمواصلة الجهاد في سبيل الأدب ولغة العرب اللذين هما اليوم أحوج ما يكونان إلى أمثالكم من الغيارى المخلصين. واسلموا أبدا.

المخلصة

الدكتورة عائكة الخزرجي

١٧ أيلول ١٩٦٩

سيادة الأخ الأستاذ فاضل خلف المحترم
سفارة دولة الكويت الجليلة
تونس

عزيزي الأستاذ

تحية واحتراما وبعد فإني تأثرت كثيرا برسالتكم الطيبة المؤرخة ٢٠ الجاري الموجهة لي بمناسبة كتابي «عروبة لبنان» وهذا التقدير من قبلكم له عندي مكانة رفيعة خصوصا وأنه صادر عن أديب كبير من شمائله التشجيع والتنشيط. وشكرا لكم على إهدائي نسخة من كتابكم القيم «دراسات كويتية»

وإني أشكركم على هذه البادرة كما اشكركم لأنكم ستعودون إلى العلم كرما منكم لإبداء رأيكم في هذا الكتاب المتواضع. وإني لآمل أن أطلع على ما تكتبون لأكرر لكم شكري المشفوع بالاحترام، كما آمل أن تكون هذه المناسبة وسيلة لدوام الاتصال.

هذا ولقد أرسلت لكم كتابي الأخير (لبنان بين مشرق ومغرب) بالبريد المضمون راجيا اطمئناني عن وصوله وانتم في خير. وشكرا.

بيروت ٣٠/ ١٠/ ١٩٦٩ محمد جميل بيهم

إلى اخي الشاعر فاضل خلف

تحية طيبة ، وبعد ،كتابك «دراسات كويتية» الذى أتحفتني به وصلني بتاريخ ٢١/ ١٠/ ٦٩ ، أى بعد ما يقارب الشهر من تاريخ الاهداء ، يظهرأنه تنقل كثيرا بين «دار المعلمين» ك و «معهد الفنون» قبل أن يستقر أخيرا في هذا الأخير . فألف شكر على الهدية القيمة من أخ كريم عرفته في قصيدته الرائعة «الإنسان وعالم الغد» منذ خمس أو ست سنين قبل ان يصير لي شرف التعرف إليه عن طريق هذا الإهداء الحميم .

ورجائي أن تستمر في هذا الفن ، فن الشعر ، فأنت فيه من المجلين ، ومن الطليعيين ، لأنه بالممارسة وحدها ، وبالمثابرة ، يتم الإبداع ويكون التفوق .

ودمت موفور الصحة وموفور العطاء ،

لأخيك ومقدرك
توما الخورى
معهد الفنون قصر العدل القديم
بيروت

٢٥/ ١١/ ١٩٦٩

الأخ الأستاذ الأديب السيد فاضل خلف المحترم

تحياتي وودي

وبعد ، فقد سررت بتسلم كتابك القيم (دراسات كويتية) الذى تفضلت بـاهـدائه إلي ، وإنني إذ أقدم شكرى إليك فانني أعتذر عن تأخرى في ذلك ، ومعذرتي أنني كنت مسافرا الى تركيا لقضاء فترة من صيف هذا العام وحين عدت قبل أيام من إجازتي وجدت الكتاب ...أكرر الشكر والمعذرة ودمت موفقا فيما تقوم به في ميادين الأدب من جولات ، وما تقدمه للمكتبة العربية من دراسات
وتقبل أيها الاخ الكريم أطيب تمنياتي

المخلص
خالد الشواف

في ١٤/ ٩/ ١٩٦٩

***

يا ذا النبل والشرف ، الأديب النابه الأستاذ فاضل خلف

تحيات من القلب وبعد ،
قبل خمسة عشر يوما عدت من الكويت البلد العربي الشقيق .
وأمسي ، وأنا طريح الفراش ، أطلت علي طرفتك الماتعة «دراسات كويتية»
فأقبلت على فصولها تسرية لطيوف الهم والمرض والكآبة .
فتقبل يا أخي تقديري وخالص شكرى على هديتك الغالية ودمت للمحب .

يعقوب العودات
البدوي الملثم

عمان ـ الأردن
١/ ٧/ ١٩٦٩

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ فاضل خلف المحترم

أجمل تحية ،

تسلمت هـديتكم اللطيفة «دراسـات كويتيـة» وهي مقالات شتـى تتضمن الكـــلام عن تاريخ الكويت والتعريف بفئة من رجاله ،أولئك الرجال الذين كان أكثرهم مجهولا ، بالنسبة لكثير من أدباء الأقطار العربية .

لا شك أن في دراسة اولئـك الأدباء خدمة للأدب الكويتـي تحمدون عليها ، وكـــــان ما قمتم به لمن ضروب البر والعرفان بالجميل للأدباء المتقدمين وللعلماء المغمورين .

فشكرا لهديتكم اللطيفة وتفضلوا بقبول أطيب تحياتي .

دمشق ٢١/ ٩/ ١٩٦٩ عدنان مردم بك

***

إلى الأستاذ الفاضل فاضل خلف المحترم
وزارة الخارجية/ دولة الكويت

تحية طيبة

تلقيـت ببالـغ السرور مطبـوعكم القيـم (دراسـات كـويتية الطبعـة الاولى) مقدرا جهـودكم الصـادقة في ميـادين الفكـر والمعـرفة . أرجـو أن أسمع عنـك كثيرا، فما أخبـارك ؟ انـــا أقــرأ لـــك فى العــربـــى كثيرا لكــن أيـــن نشـــاطـــك ؟ والأخوة والقلوب يا فاضل أين مكانها ؟

٦/ ٦/ ١٩٦٩ الدكتور/ يوسف عز الدين

أيها الأستاذ الفاضل زادك الله رفعة

سلاما وتحية ، وبعد ،أهديت الي مـن مدة غير قريبة (دراسـات كويتية) فما اثمـــن الهدي وما أكرم المهدى . ومنذ ذلك الحين يا عزيزى إلى الأن أحملك في ذاكرتي ، وشعـور هاجس في داخلي يهيب بي كل يـوم إلى مخاطبتك لكـن الأشغال المدرسية و صروف الـزمان كانـت تحول بيني وبين تلبيـة هذه الأمنية . فـاعذر أيها الكريم الفاضل والعذر من شيمك .

لقد طالعت كتابك النفيس بإمعان من ألفه الى يائه فوجدت فيه وصفا دقيقا لتاريـخ الكويـت البلد العريـق الأغر ولمست في هـذه الدراسـات غيرة ملهبة على إسعاد الوطن الذى انجبـك اديبا كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا . فهنيئـا للكويت بابنها الأبر وبورك لك في نبوغك المقترن بالوداعة والإتقان .

لقد عرفت بفضل دراساتك أشيـاء كثيرة عن الكويت كنت أ جهلها غير أني كنـــت أتتبع نهضتها الحديثة وتقدمها في مدارج الرقي والسؤدد ولا سيما العلاقات التي تربـط بلدينا الحبيبين حكاما وشعبـا حتى كأن الكويت ولبنـان أصبحا بفضل هذه الوشـائج المتبادلة ، جزءا واحدا من بين سـائر الدول العربية فألـف شكر لك على هديتك وأحمد السماء التي هدتك إلي .

وأتمنى عليـك أخيرا أيها الاستاذ بل دعني ادعـوك ايها الصديق أن تزيـد من نظـائر هذه الدراسات والأبحاث القيمة فتؤدى خدمة جلية للأدباء ولوطنك وتخلد بها ذكرك .

حفظك الله وأبقاك وجزاك عني خيرا

مدرسة الحكمة ـ بيروت

الداعي لك
فؤاد حداد

١٩٧٠/١/٢

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الأستاذ الأديب الكاتب الشاعر المجيد فاضل خلف المحترم سلام عليكم ورحمة الله

وبعد فقد قرأت مستمتعا كتابكم دراسات كويتية الذى نقلنى من المحيط إلى الخليج فأظهرنى على معالم الحياة الأدبية والاجتماعية فى الكويت الشقيق وعرفنى بطائفة من رجالاته وقادة الفكر فيه مما لم يكن لى به علم ولا يحتمل أن اطلع عليه لولا كتابكم المغري ببيانه وحسن تصويره والموحى بتنوع موضوعاته واختياره ، بمتابعة القراءة والإلمام بجميع ماحوته دفتاه من غير سأم ولا ملل . ولكن بترا وقع فى النسخة التى تفضلتم بإهدائها إلي ، من ص٢١ الى ص٣٧ حرمنى من تمام الاستمتاع بهذا الكتاب الجيد ، ولاسيما وقد جاء هذا البتر فى الكلمة الخاصة بالمرحوم عبدالعزيز الرشيد الذى كان بينى وبينه صلة فهل أطمع فى أن تمدونى بهذه الملزمة الناقصة ليكمل الكتاب وتضيفوا منّة أخرى إلى منتّكم السابقة بإهدائى إياه؟ إنى على كل من الشاكرين والمعجبين الذاكرين .

وتقبلوا فائق التحية والاحترام

من المخلص

عبدالله كنون

طنجة في ١٧ أبريل ١٩٧٢

حضرة الاديب الشاعر الفحل الأستاذ فاضل خلف

رعاه الله

بعد التحية الزكية وصلني ، وصل الله بك رحم الأدب ، كتابك الممتع «دراسات كويتية» فتراءت لي من خلاله نفس تواقه إلى الأدب الرفيع والقيم السامية ، وحب صادق للعرب والعروبة ، وتعلق بالإخوان والأخوة الأدبية ، وهي صفات خبرتها فيكم شخصيا وفي كل ما قرأته لكم من شعر ونثر فبارك الله لكم أوقاتكم حتى تزيدونا من هذه النفحات الزكية، وحتى تواصلو ا بجهودكم تعريفنا بما تكتبونه أو بما يكتب ويقال في الكويت .

أغتنم مناسبة العيد السعيد لأتقدم لكم بالشكر على موالاة امتاعي بآثار صداقتكم الغالية وصلتكم لرحم الأدب في شخصي إني أرجو لكم عيدا سعيدا وعمرا مديدا مملوءا بالاعمال الجليلة في خدمة الادب العربي والصداقة التونسية الكويتية ، أعاد الله عليكم أمثاله وأنتم رافلون في حلل العز والسلامة .

القيروان في ٢٥ جوان ١٩٦٩   محمد الحليوي

***

الحمدلله

حضرة الأستاذ فاضل خلف المحترم

تحية وسلاما وبعد ، يطيب لي أن أبعث إليكم بعميق التشكرات على الهدية اللطيفة «درات كويتية» التي تفضلتم بإرسالها إلي وأملي أن أرى هنا المجهود الطيب الكريم يتواصل في خدمة الثقافة العربية والتراث الإسلامي .

ودمتم للداعي لكم

٢٦/ ٥/ ١٩٦٠   الدكتور الصادق المقدم

رئيس مجلس الأمة ـ تونس

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله الكريم

حضرة الأستاذ والأخ الكريم فاضل خلف

تقديرا ومحبة صادقين وبعد

أشكر لسيادتكم جميل إهدائكم وأقدر في شخصكم عصامية الفكر العربي الشهم .. وإن صلاتي الوثيقة بأدبكم تمتد إلى سنوات عديدة حينما كنت اقرأ لكم دراساتكم وأشعاركم واتنسم اخباركم من بعض اصدقائي ممن كان لهم شرف معرفتكم . هذا وقد دعم كتابكم «دراسات كويتية» ما حفظته لكم من صورة الرجل المخلص للأدب والفكر فأرجوكم مخلصا أن تتقبلوا أزكى التحايا وأصدق المودة من أخيكم . متمنيا على الله تعالى أن يرعاكم ويسدد خطواتكم لخدمة الكلمة العربية والتراث الإسلامي بروح متفتحة خصبة .

والسلام

أخوكم

أحمد القديدي

١٠ماي ١٩٦٩

لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان

***

الأديب الأخ فاضل خلف

تحية طيبة ،

وبعد ، فقد تأثرت للكلمة اللطيفة التي ضمنتموها النسخة التي تفضلتم باهدائها إلي من كتابكم الجديد «دراسات كويتية» واني إذ أشكركم شكرا جزيلا أهنئكم بهذا العمل الأدبي الذى يمكن التونسيين من مزيد التعرف على حقيقة الكويت ونخبة من رجالاته وأرجو لكم مزيد النجاح والتوفيق والسلام .

تونس في ١٠/ ٦/ ١٩٦٩

محمد مزالي

(عش للكتاب العربي)

إن غـــاب عنـــي (العـــربي) فقـــد وجـــدت (الخلفـــا)
في نفحـــــة مـــــن أ د ب مـــن وحـــي اخـــوان الصفـــا
(دراســـــة في كتـــــب) عـــن عهـــد خـــلان الـــوفـــا
و (سِيَرٍ) مـــــن ذهـــــب شـــع سنـــاهـــا وصفـــا
قبلتهـــــا في رغـــــب وفـــي ســـرور يُحتَفَـــى
يـــا (فـــاضـــلا) ذا حســـبٍ لقـــد (خلفـــت) السلفـــا
فـــي أدب منسَّـــقٍ وهـــمـــة لـــن تقفـــا
عـــش للكتـــاب العـــربي خـــير منـــار يقتفـــى

بهذه الأبيات الشعرية الأخوية أحيي هدية الأخ الكريم التي وصلتني منذ أيام، المتمثلة في (دراسات كويتية) من انتاج قلمكم الرائع، ووحي تفكيركم الساطع، ومن خلال هذه الدراسات اطلعت على ما كنت أجهل فى نواحي تاريخ أدب الكويت قديما وحديثا. وزادني هذا الكتاب إيمانا بها للكويت العربي العظيم، من فضل على أدبنا العربي وزادني يقينا بأن عملكم المثمر، وجهادكم المتواصل، في ميدان التاريخ والأدب والتعريف برجالات الكويت، وآثارهم هو بعض ما نعرفه عن حزمكم وإخلاصكم وغيرتكم على الأدب العربي وتاريخ ابطاله.

حفظكم الله ووفقنا لخدمة الأدب العربي وهيأ لنا من أمرنا رشدا والسلام من أخيكم.

صفاقس ١٤ جويليه ١٩٦٩ محمد الشعبوني

حضرة الأستاذ الأريب الفاضل المحقق الأديب فاضل خلف المحترم

تحية طيبة خالصة أقدمها إلى حضرتكم مقرونة بالشكر على هديتكم الأدبية الجميلة «دراسات كويتية» وقد وصلت إلي قبل عدة أيام فلم أستطع الاسراع في كتابة الشكر عليها، لأني مريض شديد المرض مزمنه منذ سنتين لا يستقر لي حال ولاتهدأ عني الآلام، وقد سرني نشركم الدراسات هذه وما عزمتم عليه من النشر لأنكم تضيفون بذلك إلى الأدب العربي فوائد جزيلة ومباحث جليلة، وأبهجني ذكر ما نشرتموه من كتب الادب على ما ذكرتم في هذه الدراسات، فبارك الله فيكم وأيدكم ووفقكم للنجاح والفلاح لمساهمتكم في بناء صرح الأدب الكويتي العصري.

لم أقرأ كتابكم لأنه يحتاج إلى صفاء بال وصحة بدن وتفوق إدراك وأين هذه ممن:

يموت على الساعات من شدة الأذى
ويحيا كما يحيا امرؤ قام مُنشرا
وقد نشبت أنياب علة قلبه
نشوبا ترى فيه الشفا متعذرا

ومع هذا فقد قلبت صفحاته واطلعت على محتواه ولمحت بعض تحقيقاتكم الموفقة، وقد توقفت عند كلامكم على «الصليبية» في الصفحة السابعة وإرسالكم له إرسال المسلمات من كونها قديما مساكن لبقايا الصليبيين بعد هزيمتهم على يد صلاح الدين الأيوبي وتفرقهم في البلاد، مما لايمت إلى التاريخ الصحيح بشيء، أما أولا فإن العرب لم يسموا هؤلاء الافرنج الغزاة المتعصبين بالصليبيين، والتسمية حديثة وهي ترجمة حرفية لاسمهم باللغات الأوروبية «كروازة» وأما ثانيا فإن صلاح الدين لم يستطع انقاذ جميع فلسطين والساحل الأخضر للبحر الأبيض وبقيت فيه دويلات قوية مقاومة في صور وعكا وغيرها حتى سنة ٦٩٠ هـ ثم طهرها منهم المماليك الذين حكموا مصر فكان استنفادها التام بعد اكثر من مئة سنة، وأما ثالثا فليس من المعقول أن يتفرق الافرنج ولهم معاقل وملاجيء في مدن محصنة، ولماذا يفرون من الصحارى وكيف يقطعون هذه الصحارى ليأتوا إلى البلاد القاحلة الماحلة التي لاتزال تحتاج إلى الماء العذب وأما رابعا فما نقلتموه في آخر الفقرة من كلام ياقوت في معجم البلدان يناقض كلامكم في أولها. وأنا إنما اكدت القول في

هذه القضية لأن أناسا قبلكم قالوها فسرت إلى معارفكم سرا على سبيل الاندساس المغالط للاحساس ولعل هذا من كـلام غيركم أيضا وذكرتموه ناقلين لا مصدقين به فلـم أفطن لذلك، وكان عليكم أن تنفوه.
والله يحفظكم للأدب وأهله.

١٣/ ١/ ١٩٧٠ الدكتور مصطفى جواد

***

أخي الأستاذ فاضل خلف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تفضلت فـأهديت إلي كتـابك (دراسات كويتيـة) فاضطررتنـي أولا أن أقرأه كله ومـن الكتب ما تريد قراءته فلا تستطيع ، وامتعتني به وسررتني ومن الكتب ما أقـرؤه مضطرا فـلا أجـد فيـه متعة ولا مسرة ، وأفـدتنـي بـه وعلمتني مـن احـوال الكويت ورجالها ما لا أعلم ، ومن الكتب ما تجد فيه المتعة ولكن لا تجد فيه النفع
فلك أجزل الشكر وأصدق الإعجاب وأسأل اللـه أن يزيدك توفيقا ونجاحا . ولقد صدق من سماك (فاضلا)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مكة المكرمة (أجياد) في ١٠ رجب١٣٨٩ علي الطنطاوي

عـزيزي الأديـب الموهـوب والكـاتب النـابـغ الأستاذ فـاضـل خلـف حفظه اللـه

تلقيت وقـرينتي السيـدة ودار سكاكي كتـابك النفيـس - واردا من مكـان عملك بسفارتكم الكريمة بتونس الخضراء الذي حليتـه باسم (دراسات كويتية) وقد حمل إلى قلب المحاسني سرورا فضلك هذا الذي حلاك منذ مولدك.
عزيزي لقد اعتـززت منك بهذه البادرة التي نمت على كريم سجـاياك ورفيع أدبك وصارت موهبتـك في الفكر والحياة.إن كتابـك هذا يصلح أن يكون الـدال الوسيع للكويت إذ يجتـذب للكويت عا لما من القـراء والمفكرين يرون فيه هـذا البلد الذى اشرق بأسماء العروبة فهز الأنظار برقية وماله وتحفزه وعروبته.
سأكتب لك عن هذا الكتاب بما تستحقـه من تكريم وصفاوة في دنيا الادب العربي المعاصر وكم أوثر أن ترسل نسخة الى صديقـي القديـم الأستاذ ألبير أديب صاحب مجلة الأديـب ببيروت تذكر لـه بها بأن يحتفظ للمحاسنـي بتحليل الكتاب وعـرضه وسأوافيه بحول اللـه بمقالي. وإذا كنت تريد الاطلاع على عالم آخـر جديد في لبنان طلع على العروبـة بمجلة راقية نمكنك أن تـرسل نسخة إلى الكاتـب الكبير (جان كميد) وعنـوانه (جـونية لبنـان) وتذكـر له أن المحـاسني سيكتـب عن كتـابك في مجلة(الرحمة) وهو يتولى رئاسة تحريرها وأنا أكتب فيها كل شهر.
ختاما لك تحياتي وتحيات قرينتي والله يحفظك للسلك الدبلوماسي وللأدب الرفيع.

واسلم لأخيك

دمشق في ١٠ حزيران ١٩٦٩ — الدكتور زكي المحاسني

الأخ الأديب الأستاذ فاضل خلف المحترم

أجمل تحية وأصدق سلام إلى نفسيتكم الطيبة وشمائلكم الخيرة وبعد

تلقيت بغاية السرور هديتكم الجميلة (دراسات كويتية) فأشكركم أجزل الشكر على تفضلكم هذا الذي نم عن كرم خلق، وجهد مازال ولن يزال بعون الله متصلا في خدمة اللغة العربية وفنونها المختلفة.

ولقد سعدت غاية السعادة لانفتاح باب جديد رحب أمامي في مجال الاطلاع حيث لم أكن أعرف الا القليل النادر عن الحركة الأدبية في الكويت. وبينما أخبار القطر الشقيق تطبق الآفاق متحدثة عن نهضته الاقتصادية والعمرانية والصحية أرى أن أخباره الأدبية محدودة إلى درجة كبيرة، حتى ليكاد يخيل إلى المرء أن هذا القطر كان خاليا من الشعر والأدب فيما قبل الخمسين سنة الأخيرة.

ولذا فإنني أجدد شكري لكم وانا على أهبة القراءة الممتعة لهذا الكتاب وفي غاية الشوق لرؤية ديوانكم المنتظر صدوره في وقت قريب.

وكنت عازمة على أن أوجه لكم هذه الرسالة على صفحات الأديب اللبنانية إلا أن دافعا دفعني الى إرسالها حيث مركز عملكم في تونس ألا وهو حبي أن أطلعكم على عنواني التفصيلي، إذ تأخر كتابكم مدة شهر على الطريق لعدم وجود هذا العنوان عليه.

فعسى أن أوفق سريعا إلى قراءة هذا الكتاب وغيره من مؤلفاتكم المذكورة في الصفحات الأخيرة منه.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

دمشق ٣/ ٨/ ١٩٦٩ لطفية الشهابي

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الأديب البحاثة الأستاذ فاضل خلف

سلام الله عليك ورحمته وبركاته، وبعـد فقد تلقيت بيد الشكر والتقدير النسخة التي تفضلت بـإهدائها الي من كتابك«دراسـات كويتية»، وأنت تعلم مبلـغ فرحي بمطالعة كل مايتعلق بالكويت، فكيف اذا كـان كاتب ما أطالعه كويتياً وكيف إذا كان صـديقا كريما عـرفته منذ عشريـن عامـا، فعرفت فيـه التواضع وكـرم الاخلاق والدأب على البحث، ولم تستطـع السنون الكثيرة التي مرت متواليـة أن تنسيني أيام لقائه والاجتماع معـه على ضفاف الخليـج العربي الـذي يحتضن بين ذراعيـة لؤلـؤة الخليج «الكويت».

لقد أحببت الكـويت منذ عهد بعيـد، قبل أن تتدفق منهـا أنهار البترول بغزارة، وقبل أن تنهـض فيها العمائر الشـاهقة والبنـايات السـاقعة، أحببتهـا قطعة عـزيزة غاليـة من أرض العروبة والإسـلام، أحببتها بأبنائهـا الاصلاء الذين زانتهـم الفطرة السليمة القويمة.

وإذا كان كثير مـن أبنائنا واصدقـائنا الكويتيين قـد شغلتهم بعد ذلك شـواغل المناصـب او المراكب او الأموال او الأعمال، فـأقسم غير حانـث أنه مازال للـؤلؤة الخليج من القلب مكانها ولابنائها مكانهم.

لا أكتمك انني اجد شيئا مـن المرارة حينما أتذكـر هذا النسيان، ولكنـي أمسح هذه المرارة على الدوام بحلاوة الايام التي سعدت فيها بصحبة أولئك الإخوة الذين سيظلون في الفؤاد إخوة مهما تغيرت الأحوال.

معذرة إليك، فقد انزلق القلم إلى حديث ليـس هذا محله، وليس لك فيه ناقة ولا جمل، إنني أعود فأشكـرك مرة أخرى على هديتك، لأنك طوقـت عنقي بفصل من فصول كتـابك، أدرت فيه الحديـث عن كتابي «أيـام الكويت» وأنصفـت الكتاب وصاحبـه، وكلت لهما كيلا وافيا مـن ثنائك وحسن ظنـك، مع أن أناسا كتبـوا كتبا بعد كتابي «أيـام الكويت» وأخذوا منه صفحـات وبعضهم أخذ منه بابـا أو أبوابا، دون أن يفكر أحد منهم أن يذكر المصدر ولو في الهامش!

أؤكد لـك أن كتابـك قد أسعـدني، وقد أثار في نفسي ذكـريات عـزيزة غـالية لا

تهون، وزادني إعجابا بكتابك أنه كتاب متخصص، يحدثنا عن الكويت، وعن الذين تحدثوا عن الكويت وعن الذين ينبغي أن نتحدث عنهم من أبناء الكويت، وكنت موفقا حين اخترت عنوانه «دراسات كويتية».

وأحب أن اشرح صدرك حين أذكر لك أن طلابا في الجمهورية العربية المتحدة تقدموا برسائل جامعية مختلفة، رحبوا فيها الى كتاب «أيام الكويت»، وأفادوا من مادته، وبخاصة ما كتبته فيه عن التعليم، والصحافة، والشعر، والأمثال في الكويت، وهذا من فضل الله علي، فله الشكر والحمد، فأعظم الجزاء أن يوفق الله الإنسان لعمل يستفيد منه الغير، ولقد افترى من افترى فقال إن كتاب «أيام الكويت» قد أفاء على صاحبه الغزير من المال، حتى وجدت نفسي بحاجة إلى أن آخذ من الاستاذ عبدالله زكريا الانصاري شهادة رسمية بأن صاحب «كتاب الكويت» لم يأخذ بسببه قليلا من المال أو كثيرا، وياويلنا من اهل زمن يلجئوننا فيه الى مثل هذا، ولا أطيل عليك بحديث لا يحلو لديك، فأكرر لك شكري وتحيتي، ولا تحرمني من رسائلك. وسلام الله عليك.

القاهرة ١/٨/ ١٩٦٩ أحمد الشرباصي

حضرة الأديب الكبير الأعز الأستاذ فاضل خلف المحترم

تحية عربية طيبة

حمل إلي البريد كتابكم المفيد«دراسات كويتية» فشكرت لكم أجزل الشكر هديتكم الادبية الثمينة، وعكفت على قراءة فصول مؤلفكم بكثير من المتعة الروحية، فقدرت فيكم روعة الأدب، وأصالة الفن، وإشراق البيان. واطلعت بإعجاب وارتياح على تاريخ الكويت، وعلى من نبغ في مجالات الشعر والنشر من أبنائه البررة الأوفياء، كما اطلعت على المجتمع العربي في ذلك القطر الشقيق الذي أحبيته كثيرا، والذي زرته مرتين: الاولى في مطلع عام ١٩٦٦ والثانية في الربع الأول من العام الماضي ١٩٦٨. وقد اتيح لي في اثناء تلك الزيارتين ان أذيع من محطة الإذاعة فيه، سلسلة من الاحاديث الأدبية، ونخبة من القصائد الشعرية وقد قلت في إحدى قصائدي التي نظمتها تحت سماء الكويت:

أنا في الكويت على الخليج السمح بين أحبتي

لم ألق إلا إخوة أكرم بهم من إخوة

بيض القلوب وإن تكن بشراتهم في سمرة

أضفوا على تاريخنا العربي اروع صفحة

عانقتهم يوم الوداع ورحت أمسح دمعتي

وهذه القصيدة، منشورة في ديواني الثاني «حصاد الذكريات» وسأبعث به إليكم قريبا إن شاء الله.

أما مؤلفكم «دراسات كويتية» فسأكتب عنه كلمة أرجو أن تكون موفقة وسأنشر تلك الكلمة في العدد القادم من مجلة «الضاد». والمولى يحفظكم.

حلب ٢٤/ ٦/ ١٩٦٩ عبدالله يوركي حلاق

أخي العزيز الأستاذ فاضل خلف حفظه الله

تحية طيبة وبعد ،فـأرجو أن تكون على أحسن مايرام مـن العافية والنشاط الأدبي الخلاق.

تسلمت بيـد الشكر والاعتزاز هديتـك النفيسة «دراسات كويتيـة». ولا أكتمك أن هذه المبـادرة الطيبة الكريمـة من جانبـك قد غمـرت نفسي بموجة مـن الغبطة والسرور . فلا يسعني إلا أن أعترف لك بفضـل السبق في مضمار التعارف الأخوي. وما أجمل تعـارف الأدباء العرب عـن سبيل إهداء مـؤلفاتهم لبعضهم البعـض، وما أحوج أدبائنا إلى توثيق عرى الصداقـة الحقة وتمكين روابط الإخوة الصادقة ونبذ كل مايشتت شمل الأسرة الأدبية الواحدة...

ولم تكن، يـا أخي «الفاضـل» با لمجهول لـدي قبل أن تتلطـف باهدائي كتـابك «دراسات كـويتية» فقد قـرأت لك من قبـل كتابـك الجيد عن الأديـب الحر «زكي مبارك» فأكبرت فيك إنصافك لهذه الشخصيـة الأدبية الحرة الفذة التي لم تعثر على زهرة الإنصاف في دروب الصراحة الشائكة!...

أما كتـابك «دراسات كـويتية» فقد نقلنـي الى الكويـت الشقيق، الذي مـا رأته عينـاي بعد.، فهـزني الشوق إلى مجالـس الشعـر والأدب في ربوعكـم الصحراويـة المبتردة بالبحـر، حيث «الجزيرة الصغيرة» التـي صرت أتمنى رؤيتها في حـر صيفكم اللاهـب، عند هياج البعـوض، لأتأكد مـن فضلها على لبنـان كما ذهب شاعـركم الظـريف الشيـخ عبـدالمحسـن بابطين رحمه اللـه في حـائيتـه التي عـززت الـرأي القائل:إن أعذب الشعر أكذبه!

وعلى الرغـم من أن دراساتـك عن الادب الكويتـي، في هذا الكتاب، مـوجزة، بسبب كـونها أحاديـث إذاعية، فإنها - والحق يقـال - ممتعة ومفيـدة للغايـة، فهي نافذة صغيرة يطـل منها القارىء العربي على ريـاض الأدب الكويتي الزاهيـة، ومما يزيـد في قيمة هذه الدراسـات الأدبية والتاريخية، هـو أنها مكتوبة بأسلـوب عذب يستمد بلاغته من سلاسته لا من التصنع ورصف الألفاظ المجلجلة...

وكـم كان بـودي لو أنـك توسعـت في دراستك عـن الشاعـر الكويتـي الكبير المرحوم «فهد العسكر» الذي سمعنا عن فضله الكثير ولم نقرأ عنه إلا القليل!..

سأبحث لك، في المكتبات ، عن مؤلفاتي لأنني لا أملك - ويالـلأسف - إلا نسخة واحدة مـن كل منها. وأرى من واجبي أن أهديك كل مـا سيتيسر لدى من مؤلفاتي .. وأخيرا أكرر شكري واعتزازي وأسلم لأخيك.

المخلص

٢٧/ ١٢/ ١٩٦٩ حارث طه الراوي

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأديب الكبير الأستاذ فاضل خلف . المحترم حفظه الله .

تحية طيبة ،

شكـرا جزيـلا على تفضلـك بـإرسال أصـوات وأصـداء ، سيـاحات فكـريـة ، ودراسات كـويتية والثـلاثة : رحلات في الكتـب والحياة والآفـاق والتاريـخ ، فيها البصيرة وبعد البصر ، ثم التعبير المبدع عما ترى وتسمع وبين يـديك ميزان من نور الوحي وسلامة الفطرة وسعة الاطلاع ...

أرجو ألا تحرمني ضغـوط العمر من العودة إلى كتبك أكثر مـن مرة ، وألا تحرمك تيارات الحيـاة من إبـداع جديد ومتجـدد ... ولك دائما خـالص الـود . وفي البريد إليك بعض الكتب تحية قلم لقلم .

مع تحيات

١٧/ ١/ ١٩٨٥ دكتور عبدالعزيز كامل

المستشار بالديوان الأميري - الكويت

أخي الأديب والشاعر الزميل

تحية واحتراما وبعد

وصلني كتابكـم «دراسات كويتية» مع كلمـة الإهداء التي ترشـح نبلا، وقبل أن أتصفحـه سيطـر علي إعجـاب مسبـق.. ولعل البـادرة او الحركـة اللطيفـة، التـي صدرت عنكم في إهداء كتابكم الي من خدمه الحظ وفاز في مسابقة شعرية كان لها أثر في ذلك.. لست أدري!

كتـابكم لم أطـالعـه بعد كما يجب.. ولكـن المقالات القليلـة التـي وقعت عليهـا كانت كـافية لتقنعني بأنني أمام قلـم يضم مجموعة من الكفـاءات التي يصعب أن تتوافر في سواه.

فالسهولة في التعبير ، والبساطة والـواقعية، والوضوح في الأسلوب ، والشمول في الموضوعات المرتكزة على المصادر العديدة، إلى جانب لغة سليمة مشرقة ، كل ذلك مجتمعا، أكد صدق نظريتي في القلم الذي أشرت إليه.

هذا، وفيما كنـت أقلب الصفحات الأخيرة، عثرت على كلمـة موجهة إليكـم من الأديب صالح الصالح تتضمن تهنئة بفـوزكم في المسابقة الشعرية، كما قرأت ايضا كلمة الـدكتور جـورج حنا، على الجهة الثـانية مـن غلاف الكتـاب، تحت رسمكم البهي، فاتضح لي سر الإعجـاب المسبق الذي نوهت به في بـداية كلمتي، ذلك أن الزمالة لعبت دورها بطريقتها الخفية تماما كما الحب، فقربت بيننا دونما استئذان.

فإذ أضم تهنئتي الى تلك صاغها الأديبـان الكريمان، أفيدكم بأن ديواني الشعري «سراب» سيصدر في شهر تشريـن الأول، وسأكون سعيدا بإهدائه إلى الـزميل الذي ابى تواضعه أن يعلن عن فوزه، مع تكرار تحيتي وعميق احترامي.

زحلة في ٥ آب ١٩٧١ أنيس خوري

مـلاحظة: كـان الشاعـر أنيس الخوري هـو الفـائز الأول في المسابقـة الشعريـة البريطانية لعام ١٩٧١.. بقصيدته (قلعة بعلبك).

أخي الكريم الأستاذ فاضل خلف

تحية عربيـة طيبة وسلاما عاطـرا بعطر الشرق الساحر وأشواقـا تفوق أشواق رواد القمر للعودة إلى الأرض.

وصلتنـي هديتكـم القيمة .. «دراسـات كويتيـة» ذلـك المؤلف الـدسم الـذي يمتلىء كنوزا أدبيـة جعلتني أسهـر الليالي المتتـالية حتـى فرغـت من قـراءته للمـرة الاولى وعزمـت على قراءتـه مرات ثم مـرات في المستقبل القـريب والبعيـد إن شاء اللـه. ولم أكد أتسلمـه وأتصفـح ورقـاته حتـى وجـدت نفسي أخـرج من مكتبتـي المتواضعة كتاب خـالد سليمان العدساني : نصف عام للحكـم النيابي في الكويت ولست أذكر كيـف حصلت عليه وقت ان كنت بـالكويت، وصفحات مـن تاريخ الكويت تـأليف يوسف بن عيسـى القناعي وعليه إهداء منـه إلى شخصي بمناسبة زيارتي له بمنزله لأول مرة عصر يوم الخميس ٢٦/ ٢/ ١٩٤٨.

ودارت بي الدنيا وتذكرت الماضي بجمالـه. وتذكرت سنة ٤٧/ ١٩٤٨ وصحوت من حلمي لأجد امامي الاديب فاضـل خلف.. أديب فاضل يخلص في رسالته وفي اعطاء كل ذي حق حقه. بارك الله فيكم.

لا أود الإطالة فوقتـي ضيق للغاية. كنت مريضا مدة تقـرب من الشهر ولا أقول إني شفيت تماما ولكن أحمد اللـه فأنا في حالة لاباس بها والحمـد لله. وقد تقرر نقلي إلى مدينة فـريتاون عاصمة سيراليون بجنوب أفـريقيا للعمل مديرا للمـركز الثقافي العربي هناك. وربما يصلك خطـابي هذا وأنا في الطريق إلى القاهـرة لأستقل الطائرة من هنـاك في طريقي إلى مقـر عملي الجديد. إلى لقاء آخـر بعد وصولي إن شـاء الله وسـلامي إلى الأستـاذ السيـد ناصر وعـائلتـه وأرجو لكـم جميعـا أطيب التمنيـات والسلام عليكم ورحمة الله.

الأسكندرية ٢٦/ ٧/ ١٩٦٩ أحمد مهدي

الأديب المفضل الأستاذ فاضل خلف

تحية طيبة ممزوجة بوافر الشكر على هديتك الكريمة «دراسات كويتية» وبعد فقد قضيت لحظات سعيدة بتلاوة كتابك الذي تضمن أحاديث ممتعة عن نهضة الكويت الأدبية، هذه النهضة الفتية المذهلة التي أخذت تسابق نهضات أعرق الأقطار العربية، في فترة جد قصيرة ولئن كانت أحاديثك لمحات وليست دراسات إلا أنها أعطتنا الكثير من الفكرات عن أدباء مجهولين ومظاهر مغمورة، وراقني من هذه الأحاديث الروح الأدبية التي تنفذ إلى الأعماق مع إيجاز لا يعيب إلا قصره، وحبذا لو مضيت تحصي وترمز إلى أكثر من خصائص المجتمع الكويتي وأدبائه المغمورين. وكم سررت ان تذكرني وأنت في تونس الخضراء المدينة الجميلة التي تجمع بين أصالة الحضارة وجدة التطور، وهي علم الله، مملوءة بالفضلاء والأدباء والشعراء والباحثين، وأغبطك على مقامك بين إخوة أعزاء يكرمون الأدب ويعزون رحى الفكر، وقد أتيح لي أن امضي فيها فترات حلوة قبل بضع سنوات وأن أعود بذكريات طريفة دونتها في كتاب لم يصدر بعد، اذ لم استكمل ما في نفسي وما في ذاكرتي عن تونس، وآمل أن تتيح لي الفرص القريبة لزيارة ثانية أسد ثغرات كثيرة في الكتاب، وكان الأستاذ الشاذلي القليبي قد تكرم بدعوتي إلا أن الظروف حالت آنئذ دون سفري، وفي اعتقادي أن الدعوة مفتوحة وأرجو أن تتحقق هذه الأمنية فأملأ ثغرات الكتاب وألقى الإخوان الأعزاء.

عفوا لهذا الاستطراد الذي جرني إليه نفحات كتابكم الذي جاءني من تونس ومرة ثانية أكرر الشكر وآمل أن تتيح الظروف بلقاء قريب والله يحفظكم.

دمشق في ٣١/ ٧/ ١٩٦٩ — سامي الكيالي

عزيزى الأخ الأستاذ الخلف حفظه الله

وصلني مـؤلفك اللطيف أخيرا والحمـد لله على سلامـة وصوله بـدون أن يضل سبيلـه ـ ثـم الحمـد للـه على أن فداحـة اختـلال البريـد في ظل الحكـم العـربي واستقلاله قد وصلت إلى هذا الحد فقط... لأن الخوف هـو من انحدار بريدنا إلى ما هو ألعن وأنحس. وهذا كله غير خطورة التلصـص على كل ما يقع في قبضة البريد من مراسلات، وامانات، ومناجاة بين العبـاد... وبذلك يكون البريد الذى يعد من أبدع بدائع الحضارة الراهنة قد نكب في دنيـا اواخر القرن العشرين ولكن الله الله! ما هـذا الشطط والشطح، وما عـلاقة ذلك بقصة وصـول كتابك دراسات كـويتية الذى أهـديتني إياه؟لا.لا. بـل أقول رأسا انـه لكتاب لطيف، مـوضوعا وإخـراجا وطبعا كما أنني قبل أن أحدق في أى باب من أبوابه ، قد استخرجت منه أولا فهرس مواضيعه لأرى أولا هـل كتبت قبل ٤٥ عامـا؟ وهل كتبت وأنصفت الشـاعر الفذ خالـد محمد الفـرج شاعر الخليـج الذى لقبتـه أنا بهذا اللقـب (١) على صفحات جريـدتي الشورى منـذ ٤٤ عامـا ـ ثـم تبين لي ولسواى ان المرحـوم كان مـن رجال الخليج المصلحين أيضـا لأنه بعد أن غـادر الكويت إلى البحـرين غادر البحـرين أيضا إلى قـومه الدواسر عند ابـن سعود فولاه السلطـان عبدالعزيز آل سعـود مهمة تمدين سـاحل الخليج وتحضيره، فـاعتلى شاعرنـا الأستاذ خالـد الفرج كرسي بلـدية القطيف ـ وإدارة أمور العقير والخبر حيث شكل فيها كلهـا بلديات ومكاتب بريد وإدارة التسجيـل العقاري لتنظيـم وضبـط دوائر امتـلاك الأرض وبيعها فلـو كـان النفط قد ظهر في أيامها لكان حال تلك النـواحي قد سبق حال الظهران والدمام ، وربما الريـاض نفسها.. هـذا وبلا طول سيرة أحـب أن اخبرك بأن الأخ الفـرج، قد سكن الحجـاز بعد أن سجل حياة الملـك عبدالعزيـز آل سعود والدولة السعـودية شعرا، وقد طبعـتُ له هذا الديـوان قبل أربعين عاما في مطبعـة الشورى بمصر، كما صدرتـه بمقدمـة من قلمي وبـإمضائي ـ فليت من يملـك نسخة زائدة مـن هذا الديوان أن يهديني إياها وله الشكر على رؤوس الأشهاد عاليا ومدويا..

وفى سنة ١٩٥٤ حظيـت بلقاء صديقـي الخالد عنـدى بالقاهـرة حيث زارني في دار الشورى، وكـان ذلك بحضـور الكاتـب المبين الأديب المصرى الكبير الأستـاذ

وديع فلسطين، الذى كـان آخر رئيس لتحريـر جريدة المقطم قبـل احتجابها ، وهو الآن نـزيل ليبيـا وبعيـد عن الأضـواء، حيث اختـار الظـلام على الضياء ، بعـد أن سكتت بـلابله واصبـح الخفاش هـو الناطـق الفصيح، ولا سيما بعـد ان تسابقـت الحمير ، واختفـت الصافنـات الأصـائل من الميـدان، واحتجـب فـرسانها فى كـل عرين، لأنهم في زمـاننا اصبحوا بين شريد وسجين! هذا وقد أهـداني الأستاذ الفرج رحمه الله ديـوانه الذى طبـع في السنة نفسهـا ١٩٥٤ ولما ذهب إلى لبنان بعـد ذلك للاصطياف بعث لي بآخـر ما نظم من شعره الوطني، هي قصيـدة في وصف سياسة نـورى باشـا السعيد وحلـف بغداد فـألحقتها بـالديـوان في نهايته ، وهـي مخطوطـة والغالب أنها لم تطبـع ولم تنشر ،لأن الأستاذ خالد الفرج قد مـرض في ذلك الصيف ولحق بربـه قبل نهاية ذلك العـام ١٩٥٤ رحمه الله وبرد ثـراه وعوضنا بسلامتـك يا أستاذ فاضل الخلف.

ومما افخـر به فهـو ان صديقنا جميعـا المرحوم خـالد الفرج قـد خلدني في ديـوانه بقصيـدتين من شعـره النفيس تجدهما في الصفحتين ١٥٠و١٥١ هـذا ومما أشكـرك عليه كونك أنصفته بما سطرته عنه في كتابك.

وختاما دم لصديقك المخلص:

٢٤/ ٦/ ١٩٦٩ بيروت محمد علي الطاهر

(١) راجع مـا كتبه الأستاذ خـالد سعود الـزيد عن تلقيـب الفرج بلقب شـاعر الخليـج في مقالـه النفيس عـن الفقيـد في مجلة البيـان الكـويتية عـدد ٢٢بتاريـخ ١/ ١/ ١٩٦٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الصديق الكريم الأستاذ فاضل خلف، وفقه الله ورعاه .

تحية طيبة ومودّة خالصة ،

وبعد، فإن إعادة طبع كتابك اللطيف:« دراسات كويتية » آية استحسان قراء العربية له، وهذا ما كنت أتوقعه.. وهو حقيق بأن يكرر طبعه مرات، ولاسيما إذا أضفت إليه ما استجدّ في « الكويت » من تطور الحياة والأدب والعلم بين زمن كتابة فصوله وهذا اليوم.

أما استحسانك وتقديرك رسالتي، اللذين أهابا بك إلى نشرها على غلاف الكتاب مصورةً، فمصدرهما أنك نظرت إليها وإلى كاتبها في مرآتك الصافية التي تعكس طيبة قلبك ، ونقاء جوهرك .. ولست أملك ما أقابل به صنيعك غير شكر القلب ، وثناء اللسان .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ؟

٢٥/ ١١/ ١٤٠١هـ　　　　محمد بهجة الأثري

***

حضرة الأخ فاضل خلف المحترم

تحية عربية صادقة ،

وبعد فإني : أشكر لك تلطفك بإهدائك إليّ كتابك (دراسات كويتية)، وعسى أن أقرأه بمحبة خلال فترة الاستجمام الصيفية في الجبل ، راجيا لك الاستمرار في هذا المضمار ، والصحة والخير ، وأن نظل متنسكين مخلصين لهذا الحرف الذي ينبض في عروقنا ويجري في دمائنا. وأسلم لأخيك :

بيروت

في ٥/ ٩/ ١٩٦٩　　　　فؤاد الخشن

الأستاذ فاضل خلف

سفارة دولة الكويت - تونس -

سيدي الكريم ،

اتصلت بمزيد السرور «بدراساتكم الكويتية» القيمة مصحوبة بإهدائكم الأخوي اللطيف .

وإذ أشكركم على بادرتكم ونبيل عواطفكم أهنئكم بهذا الانتاج الرائع المفيد الذي سوف يكون له شأن عظيم ومساهمة فعالة في التعريف ببلد شقيق عزيز علينا.

وفقنا الله وإياكم في خدمة الأمة العربية والشعوب الإسلامية لما فيه صلاحها وفلاحها .

والسلام

المدير العام للإذاعة والتلفزة التونسية

الحبيب بن الشيخ

***

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ الأديب الشاعر فاضل خلف

بعد التحية ،

أشكر لكم هديتكم الكريمة كتاب «دراسات كويتية» أمتع الله بكم ، ووفقكم للمزيد من هذه الدراسات القيمة عن البلد الشقيق «الكويت» الذي يرفع راية العرب والإسلام في كل مجال .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

سعيد الأفغاني **دمشق في ٢٢/ ٧/ ١٩٦٩**

الأستاذ الأديب فاضل خلف

أطيب تحية :

سعدت بمطالعة كتابك الرائع الماتع (دراسات كويتية) ذلك السفر الذي حوى بين دفتيه بالإضافة إلى متانة الأسلوب وقوة العرض، ودقة الكاتب الألمعي، الإخلاص بالمهمة، لإبراز شخصية الكويت، الشقيقة العريقة ثقافيا وتاريخيا واجتماعيا.

فالشكر للكويت التي أنجبتك، والشكر لك لإخراجك هذا السجل الصادق الحافل، والشكر لمجلة الأديب، التي أتاحت لنا فرصة اللقاء الفكري والسلام

الزرقاء ـ الأردن

٢٣ رجب ١٣٨٩هـ	المخلص

٥/ ١٠/ ١٩٦٩م	حمودة زلوم

ملحوظة: أرجو أن تتاح لي
فرصة الكتابة عن فنك
الشعري ، ومزيدًا من التقدم

أخي الشاعر الأستاذ فاضل خلف المحترم

تحية طيبة : أشكر لك هديتك (دراسات كويتية) وكان من حسن حظي حين قراءتي قصيدة الشاعر عيسى مطر أنني عرفتكم بقصيدتكم الرائعة (الإنسان وعالم الغد) التي سمعتها عام ١٩٦٤ من لندن فقط وبقي في ذاكرتي - إن صدقت ذاكرتي (ما أعجب الإنسان في أمره) فقط.. وتمنيت حفظها لكنها بعدت وغابت ثم أشرقت في نفسي.. فأرجو أن تكون لي هدية ثانية لأستمتع بها فهي من روائع الشعر وإني أبعث لك برحلة إلى القمر وللقمر عشاق ورواد..
مع أطيب التحيات

المخلص
عبدالرحمن عياش

١/ ٨/ ١٩٧١

***

إلى أخي الأديب الأستاذ فاضل خلف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أبعث إليكم بأطيب عبارات الود والتقدير وأشكركم على هديتكم الثمينة «دراسات كويتية» متمنيا لكم المزيد من التوفيق في الإنتاج الأدبي وخاصة ما يتعلق بالكويت المحبوبة من دراسات في جميع المجالات .. والسلام.

العميد الشرفي لكلية الآداب
والعلوم الإنسانية
محمد عزيز الحبابي

الرباط ٣/ ٩/ ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الكريم فاضل خلف حفظه الله

سلام عليك ورحمة اللـه وبركاتـه . وبعد فقد حمل البريـد إلي خمس نسخ من الطبعـــة الثانية من كتابك الممتع «دراسات كويتية» هدية كريمة منك ، وكنت قد تلقيت منك قبـل نسخة من هـذه الطبعة ، فكتبت إليـك شاكـرا لك هذا الإهـداء وممتنا لتكريمك رسالتي السابقة بنشرهـا على ظهر غلاف الطبعة الجديدة تقديرا لها وتعبيرا عن جمال نفسك .

أمـا هـــذه النسخ الخمس فسـأهـدي واحـــدة منهـا إلى مكتبـة المجمـع العلمي ، والبـاقيات إلى من أتـوسم فيهم تقـدير العلـم والولع الكثير بقـراءة الآثار الأدبيـة النفيسة ، لينتفعـوا بها دونت من ملامح الأدب العربي الحديث في الكـويت ، وهو ـ والحق أقول ـــ أدب يحفل بأصالـة اللغة والفكـر والنوازع الشريفة ، ويتجـاوب مع الحيـاة الكريمـة تجاوبا يـرجى أن يكون لـه أثـر عميق في ارتقائهـا وازدهارهـا على تعاقب الأيام.

دمت والخير رائدك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،

٢٠/ ٧/ ١٤٠٣هـ　　　　　　　　　　محمد بهجة الأثري

إلى الأديب الأريب أخي
الأستاذ فاضل خلف، المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فقد أنشأت أقرأ هديتك الأخوية المفيدة (دراسات كويتية) فور تسلمها من أخينا خالد التلاتلي، على الرغم من أن شواغل كانت تضايقني، وتلتهم أوقات عملي وأوقات راحتي معاً.

وكانت الخواطر تنهال علي وأنا أقرأ انهيالا، فاعمد إلى تسجيل ما يتسنى منها.

وماهي إلا أن جدت ظروف مهنية أكيدة قطعتني عن القراءة والتسجيل أكثر من شهر.

حتى إذا كان لي بعض التفرغ هذه الأيام، رأيت أن أخط إليك ما استقام لي من تلك الخواطر الأولية شعرا، قبل أن تحول ظروف جديدة متوقعة دون إرسالها إليك.

ولعلك - أخي الفاضل - تجد فيما يبلغك من تلك الأبيات التي كنت باعثها في نفسي، تجاوبا أخويا وعواطف صادقة، هي كل ما أملك أن اقابل به هديتك اللطيفة التي لا كفء لها.

والسلام
أخوك
البشير العريبي

تونس ١٤ ربيع الثاني ١٣٨٩ هـ
٢٩ جوان ١٩٦٩ م

السيد الأستاذ الكريم فاضل خلف حياه الله وبيّاه

وصل إلي كتابه الطريف «دراسات كويتية»، فتلقيته مغتبطا بأريحية مهدية النبيل، وشاكراً له إهداءه، ومسرورا بكتابه الذي حوى المفيد الممتع من الحديث الطيب عن الكويت، هذا البلد الحبيب الناهض، وعن رجال الأدب والعلم والعمل فيه الذين غذوا «وجوده» بمختلف وجوه النشاط، وكانوا أحرياء بأن يشاد بذكرهم، وتدون مآثرهم ومناقبهم، ليكونوا القدوة للأجيال الصاعدة، وهي لا تفتقر إلى شيء كافتقارها إلى المثل الرفيعة، والسيد الأستاذ قد أحسن فيما كتب الإحسان كله، وهو مرجو أن يواصل كتابته التي تميزت بمعاني الحفاظ والغيرة على مقومات الوجود العربي الإسلامي، وبالرصانة والسداد وبعد النظر، بارك الله فيه وزاده نشاطا وقوة واقتدارا.

١٩٦٩/٩/٨ محمد بهجة الأثرى

سعادة الأستاذ فاضل حفظه الله

اطيب التحية والاحترام

وبعد فأشكرك أيها الأخ الكريم ، مزيد الشكر على هديتك القيمة «دراسات كويتية» لقد قرأت بعض فصول الكتاب ، ويجب ان أجد الوقت لأقرأ سائر الفصول بعناية ، فإن مثل هذه الكتب مهمة في تعريف الأقطار العربيةُ بعضها ببعض ومهمة في تدعيم هدف الوحدة العربية .

إن الفصول جذابة لطيفة ، تصور الأحوال الكويتية والشخصيات السابقة والحالية تصويراً شائقا دقيقا . واللغة جزلة جميلة ، والطباعة أنيقة مشرقة ، فاهنئك أيها الأستاذ الفاضل كل التهنئة على هذا الانتاج الفني المفيد ، وأرجو ان يوفقك الله لإصدار فصول ودراسات أخرى .

وفيها أكرر التهنئة ، أرجو قبول فائق التقدير والإكبار .

المخلص

محمد أديب العامري

عمان - ٢٥/٨/١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الأكرم

تحيات وأشواقا : تلقيت هديتك النفيسة (دراسات كويتية) ، فشكرا لك الشكر الجزيل على أن ذكرتني وأنت تخرج واحدا من انتاجك العزيز القيم .

إنني أحييك من هنا من بيروت ، ذاكرا لك أنني استمتعت كل الاستمتاع لساعات ، بما سجله قلمك البليغ على تلك الصفحات ، آملا أن تطلع علينا بين الحين والحين بمثل هذه المآثر .

وليتنا نلقاك عندنا في هذا البلد فتقيم فيه إقامتك في تونس ، إذن لكان لنا منك أفضل عشير وأكرم نزيل .

والسلام عليك ممن يحمل لك في اعماق قلبه من الحب والتقدير ما انت به جدير .

بيروت ٢٥ ربيع الآخر ١٣٨٩
١٠/٧/١٩٦٩

حسن الأمين

السيد المحترم الاستاذ فاضل خلف

تحية وسلاما ،

وبعد فقد تلقيت بمزيد الشكر نسخة من كتابك «دراسات كويتية» . وطاب لي أن أقرأ فيه صفحات مشرقة من تاريخ الكويت وسير بعض رجالاته وأدبائه وشعرائه ، الأمر الذى أتاح لي توسيع دائرة معلوماتي عن الأدب والتاريخ في القطر الشقيق .

وانني إذ أحمد لك مجهودك لأكرر شكرى متمنيا لك اطراد التوفيق والنجاح.

المملكة المغربية
وزارة الشؤون الخارجية

عبدالمجيد بن جلون
الرباط في ٦/٨/ ١٩٦٩

***

إلى الأستاذ فاضل خلف المحترم

بعد التحية،
تسلمت هديتكم الغالية «دراسات كويتية»
فشكرت لكم فضلكم، وانتفعت بجهدكم.
واني لا أجهل آثاركم السابقة، فإلى أمثالها. واسلموا

المخلص
الدكتور / علي جواد الطاهر

٣/ ٩/ ١٩٦٩

حضرة الأستاذ فاضل خلف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد تلقيت بيد الشكر كتابكم «دراسات كويتية».لقد قرأت أقساما من الكتاب ، وقرأت بعضها مرتين . وأعتقد أني سأستفيد منه كثيرا إذا جئت إلى إعداد الجزء الأخير من كتابي «تاريخ الادب العربي» (الجزء السادس) فأشكركم كثيرا على هذه الهدية الثمينة . على رف الادب الحديث عندى أعداد كثيرة من مجلة البيان وغيرها وفيها دراسات وتراجم لشعراء وأدباء من الكويت وشرقي الجزيرة . ولكنني أكون ممتنا لكم اذا استطعتم أن تسموا لي الكتب التي يمكن الاستفادة منها في دراسة الادب في قطركم ، فلعل في ما تذكرون كتابا أو اكثر لم تصل اسماؤها إلى علمي فأحاول الحصول عليها . إن ما أعنيه هنا كتب الدراسات والتراجم العامة لا كتب الأدب الوجداني (دواوين الشعر والروايات) لأن الحصول على هذه أو الوصول اليها أهون . وفي الختام تقبل سلامي وشكرى مرة أخرى على كتابكم «دراسات كويتية».

بيروت ١/ ٧/ ١٩٦٩

عمر فروخ
دكتور في الفلسفة

سيادة الأستاذ الكبير فاضل خلف المحترم

تحيتي واحترامي وتقديري لعلمكم ولفضلكم وبعد ،

عدت من رحلة في الاتحاد السوفييتي ، فوجدت هديتكم القيمة (دراسات كويتية) فوجدت فيها من المعلومات المرتبة أحسن ترتيب ما امتع وأفاد .

فالكويت بلد حبيب لنا وازدهاره يملأ النفس رغبة ، ويزيد في قيمة ذلك ، أن أحد أبنائه يكتب أمورا خيرها فرواها بإخلاص وواقعية ، فألف شكر لكم .

أبردت إليكم مجموعة من (المنهل في تاريخ الأدب العربي) ج ١ ج٢ ، ج ٣ نسخـــة من فريسة أبي ماضي ، وهي دراسة علمية للشعر في البادية ، ولأوزانه، ونسخة من (تطور حقوق الانسان) وقد كان في ودى أن أتشرف بإهداء كل ما طبع من مؤلفاتي ، لكن نفاد تلك الطبعات حال دون ذلك فمعذرة .

أصدق التحية وأجمل الاحترام ، مع اغتباطي بصداقتكم ، واعتزازي بها .

عمان ١٤/٨/١٩٦٩ روكس بن زائد العزيزي

الأخ العزيز الأستاذ فاضل خلف المحترم

بعد التحية والمحبة ،

تسلمت اليوم كتابكم «دراسات كويتية» وهو الآن بين يدى أقرأ فيه ، وشكرا للأخ الكريم على هديته وعلى إتاحته الفرصة لي لأستفيد وأفيد من كتابه .
وإني، ما زلت أذكر بشوق وحنين أيام اجتماعنا في الكويت العزيزة وكلي أمل أن تتاح لي فرصة لقائكم في مستقبل قريب إن شاء الله .

مع صادق المحبة .

١٩٦٩/٧/٨

المخلص
الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب ـ الجامعة الأردنية

المحتويات



وزارة الاعلام
مطبعة حكومة الكويت



المؤلف في سطور

● من مواليد ١٩٢٧
● تلقى تعليمه فى الكويت وبريطانيا في معهد الفنون والآداب من ١٩٥٨-١٩٦١ في جامعة كمبردج .
● عمل في التدريس ووزارة الاعلام وسفارة الكويت في تونس مستشاراً إعلاميا . ومشرفاً على القسم الأدبي بجريدة الرأي العام
● من كتبه في الدراسات : زكي مبارك ، فرحان راشد الفرحان و عبدالله سنان

وفي الشعر : على ضفاف مجردة ، ٢٥ فبراير ، كاظمة وأخواتها و باقة من الورد .. وفي القصة، أحلام الشباب و أصابع العروس وله عدة مجموعات نثرية منها ، في الأدب والحياة ، أصوات عالية ، أصداء بعيدة ذكريات نقعة ابن خميس ، أزهار الخير و قراطيس مبعثرة .
● يحمل وسام الجمهورية من الشعب التونسي ، ويحمل وسام الصمود من الشعب الكويتي .
● نال عدة جوائز أدبية منها : الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التى أقامتها الاذاعة البريطانية سنة ١٩٦٤ بقصيدتة (الانسان وعالم الغ



الثمن : ديناران

وزارة الاعلام مطبعة حكومة